





New York University







الولول المراد الما لود معرف المواد معرف المواد معرف المواد المواد

طبعة ثانية منقحة مزيدة

الناشر : مكتبة الآداب بالجامين تليفون ٢٧٧٧ و لاطبعَ والشموذ جميت الشماري الميابق المتربع المتر

PJ 7864 . A5 . A38 1949

الطبعة الثانية ١٩٤٩ منقحة ومزيدة بما يتفق ومشارب الطلاب والطالبات

طبة لانة مناسة برطة

Milia : Din 18th of the thac wars

Chicagain in

إ

إليك ...

إليكَ يا أعز من أحببته ، ويا أعر من فقدتُه .

اللك أنت ، يا مَن لا أسميك . . . فإن اسمَـك لم يعُـد يجرى على لسانى منذ أضعتُـك .

إليك أخطُّ هذه الرسائل.

إنى لأبعث بها واحدةً تِلْوَ الأخرى ، لعلم أُتنسَم من توجهها إليك برد السّلوى ؛ وإنها المتطالعُتُك في عالمك العُلوي ، وإنها المتطالعُتُك في عالمك العُلوي ، لعلها تحمل إليك خوالج القلب ونجوى الضهير ! تهتاج بين جوانجي رغبة متقدة في الكتابة إليك ، في عاطبتك . . . في فك الإسار عن نفسي التي تَشَائز ي في القود والأصفاد !

لقد أسكنت هذه النفس قدم قدم من قماقم وسليان ، و وأحكمت سده بالرصاص ، وقذفت به فى قاع المحيط ، هنالك تحت أعماق الماء ، حيث يتكدّ س الظلام والصمت طبقات فوق طبقات .

ظلّت تلك النفس حبيسة قمقمها ثلاث سنين طوالا كانها دهور تتلاحق، ولكن في هذه الساعة التي أز مع فيها سفراً لا أدرى ما ذا يكون مصيرى فيه، تلبعث صرخة في يضطرب لها ذلك القمقم، صرخة تنفيذ من الرصاص، وتخترق أطباق المصمت والظلام، وتشق أعماق الماء؛ فإذا هي تبلغ أذني، وإذا هي تملاً سمّعي بالدوي س.

النها رغبة النفس في أن تفاجيك ، في أن تتصل بك ، في

ثُمَمة اتصال دائم بينك وبين هذه النفس السَّحِينة ، بيد أنه اتصال صامت ، لا كلبة فيه تقال ، ولا لفظة فيه تُدون . أما اليوم فإن هذه النفس سَيِّقة ولى أن تتكلم . . . وإنى لتارك لها هذه الأوراق البيض ، لتخطَّ فيها ماتهفُو إلى الإفضاء به إليك المهذه الأوراق البيض ، لتخطَّ فيها ماتهفُو إلى الإفضاء به إليك المها

تلك هي الرحلة الأولى التي تتخلُّف فيهنا عن مرافقتي م فلقد نَعِمْت ُ بصحبتك في أسفار ي جميعاً .

أنت تتخليَّف عنى اليوم على الرَّغْم منك ، وأنا أرحَلُ الساعة َ بدونك على غير إرادةٍ منى.

إنها يا 'بنَى مشيئة' القدر، وكن ذا يرد القدر إذا شاء؟ ولكن أي تخلف منك؟ وأي رحيل منى؟

إننا نَـقِيسُ القُـُرُبَ، والبُعُـد في هذه الدنيا بمَـنُـطـقـِنا القاصر، ونظرنا الكلـيل.

أَعْمَةُ وحيل يَنْأَى بِي عَنْكُ حَقًّا ؟

ربما صَمَّنى ، أنا وإنسان آخر ، مكان واحد ، مكان ضيِّق لا يتسع ُ لا كثر من شخصين ، فأشعر مع ذلك ببُعثه الشُّقَّة بينى وبيئه ، بل إنى لا أحس فهذا الجليس من وجود ، على حين أنه قد يفصل أنى عنك شاسع م الأرجاء وهَـو ْ ل مُ الطريق ، فأحس كأنك تلمي عنك شاسع م الأرجاء وهَـو ْ ل منافع تصافح وجهى الأرحيل يا مُبنى ولا تخلُّف ...

إننا نصطنع ُ المألوف من الكلام ، ونُساير المتعارَف من الألفاظ ، حتى يكون حديثُنا بين الناس غير َ مُسْتَخْلِق ولا

مستغيرَب ولا مكروه ... ولعمرى ... لو تركنا لأرواحنا حرية التعبير لاتخذ أنا لغة لا تصلح إلا فى مخاطبة الأرواح الأرواح الا رحيل با مُبنَى ولا تخذُّف ...

أنتَ فَكُرة خالدة تحوِّمُ فَي مُخيَّلتَى لا تبرُ حَمَا أَمِدِلَ.

أنت نجوى تهجيس في صدري في تعبُّد وتبتُّل صبّاحَ مساء. أنت خفقة القلب تجـــمَّعَت فهلاعناصر ُ حياتي .

إنى لازمع الرحيل ، لا تسرية عن النفس ، ولا إشباعاً لفُضول ، بل لارافق شخصاً عزيز المكانة في قلبينا يلتمس الشفاء في تلك البلاد القاصية .

أَمَاكَانَ أَحْرَى أَن تَـكُونَ أَنتَ مَكَانَى ، ترعى هذا العزيز في غُـرْ بَـته ، وتَـدَ عني مكانكَ أَتُوسَـدُ اللَّثرَى عنكَ ؟

قسماً يا بُننَى ما كنت أطلب من الله أمنية أجل من تلك، ولكن الله يصر ف الاقدار وفق مَشيئته التي نُسْلِم لها القياد، وإن كانت عقولنا القاصرة تعيما عن إدراك ما في هذه الأقدار من حكمة وما لها من مرمى .

إنها أَذا مشيئة الله ، أن أرحل أنا وتبنق أنت ؛ كما كانت مشيئتُه من قبل أن ترحل أنت عن دنيانا ، وأن أبقى أنا فيها أقيضي أياماً أخر !

وإنها كذلك مشيئة الله : ينها يدعوك إلى جواره الاعلى ، علم قاله قلو بنا فى ظلمة وعُبوس ، إذ ببعث إلينا نجماً صغيراً ه مافتيى منورته الوادع مند بزع يحاول جاهداً أن ينبر هده القلوب ، وأن يُهدري إليها راحة الرضا بما هو مكتوب ومقسوم . .

بذلك الصغير الذى راح بنمو بيننا ويتفتّح كتكفَشّح الزهرة باكر كنا الطلّ ، بدأنا نستعيد طفو لتك المحبّبة ، و معرض أطوار حياتك التهييجية .

لقد ظهرت بيننا المعاطف الصغيرة ، والقُبُعَاتُ العريضة ، والأحدية الدقيقة ،

لفد ترارت في حديقة المنزل تلك المر كبّة ألتي تُد فتع باليد مرتقبة حُيطا الطفل الجديد.

لقد تعالَت في أجواء المنزل جلبَة مصاخبة مُشْبَعَة بالحياة والبهجة ، لتوقظ، المنزل مما ران عليه من ركود وخمول.

ها أنت ذا تعود الينا يا 'بنيّ .

تعود إلينا بابتسامتيك الوضَّاحة، بضحَّكتيك الرئَّانة، عَجَبَثك المُسْتَثَظِّرَف، بَمَرَحك الحَيَّ.

^{*} يعنى الكاتب ابن ابنته

يا لله ... كأنك بيننا لمتفارقنا ، وكأننا معك لم تنفقيد ك ا إننى حين أقسبِلُ على ذلك الصغير ، فيتاض الحنين ، أضمه إلى صدرى وألشمه ، يُخينُل إلى أنى أضمُك أنت يا بُنَى وألثَمُك .

كنت دائماً طفلا أمام عيني .

إن الوليدَ ليظلُّ صغيراً في نظرِ والديه ، وإن شَب شبابه ، وإن عَــلتُ به السنُّ ، وإن عَــلاَ هُ المَـشيب.

إنه هو هو ذلك الصغير الذي نُزعِجُه دَوْماً بِالْعَطْفِ وَالتَّفَقَدُ وَالنَّصَحِ المملولِ ا

أنت طفلي ، وستلبُّثُ طفلي أبداً ، صبيًّا كنت أم كهلا ، حيًّا كنت أم في عِـدَاد الراحلين!

وهلكنت إلا طفلا وأنت على فيراش مرضك الآخير ؟ لقدكنت ترنو إلى ، وتطلب منى أن أحوطك بما أليفت منى من محسو ، وتسألسنى أن أخفف عنك ماتعاني من تباريح الالم . ولطالما قلت لى : منى أغادر سرير المرض ، وأعاود مألوف العيش ؟ فكنت أوكت لك أن الشدة زائلة ، وأن الصحة مقيلة ، وإن هو إلا يوم أو بعض يوم .

كنتُ أردد ذلكَ لك بلسانى ، فأما قلبى فإنه كان يحسُّ هُولَ الفاجعة من بعيد ...

كان تَمْشَلَى كَمُشَلِ ذلك الحيوانِ الذي يحسُّ بغريزتِه هبوتِ العاصفة العاتِسَةِ ، قبل أن تسجَّلُ آلةُ الرَّصْدِ ما في الجوَّ من انقلاب!

كنت أحس أنك توشيك أن تنساب من بين يَدَى انسياب الماء من بين يَدَى انسياب الماء من بين الأصابع ، حتى حل اليوم الذى وجدت فيه يدى قد صفيرت منك ، فجاهدت لابق في راحتى ما أستطيع إبقاء ، ولو بضع قطرات . . . ولكن ذهب الجهد والجهاد عبشا ، فإن أديم يدى كان قد جف وتشق من لفحات المهجير ، فلم يَعُد لاية قيطرة مكان فيه ا

لقد تطايرت من بيننا، يا بنى ، كما يتطايرُ العيطرمن قارورة رُفِعَت عسلة ادتها، فلم تَعَدُّ نراك بأبصارنا ، ولكننا ظلِلاننا نَشَمَّك طِيباً يشيبيعُ فيما حولتنا من أجواء.

لم لا أضعُ صورتكَ هنا كُنتُزَيْنَ هذا الحديثَ وتجمَّـُله ؟ إنهـا فكرة "خامرت دأسي وقتـاً ، ولكن العَـز مَ على إنهاذها أعْـوَزَنَى . إنى لأجاهِر منعفى وجُمبنى حيال هذا العَنو م، فليس لى من قوة ولا من تجلد أستعينهما على مواجهة رَسْمِكُ يا مُبنَى الم الله من تحراب إن صُورَكُ ما ثلة من في ركن خاص " بها ، ما ثلة من في محراب أقاتمه لك شخص معزيز المكانة في قلبَيناً .

هو محرابُه القدُّسِيّ ، يَقْضِي فيه الساعات رانياً إليكَ ، يَرْشُهُمْ ُ الْأَلَمُ قطرات على مهَل في نَـشُـوة واستعذاب!

أما أنا فكلم مردت بهذا الحراب عامداً أو غير عامد ، زاغ عنه بصرى واز ور .

إن ، الرجل، منا ليجعجع بشجاعته ، ويعتد بقوته ، ولا يفتأ يزهُ و ويفاخر ، حتى إذا لمح طيف الألم يتخايَل أمام عيليه ، فرَّ منه ما وَسِعَه الفِرَار ،

ولكن والمرأة ، تستمرى والألم ، وتُقدم عليه ، ولا تبغيى به في النوائب والارزاء بديلا.

تلك خطرات جاش بها القلب يا أبني ساعة الرحيل، أناجيك بها حين أستودعك الله.

وإلى اللقاء القريب ا

1987: - 1:18

أَى 'بني :

في صباح اليوم المتم للثلاثين من مارس المنصرم، دق جرس ، التليفون ، وأحطنت علماً في لهجة بالغة الادب وإن كانت لهجة حاسمة مو عد قيام الطائرة ، فإذا به بعد أد بعة أيام.

أيَّة طائرة ؟ وأية ' أيام أربعة ؟

وتذكرتُ أنى سجلتُ اسمى فى القنصلية الأمريكية للسَّظفَر بالاسبقيَّة فى ركوب الطائرة . . . كان ذلك منذ أشهر تقصَّت دون أن يتخلَّلهَ ها حديثُ في هذا الصدد، حتى غَرَبَ عن بالى أنى مقبِل على سَفَر.

ها قد تبيَّن الأمر، فإذا هو جدُّ لا هزلَ فيه . . . بعد أربعة أيام أطيرُ إلى ء نيويورك . . . ولكن هل تكني هذه الأيامُ

الاربعة في إعداد عُدَّة الرحيل؟ ألا أراجع ولاة الامر لتأجيل الموعد؟ ... عبث ما أفكر فيه ١ . . إنها أوامر يتلقاها مُطلاً ب الرحلة من مكاتب الشركات كايتلَّق الجندي أوامر القواد اليس العهد قريباً بحالة حرب؟ ١ . . . إذن فلنذ عن لمذا الامر صاغرين صابرين إذا طمعنا في تحقيق مانصبو إليه . ونهضت أعمل . . ينبغي أولا أن أحصر ما يجب على أن أقوم به ، وإذا بالمطالب والشئون قد تشا بكت وأخذ بعضها بتلابيب بعض فبأي شيء أبدا ؟ وأي شيء أؤخر ؟

وبذات جهدى فى حصر الأعمال . . و مَشَل لحاطرى على الفور إعداد الحقائب، أست فر الله بل إعداد حقيبة واحدة لى ، ومثل الزوجى . . . حقيبة من الوزن الحقيف ، لا تزيد و رَ تَشها على خمسة وعشرين كيلو . . . الامر إذا هيتن ، إن نصف ساعة أو نحو ذلك ليكفي لإعداد متاع لا يزيد وزنه على هذا العدد . واطمأن قلى ، و هد أ بالى . . يبدو لى أن أهبة السفر واطمأن قلى ، و هد أ بالى . . يبدو لى أن أهبة السفر ليست من التعقيد على النحو الذى كنت أتصور و . . .

وماكدتُ أستريح إلى هذا الحاطر ، حتى وقع بصرى على إضامةٍ منتفخة تحوى بعض الأوراق الحاصةِ بإدارةِ أعمالي...

وانسرحتُ أَفكُدُ . . . يجب أن أَصفَى هذه الأعمال ، وأن أَكُلُمَا إلى من يحسِنُ إدارَتَها في غيبني . . . ها هو ذا عملُ ليس بالهُـبِّن الميسور ، ولـكن إنجازَ ه لا بد منه على أيَّة حال ا

وماذا بعد ؟ وهنا انبرى أماى شبَح ُ لجنة العُمْلَة ، ومن ورائه تبدو أشباح ُ أحرى : المصارف ، مكاتب الصيارفة ، دار شركة الطيران ، وما إليها . . وما لبَّدَت ْ هذه الاشباح ُ تتدافع ُ دونى و تتواثب ، يحاول كل منها أن يكون أول آخيذ بخناق ا وفى أشاء هذا اكل رج والمرج والمرج أحسست ُ دبياً فى در ج مكتبى ، و هم سأ يرف على مسمعي ، وإذا بى أنصت إلى من يقول : أنا رائد ك الاول ُ . . . أنا مفتاح ُ الطريق . . . لن تستطيع بغيرى سفراً ا

جُذبتُ الدُّرْجَ إلى ، فإذا بِحَواز السفر يعلو بهامته جدً مُعْتَزِّ. فددتُ إليه يدى في تخَشَعُ ، ثما نثنيتُ أميطُ عنه الغُبارا أمامى تلك الآيامُ الآربعة ، لإنجاز هذه المهام وما يتصلُ بها أو يتفرَّع منها . . . ومن هذه الفترة القصيرة يومُ الجُمعة الذي تُعْلِقُ فيه مصالحُ الحكومة أبوا بها ، ويومُ الأحد الذي تأخذُ فيه المصارفُ ومكاتبُ العملة قسطها من الواحة والتعطيل.

فليكن ... أمامي يو مان ، ثمان وأر بعون ساعة طوال عراض ومما نقتطع منها ساعات نوم واستجهام فالبركة فيما يَسْق !
و تُسَمَّر تُ عن ساعد الجد ، وأطلقت ما أختر به من قوة ونشاط وحماس ، وانطلقت معل . . . كان مَشَلَى كَمَسَلَ تلك الاشباح السِّينَ مَسِيَّة حين يُخطِي و العامل في تحريكها فتلسَح ماعلى .

المتارة البيضاء خو اطف مضطربات ١

وانكببت على الاستئارات أستو في تحريرها ، فما أكاد أفر عُ من واحدة حتى تعتر صنى الأخرى . أما الإمضاءات فكنت أبعثر هما ذات اليمين وذات الشمال . وجعلت أذ رع الطريق بين لجنه العملة والمصارف وبين المصارف ولجنة العملة مَشْنَى و ثلاث ور أعاع ... إن شركة الطيران تستمسك بموعدها لا تتأخر عنه ، وإن المرق لا يحو ل مليا واحداً إلا بتصريحات مستوفية ولكن لجنة العملة بإمضاءات معترف بها على أوراق رسمية ، ولكن لجنة العملة لا يعنيها من ذلك كليه شي ، فأعضاؤها الموقد وتعجل الناس ا

وتعلمتُ بين عَشَّية وضحاها كيف أكونُ هجَّـاما لَجُو جَاا

مِلْحَاحاً ، واستبان لى ما لهذه الصفات المباركة من فوائد طالما أنكرتُها وأنحيتُ باللاً ثمة على ذَو يها ...

ثم ألفيتنى بغتة ، وانا أتلقط ، الدولارات ، من مكاتب الصيارفة ، قد أصبحت مبالرهم منى خبيراً فَنَطِّيًا في العملة الأمريكية ، أُمَّيز بين ، الدولار ، الجيِّد والزائف ، الحَرْبي والمدَد بي ، المُبَاح والمحرُّظور الموالد ، وأحسست مباعضا في تنهار ...

إنها حرب أعصاب في مُفتنبك ساعات السَّلْم ا

وأخيراً تم كل شيء بما يُشبه المحرزة، ووجد أنى مزودا بكل ما هو مطلوب من النصريحات والمستندات والمعدات . . . والفيت نظرة خاطفة على محفك في خيبى، فإذا هي قد تور مت وإذا بسطحها قد بدا عليه ما يُشبه التضاريس والهضاب ا

وحليَّت ساعة ' الميزان ، فمرَر نا مجقائبنا في الطريق إليه كأننا نجتاز الصِّرَاط .

ثم صَعِيدٌ نا في السيارة الحافلة معر ُفْفَةِ السفر ، وبدأنا نتمر قف اليهم بنظرات حيية متعشرة ، وكا أن لسان حالنا يقول : أمقيلون نحن على سفر يسليمُنا إلى عاكمنا المشود ، أم على سفر يصير بنا إلى عَالم الحلود ؟

وتحركت السيارة الحافلة ، تتأثّرُ ما سيارات المودّعين ، وكانت الساعة ود جاوزت الواحدة بعد منتصف الليل .

وقضينا الوقت في صمت لا يقطعُه إلا نِشَارٌ ٱلفاظ وظلالُ ابتسامات تضطربُ مها الشِّفاه ...

ودخلنا مطار ، بين فيلد ، تلك المدينة التي شيّدها الأمريكيون في أحرج ساعات الحرب ، تلك المدينة العامرة الواخرة تخترق رحابها الطرق الفسيحة المسيدة ، تلك المدينة التي تبدو في ظلمة الصحراء المترامية وقد أضاء تنها سواطع المصابيح الكهربيّة معلقة في الفضاء أو متناثرة على أديم الارض واقتادونا إلى « الجمرك ، . . . وما إن بلغت تحوزته حي نارت في نفسي ذكر يَات عير عير عبيّة .

و الجمرك هو تلك الساقية العظيمة تدور رَحَاها في قوة و جَرَوت ، ولكنها في واقع الآمر تدور على نبع غاض ماؤه ، فإنك لتسمَع تعير هذه الساقية يشق أجواز الفضاء ، ثم لا تلبَح لما مما من أثر أ

. والجمرك هو تلك المؤسسَّنَةُ التي أنشأها قوم حاقدون على البشريَّة ، فاتخذوها أداة تشكيل ، وسوط عذاب !

إجراءات تافهة تُشيرُ الضحك إن لم تَصْرِ الغيظ وترُ هق الاعصاب.

وظهرت الاستئارات عوداً على بَده...

علينا أن تحررها ، وأن نستوفيها بإجابات غاية في التفاهة ... وَحَنَيْنا هاما تِنا نَكَتُب ونُمْضِي ، وأحياناً تَسال : ما المرادُ بهذا السوال ؟ وكيف يكونُ عنه الجواب ؟ وار تفعت يد الضابط بالحاتم العظيم تضرب هنا وهنالك في مهارة حرية بالتقدير . . إنه ليضرب ضرباً محكماً كأنما يسد دا الطعن في ميدان القتال ... وأخذ المنابط الحصمام بحقيف ما تفصد من جبينه في رَهُ و المنتصر الفكلا ب... ألم يؤد عملا بالغ الجلالة عظيم الخطر ؟ إن ورقة تخلو من ضربة واحدة من خاتميه عظيم الخطيم كفيلة "أن تكفيفي على صاحبها التاعس بالحر مان العظيم كفيلة "أن تكفيفي على صاحبها التاعس بالحر مان ا

ثم اتجهنا إلى الخوان الطويل صُفَّتُ عليه الحقائب ... هذا ضابطُ آخرُ تَشَمَّر واهتَمَّ، واخذ يتصايح:

تلك الحقيبة 'تُفْتَحَ، أما هذه فتُحمل إلى الخارج، ماذا في هذه التَّفيفة ؟ حَذَارِ أَن يَكُونَ فَى ذلك الصَّندوق شيء محظور! فلا تكاد الكلمات تُتناثر من فه ، حتى تتحرك الحقائب

وما إليها من الامتعة غادية وانحة كأنما تحركها يد ساحو 1 ومشكنا أمام الجنوان ، كل منا يرتقب نو بَسَه ، فله هِمَنى شعور مم مصر "، شعور برى و تُهُد رُ كرامته ، يرى نفسه فى قاعة محاكمة وموقف إنهام ؛ كأنه أحد مهر " بى المخد وات ا

وأخيراً أفشرج عنّا ، فحرْ جنا ،طابوراً ، من بَهْ و ، الجمرك ، ومن حوْ لِنا الأهلُ والرِّفاق ... خرجْ الله ساحة المطار ، فإدا ، فإدا ، والمول، رابض أما منا، باسط جناحيه، على أهنبة الطيران.

كان باسمه التاريخي العتيق وهيكله العصري الحديث ، كا تما بحمع بين جلال الماضي التليد و مدنية الحاضر المشرقة الزاهية ... إنه رمز حضارة ين عظيمت بن : حضارة و مصر ما العريقة ،

وحضارة . أمريكا ، الفتية المتوثبَّة .

ولبثتُ لحظة " أتأمَّلُه .

لست جماداً يا , أبا الهول ، ا

ما أنت إلا مخلوق حى ، طارُ ضَخَه من فصيلة النسود والعيقبان ، بل أنت أخُو الرُّخ وصِنْو ُ الكَنْقَاء ، طارُ هامُلُ الجينَ م ما تدورُ عليه أساطيرُ الأورَّلين . . .

نحن مقبِلون على أن نحيًا معك في أسطورة جديدة نخطاها معاً في سفسر الوجود ا ما أجاك في لونك الفيضّي !

إنك لتتألَّقُ وَسُطَ الظلامِ كَشَعَاعِ الفَجْرِ ينتظرُ خلفَ أَستارِ الأَفقِ البَعِيدِ .

مَنْسُلِمُكَ أَرُوا حَنَا أَمِهَا الطَّارُ ُ العَظْمِ ... فَهَى وَدَيَعَتُكِ، إِنْ شَنْتَ كَنْتَ لَمَا نِعْمَ الْحَافظُ الْمَانِ .. الله مِنْ . الْحَافظُ الله مِن .

وتلفّت عولى ، فإذا بى أنا وزوجى يحيط ُ بنا المودِّعون . إذ ًا حانـَت ساعة ُ الورَدَاع ...

وشعرتُ بفتة كأن قلبي تَمْسِصِرُه يدُ قاسية ...

و اُارت بی فجأةً ذِكْرَ يَـاتُ ... ذكر بَـات ُ يَزْحَـم به ضُها بعضا ... ذِكْر يَـات َ شَتَى جليلة َ وتافهة ١

فى هذا الموقيف الدقيق تتخايل لنا حادثة قديمة ليست بذات بال ، أو يبدو لنا وجه من نع جَب كيف انفسح له مجال الظهور؟ وتتداعى المشاهد فى مختَيِّلتَذنا ، وتتلاحق سراعاً ، حتى تتجمع كلشّها وكأنها تدور حول محمور واحد ولا تفتأ تدُور. ونبدأ نود عهم مصافحين وننظر إلى المودّعين نظرة ساهمة ، ونبدأ نود عهم مصافحين أومقبلين ، وتشور في النفس رواقد الشجون ، وينكشف للمرمنا تفاهسته العجيبة، وتنهار في لحظات تلك الشجاعة التي تنفسنى بها مفاخرين ، فنغدو نحن الرجال أمام ودَاع طفل صغير قد تصاغر نا وأصبحنا في مثل حجه وعقله وشعوره!

أى أَبْنَى :

إن و داع الأحياء رائع ثمثير " لا تُخفى كوامن الشعور ، ولـكن ثِقُ أنه لا يُقاس بشيء أمام وَدَاعِ و الراحلين ، ا

إننا حين تودِّعُ الحَى فإنما نشاهدُه ونكَمْ سُهُ ونناقلُهُ الحَلام ، أما والراحلُ وفإنما نستشعرُ وجودَه فحسب . . . إنه يبدو من أغوار الظلمات ليطالعنا من بعيد ، متخذاً له مكاناً نائياً عن الزحمة والضوضاء ، لا نشافهه بحرف ، ولا نود علم بقبُسُلة ، ولا نبادلُه شيئا حتى الإشارة والتلويح !

ثمة َ نظرات صامته ، تصحَـبُها ابتسامات رقيقة كلُّها صفا. وحنين .

هــذا الطيفُ الرقيقُ يظلُّ فى أفقه ، لا صلةَ بيننا وبينه إلا صلةُ الروح بالرُّوح . . .

أى بنتي :

ها هو ذا كلُّ شيء قد اختفى من حولنا ، فلم يعد إلا أنت وأنا وحد نا .

لفد تزايلت أصواتُ الاحياء بما تحدملُ من تحية ونوديع، و بقيت أنت .

ا أنتَ الواحيدُ الذي ما زلتُ أراه .

إنك لَمَلاً على الرِّحَابَ والآفاق.

وإنى لأحسُّ وجودَك إحساساً كلَّه صدق وبقين . . . وجودَك مادةً متجسَّدَةً لا طيفاً من عالمَ الرُّوحِ ا

حقًّا إن الموت لاجحَزُ من أن يفرِّقَ بين حيبَيْن .

إنه ليوهمُننا أنه أقام بيننا الفواصلَ والحدود .

زُورٌ وَبُهُمْتَانِ ا

ما أغفلك أيما الموت ..

تحسب أنك انتصرت ، وما أنت الا منهزم مقهور ا

... و صعيد نافى الدَّرَج ندخُل ، أبا الهول ، . و عبْ ننا فى اجوفه ، فكا ثما التَّقَدَننا حُوت ا وطافت مُخيَّلتَى قصة ، يونسُن، فساه لت نفسى: أيكون حالُنا كحاله ، ومآ لُنا كآله ؟ وقصدت أحد المقاعد ، فتهالكت عليه .

وسمعت ُ صوت َ الباب يُدْفَع بشدَّة، فإذا هو يفصلُ بيننا وبين عا لم ِ الأرض ا

وتراءت ْ لاعيننا جملة مكتوبة مكتوبة أحرف من نور:

والتدخين غيرُ مباح . . . ليَشُدُّ كُلُّ مَنْكُم حِزَامَه . . والشَّدُ كُلُّ مَنْكُم حِزَامَه . . وسرعانَ ما شاهدتُ شابًا طلق الحيَّا في حُلة رمادية رسميَّة منطقُ كُلُ جارحة فيه بأنه أمريكي أصيل ، فدنا مني في تلطف ، وأخذ يُعينني على عَقْد النُّطاق حولى ، فأصبحت إلى مقعدي مشدودا لا أستطيعُ البَراح .

وبدأت المحرّ كاتُ تُدوّي ، وأحسست ، أبا الهول ، يتحرَّك ، وما هي إلا أن رفع هامتَه ، فإذا نحن بعد لحظات نشق الاجواء صُعْداً إلى السهاء، تحبِّينا بسّمات السَّحرَر ا

٦ ابريل من ١٩٤٦

كانت أصوات المحرِّكات ما برحت تطين وتُدَوَى، والطائرة تمرُق فى أجواز الفضاء مُروق السهم، بل مروق النور، والطائرة تمرُق فى أجواز الفضاء مُروق السهم، بل مروق النور، وأنا عدَّد على مقعدى الفسيح الو ثير، ذلك المقعد الطيِّع الوديع، فإنك بلسة واحدة تُحيله سريرا بمهَّدا، وبحركة خفيفة تُعيده مقعداً كما كان . . .

وشعر تُ بحفى تشاقلان ، فأنفذت بصرى فى جهد من الطاق المجاور لى ، لكى أستوضح مكاننا فى الجو ، قبل أن أستسلم للشبات ، فلم يطالعنى إلا ظلام بدأ يشيف وترق غلالته . ولمحت ابنسامة الفجر تلوح فى حياء وخفر من وراء الافئن ، كما تلوح ابتسامة العذراء خلف النقاب ا

ورَجَعَتُ البَصَرَ أَردُده فيما حولى ، مجدونى فضول ، فعلم أجدُ إلا أجساداً ترامت فوقَ المفاعد ... ولا حظت اختفاء اللوح ِ المنضىءِ الذي كان يُعلِنُ حظْرَ التدخين ويأمر بِشَـدُّ الاحرَمة.

وبدت حسناة أمريكية السَّحنة تتداني مني في حُلَّتُها الرمادية الرسميَّة ، لتُعينني في تلطُّف على فك النسِّطاق ، ولتبسُط على رُ كَبِيَّ د ثاراً من الصوف ... إن النساء حقًّا بقلو بهن الرِّقاق لماهرات في فك إسار السَّجِين، وتفريج شدَّةِ المكروب، وإنهن َّ بغريز تهن َّ الأصيلة لما هرات أيضاً في تصفيد القلوب ا وأخذَ الحَرَى يَعَا لَبُنِّي ، فشعرتُ مِحَفْنَيَّ يَتَرَاخِيانَ . . . وإذا بشبحي الفتاة والفتي الأمريكيتين في لبُّو سهما الرمادي يتخايلان أمامي متزايلُهن . . . إنهما أقربُ ما يكونان تشمآ بكواكب والسينما ، الأمريكية ، في وسامتهما ، في رشاقتهما ، في شمائلهما العيد آب ... أفي طائرة نحن تقصد موطن والسينماء أم نحن في و هُليود ، نفسها نشتركُ في تمثيل وفلم ، عظيم ؟ ١ واستبد في الكرى، وأحسس فُشَعْر برة البرد تَدْ تَظِمني، فتجمَّعْتُ على مقعدي أتلفَّفُ بالدِّثار ، وأسلمتُ نفسِي لنوم عميق.

وأيْـقظني صوتُ يقول: « أتينا ، بعد دقائق.

واستمر الصوت يدد قوله وقتاً ، وإذا باللو ح المنهاء يعود ، فقر أنا : والتدخين غير مباح . ليشد كل منكم حزامه. وامتدت يدى إلى الشطاق أشد ه ، وألفيت أشعة الشمس قد تسللت من الطاقات ، وأخذت تعبَث بنوم النائمين ا

، أينا ، بعد دقائق . . .

نظرتُ في ساعة يدى ، فا لفيتُما الثامنة صباحاً .

لقد عبر نا سماء « بحر الروم » في ثلاث ساعات و نصف ساعة.

يا سبحان الله 1. . . هذا البحر العظيمُ تعبرُه البواخرُ في أربعة أيام ، وكانت مراكبُ الاقدمين تعبرُه في أربعة أسابيع : فها هو ذا الاسبوعُ ينطوى في يوم ، وها هو ذا اليومُ ينطوى في ساعة ا . . .

ماذا يخْبأ لنا العقل البشري من أعاجيب؟ ماذا يضْجَوُ أنا به الزمن من أحداث الفد؟

ماذا يكون من الأمرِ إذا تمَّ اختراعُ القذائف تدفّع الطائرة من أقصى الأرجاء إلى أقصاها فى غنّه ضة عين ؟ ...
رَبُّ اد حم الأرضَ من عقول شياطين البَشَرا

و تطلعت من الطاق ، فرأيت ، أنينا ، تنسبسط تحت أنظار نا بأبنينها المتواضعة الساذَجة ، وخُلُجًانها الرشيقة المنتعرجة ، وحقولها التي تتخليّلها المروج ، وجبالها التي يبدو بعضها مُور قاغير ماحل ... و تراءى لنا ، الأوكروبل ، بأعمدته كأنّه على البُعد يخف لاستقبالنا طاويا إلينا سوالف العصور اوما هي إلا أن أسفّت الطائرة تصافح الارض . .

إنها «أوربا» التي نخطئو عليها ، وكنا قبلَ سُورَيعات نخطو على أرض « مصر » . . .

أى « ه صر ُ » ياوطنى الحبيب َ : إنه ليفصلنى عنك الآن بحر مو اج عِمَّاج ، أميال وأميال ، وإنى لأحس على الرغم من مُشُولِ الطائرة لعينى ، ودلالة الساعة على قصر الزمن بينك وبينى ، أنك قد أصبحت بعيدة المنال منى !

ورأيتُنَى أَد لِفُ إِلَى مَعْصَفَ المطار: بَهُو ساذَج غيرُ فسيحِ المُخْسَبَات، مُكدَّتُ فَى أُرجائِه الآخو نَهُ المستطيلة. وقبلَ أَن أَملًا منها عيني وجدتُها قد عَصَّت ْ بالقُصَاد، كانهم سرب من الجراد يُطنبِقُ على حقل خصيب... ووقفت خلف خوان

أتلفَّتُ حولى في عَجَب، وسُرعانَ ما ظهرت عادتان إغريقيتان تحملان صحّاف الأطعمة وأكواب الأشربة تطوفان بها على الجالسين في سرعة خاطفة . وما هي إلا أن انطلقت الأيدى تغدو وتروح بين الصِّحاف والأفواه ، وانثنت الاسنان تطحن وتلوك، وسمعت ُ قرقرة والقهوة، تُسْكَبُ في الاقداح ، وتندلق في الاشداق ...

وبینها کان بحثری ذلك فی حركة دائبة ، ظلِـالْتُ فی موقفی خلف َ الحِوَانِ ، تقطلتُع عینای فی صُمْتِ وسكون.

وأخيراً سمعت ُ صوتاً دَفِيناً يتعالى من صميم أحشائى ، وكا ُنه يقول : أَتَظَلُ ْ تُرقنُبُ ُ المُعرَكَةَ دون أَن تَخوضَ عِمَـارَها ؟!

وشعرت على الفور بالخمية تَتَقد بين أضالعي، فَصَحَت عزيمى على أن أعْمل . فلبثت أترصّد لغادَتَى المقصف ، كلما طلعت إحداهما ناديشها أذ كثرها بأن ثمة جندينًا قد أخلفه الحضّط، ورمَى به في ساقة الرَّكْب ، يطلبُ النزول إلى الميدان، ليسترك في الضرب والطّعان . . . ولكن ندائى لم يلق أذ أن صاغية . . . كانت الغادتان لا تُعيران وجودى أيَّ التفات ، إنهما تذهبان و تَشُوبان كا نهما دُميتان صَمَّاوان ا

ليست بكما رقة "يافتاتكي المقصف، وليس لَـُكما مَسحة من جمال الإغريق التَّـلـيد!

أينَ ما تَـعَـنُى به شعراء الزمن من تلك الرَّفَّة وذلك الظَّرُ ف؟ أين قَـوامُ « فينُـوس ، الذي فَـتَـنَ الاجيالَ ، وغدا مِقْـياساً للوَسَامة والفُـتُـون؟

لستما إغريقيِّ نـْـن وحقَّ الآلِهَــَة ١... ما أنتما إلا مخلوقتان يونانيَّـتان صُبَّـتا في قوالبَ أمريكيَّــة زائفة ا

وكاد يُدر كُني اليأس، وحسيبْتُ أنى لن أصيبَ فَطُنُورى،

وبدأتُ أستميدُ ماوَعَتْ الذاكرةُ مما تَفيضُ به صُحُفُنا المصريةُ في مُسْتَهَلِ شهر رمضان من فلسفة الصَّوم، وما يُفيئه على الجسد من بركة وخير ... وكنتُ أُجتَرُ هذه الخواطر في الستمتاع، وأه ضيمُها على مَهل !

وصحوت من تفكيرى على يد كريمة تحتيدبني إلى مكان تخلّي عنه صاحبُه، يد زوجي وهي تُقول : أُسْدرع ، فليس في الوقت متسّع ... يبدو لى أن زوجى لم تشاركنى التفكيرَ فى فلسفة ِ الصوم ، وما فيه من تطهير ِ للنفس وإصلاح ِ للجسد !

وأقبلت على الطعام والشراب . . . إنه طعام أمريكي من الصّنف الشائع : عصير « جريب » ، « فروت » ، ضرب من الفظائر مشرب " بسائل البيض ، قهوة " فيها مز اج من لبن ، إلى شكر رات من زُبُد ، وقليل من مُر بَّيات .

وفَنَيَتُ الحَمْس والثلاثون دقيقة التي منحنّاها للراحة في وأتينا ، فارتفع صوت يدعونا إلى مفادرة المقصّف، وهُم عَنَـا الله الطائرة . . .

صوتُ الباب يُعفلُ ، ذلك الفاصلُ الحديديّ بيننا وبينِ عالم الأرض.

الحر كاتُ تُدُوتي.

عُروج إلى السَّاء . . .

حَلَانا و أتينا و ورحلنا عنها ، دون أن تكتَحلِ أعينُنا عبرأى شيءِ منها.

أحسنُ ما ظفيرْتُ به من وأتينا ، هو تلك الذُّ كُمْرَياتِ التي طافتُ برأسي ، فارتقَتُ بي وقتاً إلى سماواتِ والأولمبِ م أشهد الروائع من أساطير الأوَّلين.

هذه إحدى مساوى. الرَّحْلة بالطائرة ١ . . . إن الطائرة للمرَّ بك على المدائن مَرَّ البرْق ، فلا تركى منها إلا ظلالها ، أما معا لِمُها ومجا لِيها فلا تستمتعُ منها بقليل ولاكثير .

وغلبني الكرى ثانيا...

ويحَـك من زائر بغيض في هذه الساعة الفريدة أيها النومُ العتى " المعتى الله التحريمُ في أن أشهدَ ما يجرى حولنا وما يلوحُ تحتنا من ملكوتِ الله ! .

وماكدتُ أراجعُ يقطى، وألتى بنظرة من الطاق حتى طالعى بحرُ تسبَح فيه جُرر تسترعى الانتباه بحمال أوضاعها، ورشاقة حجرُو مها،كا نى أقلتب الناظر في مصورٌ رِجنر اللهُ بحسم ما تتحلى به المتاحِفُ الحديثة.

ثمَّ ما عتَّـمْنا أن وجدْنا أنفسَنا نحلِّق في آفاق . إيطاليا . : جبال وسهول ومروج .

فسرَّ حْـتُ عَنِيَّ ترتويان من خلا َ بَةِ هذه المفاتن ...

وما بلغت الساعة منتصف الواحدة بعـد الظهر، حتى تجلَّت، روما ، بمبانيها العظيمة، وقبًا بها الرائعة .

هـ وط ...

خروجُ إلى مَبْنَى المطار... لم يَرُعنْ امنه جديد. أمامه ساحة عدودة مُسَوَّرة ، أطلقونا فيها لنَروض أقدامَنا على الخَطُو، عدودة مُسَنَّ أبها بين ذهاب وأوبة نمُدتُ أبصار نا فيما حولنا نستطلعُ الجديد من الوجوه ، فكمأننا قطيعٌ من الحيوان في حظيرة ننظر إلى نَفَر من المتفرِّجين ا

وقضييْنا فى تلك الحظيرة الآدميَّة ساعةً ، ثم عُدنا إلى الطائرة ، وعادت هى تستأنف ُ التحليق .

وخلو تُ إلى نفسى أقيد خواطرى ، وأنا عدد موت رقيق المقعد السّحرى ، وما هى إلا أن صافح أذنى صوت رقيق يسترعى انتباهى ، فإذا الغادة الأمريكية ذات الحليّة الرمادية الرسميّة تضع على ركبي صينيّة بلّور يّة يتأرّ جُ منها شد الطعام . وجعلت أقطلت إلى الصينية معجباً بها ... لقد قسسمت أقساما عتاز بالدّقيّة والاناقة والنظافة : هنا موضع محتاته إناء الحساء ، يرافقه موضع لقدح القهوة ، يناصر موضع ثالث لكوب من الحرية بعصير ، الطاطم ، وهناك ركن يَرْ خَر بلحم وأشستات من الحرية من الورق محوى جانباً من المربّى ، وقطعة وشيقة من الفظير .

ها قد بدأنًا نتذوق معالمَ ﴿ أَمْرِيكَا ﴾...

وانبریت أتناول طعامی فی شهیئة نادرة ، تغمرنی طُهُمَانینة ودَعة.

أين وَجُبَّةٌ ، أتينا ، المرهِقة ُ الخاطفة ُ من هذه الوجمةِ الهنيئةِ المُرْيحة ؟!

وآ نست فى حركة الطائرة اضطراباً كاد ينفلت منه كُوب مع عصير والطاطم ومن يَدِى ... فتلفَّت أُ أَبِيَّن الأمرَ فى ازعاج، فإذا بالطائرة لانفتاً تضطرب ... تُصُوّب وتُصَعِّد... وتذكرت ما سمعتُه قبلاً فى شأن وجيوب الهواء والتي إذا صادَفَتْها الطائرة فى تعليقها تعاشرت خطاها .

وتكرَّر هذا الإضطرابُ وقتاً ونحن نترنَّحُ في مقاعدنا ، وحيالـنا الصوانى تتراقيص ، فنحاولُ أن نتابع أكْلُـنا ، نوهِمُ النفسَ أنْ ليس في الأمر ما بَريبُ ا

و القيتُ بنظرة من الطاق ، فألفيتُ الطائرة تعملو على السُّحُب، تمرُّ من فوقها في زَهمو وخُيلاً.

ومرَّ ذو الحلة الرمادية الرسميَّة بجانبي ، وابتسامتُه تحليُّ

مُحَيَّاه ، فوجدتُني أستوقفُه لاحتظى منه بكلمة يَـُطمَـــَانُ إليها القلبُ ... فقلتُ :

رحلة لطيفة ا

- من ألطف الرحلات . . . إننا نعلو على سطح البحر نحو ثلاثة آلاف متر ، ونسير بسرعة ما تُنَى ميل في الساعة . و تبادل نا رقيق الابتسام .

وعدتُ إلى كُوبِ , الطاطم ، أَشْتَفُ مَا فيه ، وعادت الطائرةُ تعابِثُنا بخطاها المتعثرات .

ماذا بك يا دأيا الهول ، ؟

لقد كنت رزيناً وقدُورا، فما با ُلك تخلَـعُ ثوبَ الرزانة والوقار، وتمضى متراقِصاً متخلِّعاً ؟

معذرة أ. . لا تَرَاقَ صَ منك ولا تخلَتُعَ ، إنك 'تر يدنا على أن نحس وجودك ، وتعر فأننا أن أروا حَـنا رَهْ ن مشيئتك ، وأنك شديدُ البَـاس في مجابهة الطبيعة ومناو أق الرياح!

على أن وأبا الهول، ما لبث أن عاودَه وقارُه واترا ُنه ، فاستَأنفُنا الْأكلَ في هدوء واطمئنان.

ولاحت معالم ، سويسرا ، تحت الانظار . . جبال

شوائح تعتم قم منها بناصع الجليد ، كانها نستاك من الشيوخ متعبدون عليهم جلالة ومهابة ، ترفيعوا عن زحمة الحياة وضجيج الارض ، تخلو الله أنفسهم معتكفين . . وهنا وهنالك نُقط متناثرة ، تلك هي البُحَيْر ات السويسرية ، تشيخ ص إلينا ملتمعة كانها أعين الغواني تحاول أن تُوقِعنا في حبائل الفتنة والسيّحرا واجْتَر نا المِن طقة السويسرية ، وان لَت تحيينا سما هو نساء . . .

لقد قطعت الطارة في رحلها شوطاً طيّباً.

وأصبحنا نحر رُفقة السفر، نشعُر بأننا أسرة واحدة ، وبطنا أواصر مودَّة وصداقة ليست وليدة ساعات ، فإننا ليَحتي بعضُنا بعضاً من قريب أو من بعيد ، بمناسبة أو بغير مناسبة ؛ وإننا لنتهادكي الابتسامات ، وإن لم يكن ثمة ما يبعنث على الابتسام. وقد يرى أحدُنا تحلقة من رفاق يخوضون في حديث ذي شأن ، في قديم نفسته بين المتحد ثين ، ويطارحهم الرأى ، ويبادلهم النقاش ، دون أن تكون له جم سابق معرفة أو مخاطبة ا

لقد شيل الطائرة جوهمن ملاطفة وإيناس . كُنْنَا أفراداً

مناينين، مختلفين أشد اختلاف، يقنا المُسْلِم والمسيحي والإسرائيلي ، المِصْرِي والامريكي والفرنسي واليوناني والإيراني ، الكاتب والطبيب والدبلوماسي والاقتصادي ، الصي الناشيء والفتي الفارع والرجل الناضج والشيخ الهرم. وعلى الراغم من ألوان هذه الفروق لم نسكن نحس إلا أننا لادم نشتسب، وأننا إخوة متو افقتون ، لاحقد ولامنافسة ولا كرياء ، ولسكن تعاون و قال أنف و و نام ،

بُور ك فيك ، أبا الهول ، ا

لقد صَهَرَّتَ في بُوتَـقَيِكَ الفِصَيَّة فُرُوقَ الجِنس والسنُّ والدين ، وأَحَلَّتَنا أَنَاساً مِن طَراز أَرْفَعَ وأَسمى من طراز البَشر!

وسمعنا صائحاً يقول:

سنَهُ عِلْ ﴿ بَارِيسٍ ﴾ بعد هنيه .

ووجدتني أتحسّس وجهى، فاصطدمتُ بتلك الشُّعَـرات الحُـُشـنة تملاً عار ضي . . .

وَيلاه من اللهُ اللَّحْيَى الكريمةِ النَّى تطلِّق لنفسِم احريةً النُّمُو فَي غير حياء ولا تورزُع . . .

لقد نسيتُك ياصاحبي ا

سأقصد توا إلى المتغسر لأزيلك في طرقة عين ...

ولكنَ أَنَّى لَى أَن أَتَركَ تَلكَ الْجَلْسَةُ المُرْيَحَةَ عَلَى مَقْمَدَى الوَثْيَرِ ، وأَنَا أَهِيمُ فَى آفَاقٍ من الذَّ كُثرَ يَاتٍ والأخيلةِ أَفْسَمَ عَا تَهْمِيمُ فَيهِ الطَائرة مِنْ آفَاق ؟

أنى لى أن أثرك مكانى حيث أستمتع بما أطلُّ عليه في مجلسي من روائع المشاهد ؟ . . .

أَيُّ صَيْرٍ فِي أَنْ أَنْ حِيءَ أَمْرَ اللحية إلى حين ؟

ولاحت ، باريس ، تحت الانظار ، ، باريس ، العظيمة ، غانية ' المدائن ، وفاتنة ' الحواضر ، وتحط الرِّحال من كل صو ب وحدّب !

ماكدنا نطأ الأرضَ الفَرَ نسيَّة ، حتى صاح بنا صائح يقول: الرحيل بعد ثلاثة أرباع الساعة.

فأسرعُنا إلى ساعاتنا تنبيَّن فيها الوقت ، فإذا نحن في منتصف السادسة ، ولكن سرعان ما نبهتنا ساعة المطار إلى أن الوقت هو منتصف الخامسة ، فأدركُننا أن الستين دقيقة هي فرق الوقت بين ، مصر ، و « باريس » ·

وخطو ما إلى مَبْنَى المطار ، فما راعنا إلا ذلك الصوت العَنِيُّ يصيح مجلجلا : المبيتُ الليلة في ، باريس ، !

وتبادلنا نظرات العَجَب والدهشة ...

لم يكن في بَرْ نَامَـج الرحلة أن نقضي ليلة في مدينة النور. فيم هذه المفاجأة ؟ أجد أمر ؟ وعرف البعد طول الته حرسى والا ستقصاء أن ليس الامر إلا نزوة من نزوات الطليران! ودخل اقاعة والجرك لننال قسط نامن العد اب والإعشات. وظهرت الاختام تضرب محائف الجوازات ، و نثرت الحقائب على الخوان ، ووقف نا أمامها صفاً كصف المسجونين ، كل في ينتظر دو رد وحسابه ا

وتركُّنْمَا القاعة َ يقودُنا رجل ﴿ رَبْعَة ﴿ أَشْقَرُ مِهِ لَ فِي يده

قائمة أسمائنا، وكانت القائمة لا تفارق كفّه، وهو لا يفتأ يردِّد النظر فيها، بحاول أن يَحُلُ طلاسمها ... ووقف بنا أمام السّيارة الحافلة التي أُعدَّت لنقله الى المدينة، وبدأ "يلـْق علينا تعليمات في شأن المبيّت والفُدُو إلى المطار ... كان أيلـْق هذه التعليمات بلغة فرر نسية صحيحة، ولكن بلهجة غير باريسية ... لعله من سكان و الالزاس، وما إليها : عين زرقاه ، وشعر منذهب، ومنجيع ...

وصعد نا فى السيارة ، فوقف الرجلُ ببابها ينادى الاسماء ، يستو ثِقُ من وجودنا ، كأننا تلامدة مدرسة يريد أن يُثبت الحاضر منهم ويعرف المتخلف .. كان يلفظ الاسماء فى تحريف يبلغ حد الشدوذ ، فيثير عاصفة من الدُّعابة والمدرَح ذكر تنى معابثات الصَّبية الاساتذيهم فى معاهد التعليم ، ولكن الرجل كان يتلقى هذه المعابثات بصبر واحتمال جدير يَن بالتقدير .

وانصرف عنما الرجل يستو في الغائبين، يتصيَّدهم فيها يلوح له من المَظَانَ ، فلما استتمَّ العدد تحركت السيارة الحافلة 'تقطعُ ضواحي ، باريس ».

وجُسْنا خلال الطُّرُق الفِسَاحِ تقوم على جا نبَيْها الابنية ا

الشواهق، وجعلتًا نطُوف بأبصارنا في تلك الأرجاء. أيُّ منظر هذا؟ ثمة ركود وتحبَّم وعُنبوس يبدو على الجادات كما يبدو على الأحياء سواء بسواء.

أفي د باريس، نحن حقًّا، وفي فصل الربيع؟

لم نكن نشهد من بحالى ذلك الربيع إلا شُجَيرات مورقة من حولها نثار ازهار تعالج في جهد أن تشفتح في إشراق وبلغنا الفيئدة وكان في جوار بهر والسين ، فندق من فنادق وباريس ، الفخمة المشهورة ، اختارته لنا شركة الطيران لنقضى فيه ليلة الانتظار، دون أن تسألنا على المعييت فيه أجراً . وحلكنا الفيئدة واستبان لنا من أول نظرة فيه أنه أشبه شي بشيخ طحكته السينون ، شيخ عليل مهدم ، يحاول أن عتفظ بأناقيته . . .

كان كان ه ذلك و الجنتلمان ، الهرّ م الذي أفلس بعد يَسَار ، وما برح أيصِر على الظهور أمامك في لـبُوس السهرة ، بشَمْلته التقليدية ، وعصاه السوداء ذات المرّ قبيض المُفَضَّض ...

و صعد نا إلى الفرقة ، فكان أول عمل قت به أن أطَخت من بتلك اللحية الكربهة التي عَدَت طَورَها ١

ولما استوفَينا حاجَتنا من الراحة ، هَبَطْنا إلى رَدْهَـة الفندق. إلى أين ؟

إلى و الكافيه دلابيه و . . . لنتناول قدحاً من تلك القهوة الممزوجة باللبن و مفخرة هذا المتشرب البعيد الصّيت . . . ولنحظى بحلْسة نستعيد فيها ذكر يَاتِ الماضى المحبّب، وننقل النظر في الغادين والرائعين من أهل و باريس و ، نتملنى ما يُهدُ و نه من رشاقة و أناقة و ظر ف ، وهم يتزا حمون على طوار الطريق يَغْمُ رُهُم فَيْضُ الانوار .

إلى « الكافيه دلا بيه » .

وغادَر ْنا الفندقَ نطلُبُ سيارة َ أجرة.

ليس عُمة من سيارات ترى ١

إذن فلنترجُّلُ حتى تصادِفَنا إحدى السيارات ، إن المَشْيَ في هذه الطرق الفسيحة الجميلة وفي تلك الساعة الهادئة الوادعة رياضة مستَحبَّة...

وجعلنا نسير ونسير ، ولانجدُ لتلك السيارة المنشودة من أثر. وكان الطريقُ يكاد يكون مُقَفِراً من المارة ، والسكونُ يبلغُ أن يكونَ مُخِيفاً يبعَثُ الوحشة َ في النفوس . أفي و باريس ، الضاحكة نحن حقاً ؟

وبدأنا نخترق ساحة ، الكونكورد، التي كانت في الزمن السالف تتأليّق، وتلبّس خليّة بهيّه من الزّخرف، فإذا بهااليوم قد ران عليها خمول، لا يُرى فيها إلا مصابيح هزيلة "شحيحة" الضوه. وبدت المستلمّة المصرية و سط ذلك التّجَهُم شامخة متطلعة في ترفيع وإباء كالنبيل المصنف بالاغلال . . . إنها هي وسط الظلام والسكون ، كما كانت هي وسط الانوار السواطع والحركة الدائبة . . . هي هي تلك الصّموت الابيّة تنتظر في صبر وأناة ساعة الخلاص ، ساعة الاوبة إلى أرض الوطن ا

والسيارة ... أين هي ؟

لاظلَّ لسيارة ، ولا ظلَّ لسائر!

وتأبَعْنَا خطانا صامتُ بن ، وقد بدأنا نُحِسُ الحسرة والإشفاق. وقطعنَا شارع ، رويال ، ومررنا بكنيسة ، المادلين ، وكانت مهيبة في كآبتها ،كأنها عَضبَى تَنْعَى على الإنسان ظلمته لاخمه الانسان ا

وأفضَى بنا الطريقُ إلى شارع ، الكابوسين ، ؛ ما أشبهَ الطرقَ بعضُها ببعض فيما يُخَيِّمُ عليها من إقفار وإظلام وُخمود .

وهذه و حُمْهَاتُ المخازنوالمتاجر التي طالما تَبرَّ جتُ الناظرين والرُّوَّاد في نضارة وتأثّق ، وتحبَّبَتُ إليهم بابنسا مها الخلاَّب في لُطْف وإيناس، يُخيِّلُ إلى أنى أراها اليوم تزيغ ببصرها عنا و تنشر وي منكمشة في خجل واستحياء، كأنها تستنكفُ أن تكشدف بأسامها لانظار ذوي الفُصول!

وأخيراً انتهَ بنا إلى والكافيه دلابيه ، وقد شكّت أقدامُنا بُعد الشُّقّة وطول المسير.

واختر نا مجلسنا على الطّوّر ار: حولنا موائد منثورة لا يَمْمُرها إلا قليل من الرُّوّاد، ومن هم ؟ أكثر من نرى ضُباط مُ أمريكيون ومن على شاكلتهم ، يقضُون الوقت في ذلك الجو "المُوحِيش الكثيب.

وأقبلَ النادلُ في مُسترَته البيضاء التقليدية ، فما إن رأيناه حتى بادرناه بااطلَّلب: قهوة عزوجة باللبن ، وفطيرة « الولش » .

إنك إذا ذكرت والكافيه دلابيه ، فأنت لا بدَّ ذاكرُ حتماً هذَيْن الصَّنْفين الكريمين من الطعام والشراب .

ووقف النادلُ يقلب فينا نظر المستطلِع، ثم همهم:

يبدو لى أنكم غُدرَ باه ا وانحنى غلينا هامساً : هل لحكم فى نصيحة ؟ ثم انثنى يقول : لدينا شىء يسمنى قهوة ، ولكنه ليس بالقهوة ، ولست أدرى مِمَّ يصنعونه ؟ شراب لا يُساغ ا

_ وفطيرة « الولش » ؟

_ لم تبعق لها من وجود . . . لقد اختفَت منذ أعوام ا فقلتُ له وأنا أزدردُ ريق :

ماذا تَنْصَح لنا أن نطلُب ؟

_ كأسا من شراب ... إن « باريس ، لا ميسيها أن تقديم

_ ولكننا لسنا من مُعَاقِرِيها . . . وفوق ذلك نريد أن نتبكّ بشيء .

_ إذن عَصِير فاكهة ، وقطمة من فطير متواضع .

_ أحضر لناما بدالك.

وغاب عنا النادلُ ، وتلفتُ حول أنطلَتُ إلى جيرَتِنا في القهوة ، فإذا بفرَ نسى جهم الشُحَيَّا عن كَتَب منا يُخالِسُنا النظر ، ويُرْ هفُ إلى حديثنا السَّمْع ، وكأن لسانَ حالِه يقول :

ما لهؤلاء الفرباء يَــُـطُرُ قَـُـونَ بلادَنا ويزاحمو نَنا على ما بَقِــى لنا من ما كل وشراب ١٤

وأقبلت علينا حاملة الفطائر ، تحمل الصينية المعهودة ، خاول نا أن ننتقبى شيئاً من قليل ما حوّت ، وبعد جهد جميد وقع اختيار نا على قطاع عجماف . . .

إن الفطائر كصاحبتها تصد النفس، وتقشُلُ الشهيئة ا وحاولُنا أن نَمْضَم من الفطير جانباً ، فأَعْيَتَنْنا الحيلة ، فتركناه في غير أسف عليه .

وظهر النادلُ محمل عصيرَ الفاكهة ، وأفرغ في أقداحِمَا قارور تَيْن صغيرتين ، ثم وقف يتأمَّلنا ، فقلتُ وأنا أُصَعَّد النظر في وجهه الكاسِف المهزول :

أشد ما تغيرت « باريس ، يا صاح ِ ا

فأجابَ شارِدَ النظرات:

شد ما تغيرت . . . شدها ا

ثم توهجت عيناه بغتة بر ميض قوى ، وقال في لهجة الواثق المؤمن :

ولىكن ، فرنسا ، ستستردُّ نشاطها ومظاهر حيو ِّيتها بعد قليل . . . كلّ شيء سيعود ُ إلى سابق عهده .

- حتى القهوة الممزوجة باللبن، وفطيرة « الولش ، ؟! فابتسمَ في خَلَوْف ، وأجاب :

كلّ ماكان يروقـُك هنا ستراه لا محالة . . . أراهنـُك على أن عاماً واحداً كفيل بعدو د كل شيء إلى حاله ا

_ أحسنك متفائلا . . .

_ وكيف لانكون متفائِلِين ، وقد اجَـتَزْنَا أعظمَ الشدائِد والأهوال ، وخر ْجنا منها سالِمين ؟

_ لقد مَـرَّت بكم مِحنة " قاسية " .

_ إنها الأكر ُ محنة مَرْت ، بفرنسا ، منذ أقدم العصور ولكن ثق مع ذلك أننا نحن جيش المنشا و مَة لم نكل ق صما بآ يَعْجِر ُ عنها احتمالُنا ، فقد ما رَسْنا الصَّعاب قادرين !

ورأيت الناد لا الباريسي تتقلّص فسمات وجهه تارة و تنسط أخرى، و تتقد عناه طو را و تخبّو ان مرة ، وهو يسترسل في الكلام يصف عَهد الاحتلال الألماني وما اضطاع به جيئش المقاومة .. كان يتدفّق في حديثه أيما تدفيق ، الجل والالفاظ تتواثب ويصارع بعضها بعضاً في حرارة وسرعة واختلاط ، تتواثب ويصارع بعضها بعضاً في حرارة وسرعة واختلاط ،

حتى إنى لم أعند ألاحقه فى الفَهْم أو الإستباع ... واكنه مع ذلك كان رقيق الأدب فى حديثه ، يخاطبُك بلهجة الفرنسي ذى القلب الإنساني الكبير .

إن الفرنسي في د باريس ، إذا حدَّ نُنَك راعَك َ بما يصطبع ُ به حديثُه من صِبْغَة رفيعة . إنه يجيد ُ التحدُّث عن الحرية والمساواة والإنحاء ، تلك المبادىء الاصيلة والاسس القويمة التي نهضت عليها الثورة ُ الفرنسية ُ الخالدة ُ الذكر والاثر !

ليت شعرى أي فرنسي إذن ذلك الذى نلقاه فى مثل وتونُس ، أو و الجزائر ، أو و مَرْاكُش ، ذلك الذي إذا تحدَّث إليك حول هذه المبادىء الإنسانية ليو نها بألوان المنصور رات الجغرافية البغيضة ، وكساها تُحلة من لُه المؤتمرات السياسية الدَّوَارة ، ذلك الذي يبدو أما مَك دائماً في زيِّه العسكري صُلْب الوجه خشدن الصوت يأمر ويَدْمَى غاشِماً متحكا يحاول الإقناع بمنطق الحديد والنار؟!

وجاز بنا بائع 'صحف ، ينادى بلهجته التقليديَّة ، فابتَ منا منه صحيفة 'يوميَّة من أمهات الصحف الباريسية ، فألفيناها ورقة واحدة 'تكدَّسَة 'فيما الاخبار والموضوعات تكدَّساً 'يعشى

النَّظ ... باسبحان الله ١.. لقد عَلَّمَتك الاحداث أيها الباريسي الله ثار ُ أن تعرِف فضيلة الإيجاز ا

نهضنا تاركين والكافيه دلابيه .

إلى أين؟ ... أإلى الفُندق؟ إلى مصاحبة ِ ذلك ، الجنتلمان ، الهرم الذي أفلس بعد يَـسار؟

نع

2,0

مر

فل

1

19

وحَوَّمَتُ في الخاطِر أفكار شتى ...

لم لا تَعْتَمُ الفرصة ، فنجوب أحياء و باريس ، ؟

إذن إلى سيارة الأجرة . . . ولكن أين ذلك الصديق الذى صدّعناً ولم يشأ أن يطار حنا و د" أبود ؟ إنه كثير التّجنسي على مم يديه ، لا يظهر أأمامنا إلا كما يلوح البرق الخاطف!

و وجد الرحيال من كبة أجرة ... و جعلنا نتفح ص المركبة و قتاً ذاهل من ... أفي و باريس ، نحن أم في و السنغال ، أم في و فاشودة ، ١٤ ... لقد عاد اللحوذي الباريسي إلى الظهور بعد أن طال اختفاؤه أعواماً مديدة ... لقد مطورد بقسوة من العاصمة حتى أفنص عنها ، ولم عبا ، ولم المنا و للفسيه ...

إنه يعود ، ولكن على أى نحو يعود؟

من أين جئت بمركبتك أيّهذا الحوذي المحطّم؟ لابد أنك ابتعثها من سُوق الاستقاط وباليات السلع ا...إنها خليط غريب من حضارات متداعية، تكادكل قطعة منها تمثل عدا بعينه ... إنها أشبه شيء بشو ب تكاثرت فيه الرّقاع وتباينت . حتى الحصان ، ذلك الهيكل الضّخم الاعجف ، يخيّل إليناأنه في مظهر و مستكوف في أصيل، جر جره ونابليون، في عودته الحائبة من دروسيا، فيق كسوء حظة نسياً مَلْسِينًا طوال تلك السنين، فلما اشتدت إلى مشله الحاجة في هذه الأيام الشّداد ، جيء به فلما اشتداد ، جيء به

لن نرد ابتسامتَك المتنصَّنَة على وجهك المحتقين، المُثمّربِ إِلْرُولِ الْأَنبذةِ ، أَيُّهَا الحُوذِيُّ الخَرِبُ ا

و صَعِيدٌ نَا فِي المر ْ كَبَةِ ، وَنَحَن نَتَحَسَّسُ مُقَاعِدَ نَا ، حَتَى لا تَهُوى بَهَا ، أَو بِالْاحرَى لا تَهْوِى بِنَا !

وأطلَّ علينا الرجلُ من عَرْشه المنزلزل الأركان ، وأخذ 'يقلنبُ فينا عينيه المحتفنتَيْن الناصلتيْن هيهة ، ثم همهم بفرنسية 'متا كـــّلة .

الجوالة بستّمائة وفرنك.

فقلت له في دهشة:

الجولة بسمائة ، فرنك ، ؟ . . . ثق يا صديق أنسا لسنا من ، الأمريكان ، ا

فا عاد الرجلُ جملته وهو يتعالى على عريشه، ووجهُ المربَدُ يزدادُ تجعُدًدا، ولم يشاءُ أن يزيدَ حرْ فأ . . .

ثم بدت منه إشارة أشعر تنابان صديق نا الحدودي دكتاتورى المنذرَع ، لا يقبَلُ مساومة فيما يصدر من أحكام ا

يأبى هذا الاحمقُ إلا أن نكونَ ، أمريكانيين ، أثقلتُ ، الدولاراتُ ، تحافظتنا ، فضيْنا نبعثرُ ها يمنةً ويَسْعرة ... فلنكن كذلك ساعة في ضيافة ذلك الحوذي المخمود! وبدأت المركبة تشكر كر ، يتحاملُ بعضُها على بعض ...

وقطعُنا شارع والطليان ، ... ما برح هذا الشارعُ محتفظاً باسمه في و باريس ، على الرَّغم مماكان من أحْدَاث ا

وأفْضَيْنا من ساحة إلى در ب، ومن در ب إلى ساحة إنه هو هو ذلك التجهُمُ والعُبوسُ والحودُ يسايرناحيثُ نكون. ثمة مشاربُ مقفرة على مراحل من الطريق ، تنبعثُ منها أحياناً فلولُ أضواء تتسر بهنا وهنا لك تنشهُ دالر و ادَى مُجهْد ، حتى إذا ما خاب مسعاها تمزُّقَتَ أشلاء ، وضاعت في الفضاء ١

وقد صادَفْنا في بعض الطريق مراقص كانت في عهدِ ها النفارِ آهلة بالقصَّاد، زاخرة بالحركة والصَّخب، فبدت لعيوننا في أبهائها أشباح ثر تُروح وتغدو، أشباح شريلات شواحب ، أولئك هن عواني اليوم من الصبايا القاصرات ، كن يتردد ن بين موائد شاغرة صامتة ، فإذا لمحن قادماً هَزَّه الشوق إلى مثل هذه المراقص ، تهافَت عليه تهافَت الفراش على التور.

وقد يتنفيقُ لنا ونحن نمخُر الطريق بمركبتنا العرجاءِ أن نلاقى مركبة أخرى تحميل ثُلثة من الأجانب، يحولون مثل جولتنا، علم أوقعيهم سوة الطالع في يد أحمق آخر على غرار صاحبنا الحُدودي المخمور، لن يعفيهم من تلك والفرنكات، السمائة التي فرصت علينا إتا وة ظالمة ، فإذا بنا نبادلُ هؤلاء الرفاق على البُعد تحيية اللقاء متصايحين، كا يتبادَلُ النَّواتيُّ _ إذا تلاقت سفائنهم وسط العُباب _ تحايا الأمان والسَّلام المناه المُعابية من الله المُعان والسَّلام المناه ا

وما هي إلا أن تُتابع كلُّ مركبة جرجرتَها، وتعودَ إلى القَصْر الممدُود نشقُ غياهبه!...

وقَفَلُنا إلى الفندق، فصَعِدْنا إلى حجر تنا، وما لبثنا أن شَيَّأُنا للنوم مُمَثْ صَبِين

وأشرق علينا مصبحُ اليوم الخامس من و إبريل ، فتناولنا فتطنُوراً حوى خراً أسمَر ، وقليلا من الزُّبد ، وقهوة لها من القهوة لوُنها واسمُها .

وهَبَطنا بعد فترة إلى ردْهَة الفُنْدُق، تتأهَّب للرحيل. ولبثنا ننتظر ... كَنَا أُسرة الطائرة، تَحْمَلُ كُلُّ رُفْقَة مِنَا تاحية من الردهة وبجانها أمتعة ُ السَّفْرَ ... وقد تخيف " أحدُ نا السؤال عن مو عد قيام الطائرة ، ومنى يحين أن تنادر الفندق ؟. ولكن سرعان ما ينقلبُ المسئولُ سائلًا ، وتدورُ الأسئلة المنظرية والأجوية المهمة في حلقت مفرعة لا يدري أين طرفاها . . . وانتهى بنا الأمرُ إلى أن أصبح كل منا قانعاً بأن يوجُّهُ سؤالهُ إلى نفسه ، وأن يتولَّى هو بنفسه الجواب ا وطال بنا الانتظارُ ، حتى دبُّ في قلو بنا دبيبُ اليأس. أثمة ليلة "أخرى سنقضها في عاصمة الصمت والظلام؟! وبعد لأى ظهرَ الرجلُ الرَّبْعَةُ الأَسْتَمَرُ ذُو العينين الزرقاون ، رائدُ نا إلى الطائرة ، فهُر عُنا إليه ملهوفين نستَقى

منه الخبر ، فأشار إلينا إشارة اعتزاز ، وابتسامتُه الهادئة تترقرقُ على مُحَيَّاه ، ثم قال في تُـوَكّة :

سنبرَ عُ الفندقَ بعد ربع ساعة ... السيارة ُ الحافلة ُ بالباب ، وماكاد ربعُ الساعة ينقضي حتى كنتا جميعاً حشو السيارة ، والرجلُ بباجا ينادي أسماءنا على منها جه المدرسيّ ا

وتحركت السيارة تخترق دياريس ، وقد أوشكت الشمس أن تتوسط كيد السياء ، فرر نا بتلك الطرق الفيستاح ذوات الشيخيرات المورقة والازاهر المتفتحة التي تحاول أن تُشبت حلول الربيع حيث لا ربيع المودخلنا المطار ...

وتمنَّت الإجراءاتُ المعهودةُ على أسلوبِها المملول ا وخرجْنا إلى الساحة ، إذ كان صديقُناً ، أبو الحول ، رابضاً يبسُط لنا جناحَيْه في تحية وتَرْ حاب .

واحتواناصدرُ والرَّحيب، وقصدَ كَلُّهُمنا مَصْعدَه، فتبكِلت نُرَ لاءَ جُدُداً حَلَثُوا محلَّ من تخلَّف عنيًا من الرَّفاق. وتعالى ، أبو الهول، في أطباق الجو ، وأخذت ، باريس، تحت أنظاره تتضاءَلُ وتنزايَلُ . وترامَتُ لنا بين الفينة والفينة من خلال السحاب المهلهـل سهولُ و فرنسا ، المترامية ' تبعَث الينا تحية و داع .

ثم بدأنا نطرق أبواب وبريطانيا ، في مَعْقلِها الاشَمّ، بيحرها الغضوب، وصخّرِها المتجمِّم ِ النَّفور .

وبعد ساعات ثلاث على مَتن الهواء حلَّلنا بلدة , شانون ، من أرض ، إدلندة ، وكان الجو باردا ، والسما ه متلفِّعة " بغُيو مها الثِّقال .

وغادَرُ نَا الطائرة إلى مَبنى المطار، فألفيناه على نست جميل من النظام والترتيب. وقضَيْنا في المقصّف ساعتين تناولنا فهما وَجُبة الغداء، ونعيمنا بقسط من الراحة.

وعُدنا إلى و أبى الهول ، فوجدناه قد تَمَـالًا من شبع وريّ، وتزوّ د زاداً يستطيع به أن يواصِل الصومَ ساعات غير قُصّار ...

نحن الآن بصدر رحلة لا تستغرق أقل من إحدى عشرة ساعة أ نعابر فها والمحيط الإطلنطى ، أو كما يسميه العرب : عشر الظائلات .

هيًّا , أيا الهول ، ، على بركة الله ا

وتسامى بنا صديقنا الكبير يضرب في عُرْض الأفنق وقداتيَّقد حميَّة وحماسة ورأينا السُّحُب تنْبسط على صفحة الحيط ، وتغدُو كأنها بساط من جليد ... وقد يلتبس الأمر لعين الرائى ، فيحسب أن ذلك السحاب المنتشر ليس إلا الحيط قد راعه ، أبو الهول ، الذي اقتحم عليه سماءه ، فارتفع بمَوْجه الاشهب وعُبا به الصَّخاب ، يريد أن يناقشه الحساب!

ولبثنا نطيرُ في سهولة ويُسْر...

إن , أبا الهول ، رَزِينَ مُجده في سيره ، بريد أن يثبت لنا النه في الكون شيء يتعذر عليه ، وأن عُبور المحيط ليس الا نزهة طيبة واثقة . . .

حقاً إنها لنزهة "ليس فيها ما يُمكِدُ الصَّفَو ، فقد المحيمن أذها ننا ماكان مستقراً فيها من أهوال عبور المحيط، وما يعترضه من عاطر ... إن ولندبرج ، كان أحكم الناس رأياً حين داح

ينتزع من الأذهان برحلت الموفقة أوهام الحوف والحذر من بحر الظلمات ، فاستطاع بتجربة جريئة أن يصل بين قارتين عظيمتين ، بل دُنيكيين حافلتين : دُنيا الماضي ودنيا المستقبل اوظلت الشمس تساير نا طويلا من الوقت ، فيلم تأذن لنفسها في المعيب إلا بعد التاسعة والنصف ، وانتشر على أطراف ذلك البساط الثلجي الناصع لهيب أنفاسها المحترقة ، فهب الليل يرسل شم لمكته الحالكة يحاول أن يطفيء بظلامه لهيب تلك الإنفاس ا

ووجدتُني أضغَطُ زِرَّ المقعد ، فمال بى طيِّعاً إلى الورا. ، ومددتُ على ركبتيَّ دِثارِي يحْمِيني من هجمة القُـرُّ ، ثم أطبقتُ جَفنيَّ أَستَدْنَى هادىءَ النَّعاس .

وبين 'سدولِ الليل المتراخيةِ هَبَطْنا مطارَ ، جندار ، في الأرضِ الجديدة .

وحملتنا سيارة حافلة ، ومصت بنا تجتاز طرقاً ودرو باتقوم على جوانها بعض أبنية مختلفة . وعركنا أننا في بقعة منعولة عن العُمران ، مستعمرة من مستعمرات الجول . . . إنها أشبه شيء بقرية تكنى نفسها بنفسها ، فيها المقنصف والنادى والفندق

والمستشفى والمصنعُ ، وكلُّ ما يستُدُّ حاجة الطائرة وراكبها . وبدتْ لى هذه المستعمرةُ كئيبةً عابسة ، على الرغم على يبدِّدُ حلوكةَ الليل فيها من مصابيح فيَّاضة الضوء .

وأبلغتنا السيارة الحافلة مقصف المطار، فخطو ناعلى أرض خطّ بَشها قطرات المطر ، وكست حواشيها بقايا الصّقيع وصافح وجوهنا هوالا قارس ، فحتَثنا الخكطا إلى المقصف نلتمس الدّف، . . . إنه لمقصف فسيح الجوانب ، أقيم من الخشب الغليظ ،على نحو سادّج قروي ، هر ما فيه يكف ل راحة المنتعب المسكر و .

ونظرت في ساعة يدى ، فوجدتُها الخامسة ، وتطلمت حولى ، فلم أجد أثراً لتباشير الصباح النه ليل دا مس تقيل الوطأة . وغمر تني الحيرة شمنهة ، شم حانت مني التفاتة أم نصادفت ساعة الحائط تعلن أن الوقت منتصف الليل ! . . .

ووقفت لحظة الرجع البصر بين ساعة يدى وساعة المقصف، ثم انسرحت أفكر ...

هنا يعودُ المرق إلى عهد التلمذة، ويستنجدُ بما علمة بذاكرته من معلومات جغرافيَّة في شأن دوران الارض حول الشمس، واختلاف ألزمن بين قارَّة وأخرى.

وطال بى الاستذكار والتفهيمُ والموازنة ، فتبرَّمَ رأسى بهذا العَبَث ... إنه منتصَفُ الليل وكنى 1 ... على أن أضيط ساعة بدى راجعاً جا القهْقررَى خس ساعات ... هاقد أُ ضيفت اللي صفحات معجد د لم تكن فى الحسبان . يالله 1 ... أما لهمَذا الليل من آخر ؟

ودخلنا المقصف نتناول الفكور، ثم ترك نا قاعة الأكل إلى بَهْ و الجلوس، نتراتمي على مقاعده المشريحة، كأننا في ضيافة فلا على من أعيان تلك الناحية ... وأخذ يك موثر في أسما عنان قدر كر كر ات والبليار، يتلاعب بها بعض الرقاق تزجية الموقت ... ولست أدرى أأخذ تنى في مجلسي سِننة "من نوم أم ظللت ساهراً يقطان ؟ ولكني أعلم علم اليقين أنى قنضيت وقي ملازماً مقعدي الفسيح لا أريمه ، مُطليقاً لافكارى حرقية التحليق.

إنها القارَّة الثانية التي أهبطها في رحلتي هذه ... قارة الدنيا الجديدة ... إننا على شاطها نقيف وقنفة الفضول يتطلع فيما حوله ، كأنما يحاول أن ينفُذ بيصره إلى عُباب ذلك المجهول المترامي الاطراف ... إننا على شاطهما نقف وقفة الرائد

الكشّاف حين تلامِسُ قدمُه أول مرة شاطىء الجزيرة المنشود، فهو يُحِدُ بصرَه طامحاً أن يقدراً في تلك الأرض العذراء الحافلة بالكنور صحيفة أقداره ... يقف صامتاً يتأهّبُ لحياة جديدة، ويرحّب باستقبال ما يصابحُه به الغدّ من مفاجات وأحداث، ويهي في نفسه للتّأق لم في هذا المُقام الجديد، ويؤمّلُ أن يرجع إلى وطنه وقد أصاب ما سمت إليه نفسه من مآرب ورغاب. وسمح عنا مُضَحَم الصوت يُذيعُ:

رُكَّابِ ، أبى الهول ، إلى ، نيويورك ، . . . دَنَت ساعة الرحيل .

فَاجَ البَهو ُ بمن فيه ، وتعالى الضجيج ، وقُـمـنا نحمـِلُ لفائفنَـا إلى الباب ، فإذا بالسيارة الحافلة في الانتظار .

واستقبالنا الهواء القارس يلسم وجو هنا، ورأيناالارض ما برحت بليلة، ونشير الصقيع ما زال على حواشيها. فهُسر عنا إلى السيارة نبلوذُ بأحضانها وعُدْنا نجتازُ تلك القرية الكثيبة بل تلك الشكنة المُوحشة التي تبدو منكشة تحت أنقاض الشتاها وفي الساعة الثانية صباحاً كان وأبو الحول ، يدو تي بصوية

الغليظ ، مودِّعاً تلكَ البقعة َ بما يَفْشَاها من ظلمة و عُر الله و صحب.

أمامنا سُو يُعدَاتُ مَم نُلاكَ و نيويورك ... لقد قار َبتُ الرحلة خيامها ، فلازج ما بقى من الوقت فى أى شيء ... هل أقرأ ؟ ووجدتنى أستل والمختار ، كأننى أستمد منه تعو نآ على مواجهة موطينه الاصيل . وجعلت يدى تعبّث فى سرعة بيعض صحائفه تقلسُمها واحدة بعد الاخرى ، وما لبثت أن بيعض محائفه تقلسُمها واحدة بعد الاخرى ، وما لبثت أن ألقيت به جانباً ... لا سبيل إلى المطالعة ، فلا عاليج النوم ... حتى هذا يَتَا بَى على الله على جميعاً .

وهذا الليل، إنه يتطاولُ ، ولا يزالُ يتطاولُ !

لَــَكَأَنَّ وَأَبِا الْهُولَ ، يَغْتَصَبُّ لِنَا مِنِ الزَّمِنِ وَقَتَأَ نُضِيفُهُ إلى يومِنِنا الذي نعيشُ فيه ا

وفَطِنتُ إلى سلاح ماض يَقطعُ الوقتَ قَطَعًا ... إنه الثرثرةُ باركَ اللهُ فها ، فلا كُن ثُرَتَاراً يَشَصَيَّدُ الموضوعاتِ ويجعلُها مَرِنَةٌ مَطَّاطَةً تطاوعُ جَذ با وإرخاه ... ويبدو لى أن هذه الفكرة ما كادَت تُحَوِّمُ في خاطري حتى انتقلت عَد واها إلى الرَّفاق ، فإذا كل ركن في الطائرة يسترسِلُ في ثرثرة

وتضائحك ، وإذا الوقت بنفرط عشد في سهولة وأيسر، وإذا بستنا الفجر يقتحم علينا خلو تنا ...لقد أزعجناه عن قاده بما أفكن نا فيه من لمغو الحديث ، فباكر نا معاتباً غنضبان ا

ودا تَيْمَنا سماء و نيويورك ، وجعلتُ ادْ لِي ببصرِى لاتبيَّن شيئاً ، فلم يتو تَضح لى إلا ممروج وسهول ومناقِعُ ماه ، يمايرُها محر معيدُ الاطراف .

> و بعد قليل أخذت الطائرة تُصَوِّب نحن الآن في مطار , لاجوارديا ، العظيم .

تركنا الطائرة مهرولين . . . وما إن خطوت بضع خُـطو ات حتى تذكّر ت ذلك الصديق الكريم الذي كان هادي الطريق ، و نِعْمَ الرفيق ،

كبير معلينا ألا نود عك وأبا الهول ، الم

والقيتُ عليه نظرةً أحبِّيهِ تحية َ إقرار بالجميل ، ولكن رأيتُ الرقاقَ يَحُشُون الخطاء فخشيتُ أن أتخلَّفَ عنهم ، ولم أملكُ إلا أن أسارع إليهم .

واعجنباهُ وأبا الهول ١٠٠٠ أين همذا من موقِفنا منك

يوم بدأناصحبتَك،زاخرة ًنفوسُناباً دق العواطف لك ، متعلقة أفتدتُنا بكلِّ نأَمَةٍ تَصْدُر عنك ؟

معذرة أيها السيدُ النبيل ١٠٠٠ إننا الآنَ في شُنغُـلِ عنكَ بِحديدِ ما نستقبله . . .

لسنّا ننكرُ صليعتك الجميلَ ، ولسنا ننسى صبتك الصافية طوّال هذه الرحلة ؛ ولكنها يا صديق 'سننّة' الكون ، خللً علك الملامَ ١ . . .

اجتز نا تمشى مُظَللا ، كأنه عريشُ بستان ، ثم بلغنا

محجر و بَمرُ ات تمتازُ بالطاتبع الأمريكي ، ساذَ جة في جمالها ا وحُسن تنسيقها .

وحللُنا حجرةً ليست بالفسيحة ننتظر، وتفرَّق في جوا نِبها الرَّفاقُ جماعاتِ شُـغيلَـت كلُّ منها بشأ نِها . . .

ولبثنا ننتظر ، وطال علينا الآمد ، فلنُدْنا بسلاحِنا الماضي الكريم : الثرثرة ، تنفى بها عن نفو سِنا مَلل الاِنتظار .

وكان يمُرثُ من بيننا أمريكي تم تمي من موظني المطار ، يخطو بين الجماعات خُمطاً مَّتزنة ، غير مو جه نظر ه إلى أحد ، ولا يكاد يطويه البابُ حتى يعود ثانية يذارعُ الحجرة ويجموسُ خلالها لا يعنيه من أمر ناشي ، وكان كلَّما ظهر تعلقت به أنظارُ تا تستنجدُ ه . وظل بين جيشة وذُهوب على نحو أثار السُخط والعجب . أفي شغل عنا هو حقا؟ إن بين هؤلاء الموظفين من يُشبع بمثل تلك المظاهر الكاذبة رغبات نفسيه الطموح ا

-ãã

ك

وية

ل

وأخيراً تعالى صوت منادِي أسماءنا .

ومَشَلْنَا لحظات قصيرة أمام الطبيب، ذلك الفي الفارع، المشرق الوجه، يؤنِسُنا بابتسامة ترحيب، ويُعنفينا من مُضايقات الفحنص والسؤال!

وتجمَّعْنا في مقصَف على الأسلوب الأمريكي أنيق رشيق، تبلَّعْننا فيه بأشتات من الشطائر والفطائر ، وأحتسينا أقداح القهوة .

وتمت إجراءاتُ ، الجمرك ، على أيسر وبعه ، حتى إنى راجعتُ نفسى في أسرِ هذه المؤسّسةِ ، وبدا لى أنها مؤسّسة « عظيمة "، جليلة ُ الفائدةِ والنفشع ا

وانصرفنا عن ، الجمرك ، تخلفتنا الزنوج يحملون حقائب المتاع ، وركبنا سيارة أجرة ذكر تثنا بفخامتها وأناقتها مركبة الخيال التي طافت بنا أحياء ، باريس ،

« و بضدِّها تتميَّزُ الأشياء » ا

وأحسب مشاعرى تهتز وتهتاج اهتياج مشاعر الطفيل أمام جديد مستور بدأ يتكشف له .

وثارت بي ثورة أنطلتُع وفُضول ، فكنتُ ابعثرُ النظرات

حولى فى تعجُّل ، أخشى أن 'يفلت منى شى ، ، فإذا بى يَشِدُ عن نظرى أعظم شى ... إنها رقعة "من الارض شاسعة ، خُسَطت فيها طرُق عدودة معبَّدة آتنتهبُها السيارات انتهابا . وإنها 'جسور خطيمة تعلو بنا وتهبط '، تتقاذ َفنا جسراً بعد جسر . ولكن أيّة ' جسور هذه ؟ أعلى الما مى أم على أديم الارض؟ لا أكاد ' أتبيَّن الامر ا

وبدأنا ندخُل مِنْطَقة المبانى، فكلَّما أوغلْنا فيها تكائفت وتعالت، ورأينا الطُّرُق تزدحِمُ بالسابلة، فأخذت سيارُتنا تهدى من سيرها، حتى ألفينا أنفستنا بين نواطح السحاب... وخُيِّل إلى أثنا في سفينة بدأت تجتاز خليجاً تقوم على جانبيه شوامِخ الجبال ا

إنه حقًا لشعور خريب ذلك الذي يستولى على المره حين يشرئب بمُنقبه وهو يمر بين هذه الصُّروح الشاهقة إن المرء ليُحس نفسته قد تصاغر وتكمَّش أمام تلك

المدينة الماردة العاتية...

فى لحظة واحدة تتجلى لنفسيك عظمة ، أمريكا ، الجبارة . هذه الآطامُ العالية ُ تركّـز ُ لك فى مظهرها حقيقة ،أمريكا، بمد نیدتها، ثروتها، عقلیّـتها، نشاطها، جاهها،طُرُهُو حها، ماظهر من ذلك كانّـه وما بطن.

هذه الآطام كا هرام ، مصر، تختر ل لك في مظهر ها الرائع مدنية ، مصر ، الغابرة . . . إنها لتصور ل الك في لحظة دقائن تلك المدنية وأسرار ها ، فتعلم جليبًا أن القبر كانكل شيء في ، مصر ، السحيقة ، فهو مستودع العلم والقن ونظام الحكم : الحق يعمل جاهداً في إعداده دار قرار، والميث ينعم به مشوى حتى تحيين ساعة البعث والخلاص .

ما أرُّوع الحجارة الصامتة ۚ في الإبانةِ والإفصاحِ !

إنها باقية على الدهر ، إذا استلهمُـنا منها معالِم المـاضى فقد أمنّـا الزَّال والعِيثار في تمثّل حياةِ الْاقدمين . .

إنها لتكشيفُ أدق خوالج النفيسُ البشرية ، ظاهر ها الواضح وباطنها الدَّفين.

هذه نواطحُ السحابِ بِقَـوا مِهَا الفارعِ تَــَّعُـلِي ولا تنى تَسَعْلِي ولا تنى تَسَعْلِي ولا تنى تستعْلِي، فهى تُنفُسِحُ اللهُ عَن مركِبُ النقصِ في النفس الامريكية، تكن فها نزعة تلك الامة الفيئية الناهضة التي أصابت ثروة واقتداراً ومكافة لاثوا حُمها فيها أمة المحافة أخرى على

بساط المعمور ... نزعة م كأنها تريد أن تصرخ قائلة للملا : الست إلا أمة عظيمة وعيمة ا

إنها لتحسُّ أنظارَ البريطانيين ما زالتُ ترمُّ قها بنظرة إشفاق لا تخلُو من حسد، نظرة الوصيُّ وقد نفضَ بده من الوَصاَّية على قاصره الذي بلغ سنَّ الرُّشُدُ.

ذلك القاصر الذي مافتيء يذكر لوصيته ضروباً من القسوة والحر مان، يعلو بها مته اليوم متحدياً، يريد أن يمد قامت ما استطاع إلى ذلك سبيلا، ليُشبِت أنه أصبح ندًا قوبًا لوصية في الزمن السالف ا

على أن الأمريكي والإنجليزي ، على الرغم ما بينهما من تنافس وتسابُق ، تصلُ بينهما وشائح وثيقة من لُغة وعقلية وجلس ، فهُما في الححنة يتساندان ويتآزران ، وينسي كل منهما عهد الوصاية وما يدور حول تركيبها من حزازات وأضغان اوأثار في عن تأملاتي وقفة السيارة .

لقد بلغنا باب الفُندق.

ودلفْنا إلى الرَّدْهة الكبرى ، وكان علينا أن المَبِث حتى السَبِّن أمر الحجرة التي اعدَّت لنزولنا .

ووقفت أَنَا مَلُ الرَّدُكَمَة المُضاءَة بالكهربا ، ومن يختلف إليها من الناس .

وراعتنى المصاعد لا تهنداً لها حركة، فهى دائبة الصعود والهبوط، لاتكادُ تُنفِع عُم محمولتها حتى تَنفَص بحُم ولة آخرى من تلك البضاعة البشريَّة الرائجة السُّوق في هذا المكان!

وأخذت عين ركنا رشيقاً يُنيره صورة جذاب ، تمثل لى مَسْرَحاً يَسْتَهوى أعين النَّطَارة ، فتدانيت منه ، فتبين لى أنه حانوت حوى طر فامن كل شيء ... إنه سوق مصغرة تسعيف كل طالب بما يطلب ، فمن لفا نف تبغ ، إلى كتب وصحف ، إلى حلوى أفانين ، إلى لمُعَب وتحكف وطرائف . فقصد ت إلى معرض الكتب أقلب فيه البصر ، وما هي إلا أن بدا لى رجل في معشبل العمر ، باش المُحيًا ، وديع النظرات . فبادر ني بقوله : طاب يو ممك يا سيدى . . . يلوح لى أنه من نزلاء الفندق الجدد.

_ قد منا الساعة ...

_ أَ أُوَّلُ زَوْرَةً هي (لنيويورك ، ؟

- إنها أولُ زُوْرَة «الأمريكا ، كلها.

_ حقًا إنها نشنقة " بعيدة " قطعتموها .

- لم تستغرق رحلتُنا أكثرَ من ثمان وأربعينَ ساعة. فأخذَ الرجلُ يحملَقُ فينا دَ هِشاً ، ثم ما لَيِثَ أَن ابتسَمَ قائلا: إنها الإحدَى مُعجِزاتِ الطَيرانِ ... أرجولكم إقامة طيّبة!

_ نشكر لك.

_ لقد أحسنتم اختيار الفُندُ ق حقاً.

_ إنه اختيار ُ صديق كريم ، حجز َ لنا أما كننا فيه .

_ لقد كفاكُم مُوْ نَـة البحرث ومتاعب الاختيار ... يتعذر

أن يجد القادمُ سَعةً في فنادق ، نيويورك ، على كثرَ تِها .

وتلفَّتُ أُردُّدُ البصر حولى في الرَّدُّهـ ، فعاجاني الرجلُ

بقوله:

إنه فكندك مُريخ على صغره ... ست عشره طبقة تحوى أر بَعَمائة حجرة .

ار بَعَمائة حجرة .

المفير شهذا ؟

- إذا قِيس بَكُبُر يَات الفنادق ... ولكن موقعَه بجعلُه عتازاً . . . إنكم في والشارع الحامس والأربعين ، قلب المدينة الخفَّاق: نخطُو تَان إلى الأمام تُسللا يَكُم إلى و الشارع الخامس، أعظم شوارع «نيويورك» ، بل سيد شوارع العالم كلّه... خطُو نَـَانِ إِلَى الوراءِ تسلمانكم إلى . برودواي ، أكبر ملتَّقَ لللاهي وأفتَن معر ض للأنوار في العالم أجمع... موفَّق محظَّكم! إن القنصلية المصرية منكم عن كتب، وكذلكم دار البريد، و ... وكانت يدى أثناء الحديث تعبُّثُ بالصَّحف والكُتب، وتَعَلَقْتُ أَنَامِلَى بِيعِضَ المُصورُواتِ الحَاصَةِ بَعَالَمُ المَدينَة وطُرُ قِها ووسائل مواصلاتها ... فانتُنَى الرجلُ يقولُ: حُسْنُ اختيار ... هذه المصور رات ستَفْتَم لك أبواب « نيويورك ، على مصار يعلها ، فتجوسُ خلاكما على هُـدى . وماكدتُ أَنْقُدُهُ الثَّنَّ ، حتى سمعتُ غلامَ الفندق يقول : تَفَضَّلُوا بِالصُّعُودِ إلى الحجرة. فيَّيْتُ صاحبَ الحانوت ، فودَّعَني بقوله :

ودخلْنَا المِصْعَد في حشد من الناس، فإذا عاملة المصعد

إنى في خد متك كلما دعت الحاجة.

ز نجية "في لَبُوسِها الرَّسميّ، نُو لَيْنَا طَهْرَهَا ، واقفة "دائماً وقفتَّ المُعَلَّم وقفتُ الرَّم المُعَلَّ وقفتَ الجامدة لا تُعيرُ الأي التفات . . . إنها ليست أكثرً من أُذُن تُصْغيى لمطالب الرَّكُاب ، ويَد تتحر لكُ إلى باب المصعد فتشحاً وإغلاقاً ...

وخطونًا إلى حجرتنا.

أهر وع الى الحَّام، لأعليح بنلك النَّاحْية التي بدأت تَطلُكُع مع النهار، و تعييث في الوجه فساداً.

وجعلتُ أَعْبِمِلُ المُنُوسَى فى مَلَـلَ وفتور ، وأنا أهمهم : رَبُّ لِمَ أَنْبَتُ فَى وجو هِنا نَحْن الرجالَ هذه اللَّحَى ؟ أَوْ لِمَ تَرُ كُنْتَنَا تَهْشَدِى إلى حَلْقِها ؟

وماكدت أنم حديث نفسى الضائقة بهذه الدقائق ، حتى الحسس أريج الطيّب يَفْغَمُ أَنْنى، فرحت أنّعالسُ النّظرَ، فوجدت الحقيبة النّسويّة قد تثاربَت ، فأطلّت منها حِفَاق الادهان والمساحيق ، وقوارير الطنيّوب والعطور ، تتلوها مناشف الوجه والمناديلُ والامشاط ومشاك الشعر وشبّاكه.

فرغت بَيَعَرَى ، و محدَّث أَنَابِعِ الْحَلَدُقَ فَى هِمُنَةَ ورضاً ، وأنا أغمنم : حُمْدَكَ اللَّهُم على ما قَسَمتَ لنا ... إنك بنا نحنُ الرجال رَمُوفُ وحيمَ ا

ولم تُمضِ غيرُ لحَفظات ، حتى كنتُ قد فتر غتُ من مهمتى وبدأتُ أنتظرُ إقفالَ حقيبة العطور والمساحيق ، إعلاناً لانتهاء مهمَّتِها . . . ولكنَّ بِضْعَ نظرات خاطفة أفهمَتْنى أن الأمرَ ما يزال يتطلَّبُ مديداً من الوقت ... أذن فلاشْغَلُ وقتى بشي م ما يزال يتطلَّبُ مديداً من الوقت ... أذن فلاشْغَلُ وقتى بشي م ما يزال يتطلَّبُ مديداً من الوقت ... أذن فلاشْغَلُ وقتى بشي م ما يزال يتطلَّبُ فيه ؟

وَهْتُ أَجُولُ فَى الحَجْرِتِينَ الرَّشِيقَتَينِ اللَّتَينِ أُعِدَّ تَالْبَرُو لِنَا.

كُلُّ شَيْء أَرَاه حُولَى يُشْعِرُ بَتُوفِيرِ الرَّاحة فِى سندَاجة وبساطة و يُسْر... راحة ترتفع عن كُلْفَة التنميق والوُّخْرُف. وأخَدَتُ يدى تتحسسُ الآثاث ، ففتحت أول دُرْج صادَ فَنَى فَى الحِوانِ الجَاورِ للسرير ، فطالَعنى فيه كتاب ضنخم تخم أُسودُ الجلد عميشه ... وقد رَّتُ بادى الرأى أنى أمام بحموعة من روائع ، شكسبير ،، إنه يما بُلُ طَبَعات تلك المجموعات ، وجَذَبْتُ اعتباطاً ، فقرأت :

 فقيرة ، وألقت فكلسين ، فدعا يسبوع تلاميدَ ، وقال لهم : الحق أقولُ لكم : إن هذه الارملة الفقيرة قد ألقت أكثر من جميع الذين ألثة وا في الخيزانة ، لأن الجميع من فكضايم م الثقو ا ، وأما هذه فن إعوازها ألقت كل ما عندها ، كل معيشتها ! ،

ليس حديث و شكسبير ، هذا ... إنه حديث من و حيى السماء ا إن فلسفة ، شكسير ، على حكمتها وعُدُقها وروعتها لتتضاءل أمام هذه الكلمات الساذَجَةِ التي يَسْتمد منها الصغير والكبير أنقاء السريرة ويتقظمة الضمير وطنما نينة الوجدان... ما زال حديثُ السماءِ على تطاول الزمن وترادُف الحِيمَـب وتطور العقول هو صاحب السلطان الأول على المشاعر والنفوس... لَطَالمًا سمِعنَا فلاسفة الفكر أينادُون بأن العقيدة الدينية على وَشَكِ الأنهار ، بل إنها لم يَعُد فا من سطوة وجاه، ولكننا لا نلبثُ أن تواجِبهَا حقائِقُ تَسْخَرُ من هذا الزَّعْم الموهوم ... إن العقيدة مَشَكُمُ اكْتُلُلُ كُرْة المطَّاط إذا قَدَفَتَ مِهَا ورأيتُهَا جَادَّةً في هُو يِّهَا إلى الأرض لم تحسّب لها من رجوع ، ولكنك لا تُعَنِّمُ أن تراها قد وتُبَت إليك في معنفو انها أقوى عاكانت قبل ... لو مُسْيَت مد يَسْتُنا الزوال، وهاكت بهلا كهاروا مع الشعر وحكم الفلاسفة وعبقريّات العلاء، لالفيت العقيدة الدينية تسكم مُن في النفس البشرية كمون الحياة في الحب النابت الحفي ثرثرة أيها الإنسان المتعالى بمادّيّته، المغرور بعيلميه الافاشد ولسائك إلى حليقيك، وأقنصر عن التشد قو المباهاة ... إنك أنت أنت ، ولن تتغير أبد الدهر، سوالا أخف ك المفاور والسكموف ، أم سمت بك نواطح السحاب تظن أنك المفاور والسكموف ، أم سمت بك نواطح السحاب تظن أنك من احم "بشيعافها قوائم عوش الله في ملته الأعلى ... ماذلت في حاجة إلى كلة ساذَجة تزخر فيها عناصر الأمل والطمأ نينة والرّضا ، لتردّ عنك العواصف من حيرة العقل و تحقاف والرّضا ، لتردّ عنك العواصف من حيرة العقل و تحقاف النفس وظله من الحياة ا

وأعدْتُ والإنجيلَ وإلى مستقرّة ، وعدتُ أَتَابِعُ جولَى ، فرأيتُ لافتة من الورق المُقدَوَّى خُصُّصَتُ لتعلَّقَ على أبواب الحُر عند الضرورة ، وقرأتُ فيها بحروف واضحة : ومن فضليك لا تُقلقُ راحتى ، .

و مثلث خاشعاً أمام هذه الرقعة الغالية ... إنها لتُنيلك ما تنشد من راحة وهدوه في ركنيك الصغير... إذا حرست شك هذه

اللافتة على باب حجرتك ، فان يجر و على أن يطرق بابك أحد، وإنك لآمِن في مستفر ك تنعم على أن يد من خلوة وسكون. هذه آية "صغيرة تكشف لك جانباً كبيراً من عَقلية الامريك الدقيق ، تكشف لك مايعانيه المر في في هذا البلد من جهد وكد و حمل على الاعصاب ، فهو في حاجة إلى الراحة يشبع عاما و سيعه التشبث ، ويلتمس إليها كل السنبل ، ويحوطها بالتقدير والإعزاز .

لَــُـدُ مَا نَحَنَ مَفْتَقَرُونَ إِلَى مثلِ هَذَه وَ اللَّوَافِتِ وَ نَعَلَّقُهُا عَلَى أَبُوابِ المَنازِلِ فِي وَمُصِرَ وَ أُو اللَّ أَقَلَّ مِن أَنْ نَعَلَّقُهَا عَلَى أَبُوابِ وَالتَّلْقُونَاتُ وَلَوَكَانَ لَهَا أَبُوابِ ١ ...

وتناولُتُ اللافتة َ بيدى ، وأودَعتُها فى رعاية ٍ وعناية مكاناً كريماً لاستخرَجها منه حين أريد .

ورجعت ُ إلى الحمام أستطلع ُ أنباء حقيبة العطور والمساحيق. أما آن لنلك القوارير والحقاق أن تعود إلى قواعدها ؟ ا ووقع بصرى بغتة على رُفَعة صغيرة تحتل الركن المخصص لمها الحلاقة ، فقرأت ُ في الرُّقَعة :

أرجو أن تقوم بنصيبك في الإقلال من أخطار المكواسي
 المستعملة . . لا تقذف بها حيثًا اتَّفَق .

أين ترمى بموساك القديمة ؟ إنها حقيًّا لمشكلة "خطيرة" على الرعشم من مظهر ها التافه ، إنه ليستجه عنها أعظم الاخطار . وتذكرت و بابت ، وهو شخصية "خليقها الكاتب الامريكي وتذكرت و بابت ، وهو شخصية "خليقها الكاتب الامريكي مستكار لويس ، في أحد مؤلفاته . . . فقد كان و بابت ، يقف كل صباح أمام المرآة و قفة حيرة بخضة بعد أن أيتم حلق لحيته ، و قفة متسائل : أين يرمى بالموسى؟ أفي سسلة المهملات حيث لا يؤمن شرها؟ أم في ركن واحدة بعد الاخرى فتتجمع حيث لا يؤمن شرها؟ أم في ركن واحدة بعد الاخرى فتتجمع لديه طائفة كريمة "من المواسى الصّدئة المشكلة ؟ إنه ليقف مذه الوقفة الحيثري مرة كل يوم ، ولا يحد له مخالصاً إلا بأن يقذف بالموسى فوق الحزانة ، وليسكن من أمرها ما يكون ا

C

وضعت الحقيبة أوزارها، فتهيّأنا للانصراف ... ولم أنس أن أحشو جيبي بالمصورات الاستعين بها على ارتياد الطريق . ودخلنا المصعد نسأله الهبوط ... الزّنسجيّة على حالما تستدير أنا، وهي في حُلستا الرسمية : دُمْية ماثلة "ليستا كثر من أذن تُصغى ويد تمتد أرداها تمثالا آليّا يتحرك ؟ أم هي حقًا مخلوق من طينة البشر؟!

غادرنا الفندق نقصدُ عيادة الطبيب. . . ولكن في الوقت سَعة . . . إذن فلا بأسَ بجولة نلتمسُ بها مُشْعةً وسلوى .

خطو نا إلى و الشارع السادس ، و فألفيننا أنفسنا في عُبابٍ زَّخار ... الناس في حركة موصولة ، كلُّ في شُغلُل بنفسِه ، والسيارات تذهب وتجيء مارقة مُروق السَّهام .

ومررنا بحانوت يعرض والبغشاره. . . تلك الذّرة التي تُعلَى على النار فيخرجُ قلبُها ناصع البياض ، كأنه الزهرة تتفتحُ لاستقبال الحياة ... لقد كان هذا الحانوتُ يَع ض والبغشار، عرضاً لطيفا يجتنب العيون ، فعر خنا عليه كما يعرج الطفلُ إذا تعلقت عينه بشيء ، وأخذنا منه نصيبَنا ، وانصرفنا مشغولة أيدينا به ، ووالينا السير نأكل والفشار، كما يفعلُ غيرنا لا نشعر بغضاضة ولا استنكاف ا

وبعد قليل مردنا بحانوت عظيم ، يفدُ عليه الناس فوجاً بعد فَوْج ، ويُصْدُرون عنه في زَحمة تبعث على العجب . أيُّ حانوت هذا ؟ ماعتلة ذلك الازدحام عليه ؟ ولكن مالنا فسألُ ؟ إن الناس يدخلون فلنكن معهم من الداخلين ، وإن

الناس يخرجون فلنكن وراءهم في الخارجين. . . ١

إن رُوح الطفولة تتحرك بين جوانحنا بما فيها من خفة وتطلع وابتهاج بكل شي. ، وعدم مبالاة بأى شي. . . كنت أحس الطفل يستيقظ في قرارة نفسي ويُطُلُ بنزواته ونوا دره ، فيبدو أثر ذلك في نظراتي وخطواتي ، وفي إحساسي بما يدور حولى من مشاهد وأحداث ا

وما هي إلا أن خرجلت من نفسي: كيف أعود طفلا ؟ وبدأت أراجع النفس وأناقشها الحساب ، ولكن نظرة واحدة حولى ، نظرة عاجلة إلى النباس يتدافعون في غير اكتراث، كشفت لى أنى أحيا بين أطفال ... أطفال يمرحون و يما بث بعضُهم بعضاً ا

إن الطفل ليكمنُ بين نفو سنا سجيناً مهما ينضج العقل وتكتملُ الرجولة ، وإن هذا السجينَ ليظلُّ متربِّساً خلف أسوار سجنيه برصُد الفرصة ويلتمس المنشفَدَ ، حتى إذا واتاه التوفيقُ حيناً لم تلبث الاسوارُ أن تنهار في طرقة عين ، ولم يلبثُ السجين أن ينطلق من قيوده وعقاله طافراً شَرُوداً يلهو ويعبَث ذاتَ الهين وذات الشال ا

ووجدنا أنفستنا ندخل الحانوت خلف شخص اخترته رائداً لنا دون إذن منه، وجعلنا نتفقد ما حولنا: موائد حافلة، أخو نة متدَّة، صحاف عامرة تندو وتروح، روائح الاطعمة تداعب الانوف ، الناس بين جلوس ووقوف لا مشغلة لهم إلا أن يأكلوا ويشربوا. ليس هنا لك للكلام مجال، إنما هي أضراس تطحن، وألسنة تلكوك، وحلوق تزدرد...

أنكون قد طرق الفسك الاسلوب الامريكي ؟
أنكون قد دست الفسك الفسك المدعو ين تطفلا وفضولا ؟
أين ذلك الذي اخترناه يرود لنه الطريق ، علنا نستبين منه ما عمض ؟ ... ووقعت عيني عليه وهو يشق الجمانه مسلكا بين الجموع ، فاستقر أمام خوان رصت عليه أدوات الطعام ، ولا طعام ... ورأيته يتناول صيلية يعمشرها بما يلزم من أشواك وسكاكين ، فما هي إلا أن وجدته في أحذو حذوه وقفو أنا أثره ، فقاد نما إلى خوان مستطيل تودحم عليه ألوان الاطعمة والاشربة بين لحوم وخيض وفطائر وتحلو يمات ... وخلف الخوان خدم معينون الطالبين على الظفر بما يشتمون وخلف بما يشتمون وخلف المنا في المنافرة ...

ولكن أية ولمة هذه ؟ وما خطبها؟

ورأينا الرجل يُلتنى ماراقه مما هو معروض ، يرضُه على الصينية ويُسارع إلى الانصراف ، فلم نعتْم أن نفعَل كما فعل ، وأن ننتقيى لانفيسنا ما انتنى لنفسه من الالوان ، لاننقيص منها ولا نزيد عنها ، دون إرادة أو تفكير ا

الم

التي

طعا

المت

وفطر

فياه

ليسر

وهُـرِعنا فى أثره بصينيَّـتـنا تجلس منه على مقربة ، فإذا هو ماض مُجَرَّة فى التهام طعامه ، كأنَّ ورامه من يتعجَّله ، أو كأنه يخشى فَـواتَ شىء ، فمضينا نلتهمُ حظَّنا من الطعام كشأ به سواة بسواه ا

ونهض الرجلُ ، فنهضنا ، وخطا إلى الباب ، فحطوَ ال... وهناك في ركن خاص انثني الرجل يُلقِيي بضع قطع من النقود، فانثنينا مُنلقي مثلها ...

ودفع الباب يفتحُه ليخرج ، فكنا وراءه تابعين !
وهنا وقفنا . . لقد انتهت مهمتك أيها الرائد المكريم ،
صحِبَتُكَ السلامة ، وشكراً لك على أن أرحتَه من متاعب
الحيرة والارتباكِ في سوق البطون !

وَسَمَـوت بعيني إلى جَـبين الحانوت، فقرأت :

م كافستريا ،

أنكون قد دخلنا دون أن ندرى أحد تلك المطاعم الشعبية المشهورة التي لا يخلو منها رَجاً من أرجاء ، نيويورك ، ؟ تلك اللهمورة التي يطرُقها الآلاف من الاهلين في كل ساعة من نهار ليُصيبوا طعاماً طبيًا بثمن مقبول لا يزعج الجيوب ؟ أ

لقد أنستنا سوقُ البطون موعد الطبيب، فلنعجل إليه .
وحثنا الخطا، مخترقين الشارع السادس، إلى والخامس، السايرُ ذلك الحضمُ العظيمَ ، ذلك الطوفان العميم ، تلك الجموع المتدفعة من الناس ، فسرعان ما وجدنا أنفسنا تلفننا أمواجه وثقد ف بنا إلى الأمام .

ليس لنا طاقة مناوأة هذا التيار الجارف ، لقد أصبحنا قطرة صنيلة في العباب متلاطم ، فلا حيلة لنا إلا أن نندمج فيه ، وأن نتر ك أشخاصنًا تفنّى في مُنزْدَحمه .

كنتُ وأنا أتحرَّكُ في مسيري حركاني الآلية أتطلَّع فيها يحيط بي من بَشر وجماد، فكأنما اختلَط الجمادُ بالبشر، اليس إلى التمييز بينهما من سبيل!

إنها قوالبُ ، قوالب تتحركُ في الطّريق بلا روخ ولا حس ؛ وقوالب أخرى عائمٌ بعضُها فوق بعض ...

حجارة "تتوالى متحر" كة ، وأخرى تتراص متعالية ا

وويل للإنسانية من طابّع تلك الحضارة التي تقوم على أساس من المادة كله صلابة "وجفاف ا

إنى لاحشىأن تكونَ القلوبُ البشرية قد غدّت هي الآخرى قوالبَ لا تنطوى على عاطفة ، ولا يصدُر عنها نبيْض ولا خفوق ا و تنبت ُ إلى أننا نُتابعُ السيرَ ، لا ندري إلى أية وجهة نحن ماضون ؟

والطبيب ؟ . . . واجتهد نا أن تنفرع أنصُسَمنا من بين تلك القوالب المرصوصة ، ثم انتحينا ناحية من الطريق ، واستخرجت ما حواه جبي من المصو رات والرسوم أستهديها وسيلة للوصول إلى دار الطبيب . . .

إن المصور رات لتتحدث حديثاً مستقيضاً عن مَرْ كبات الترام والسيّارات الحافلة ، وعن القطارات التي تسرُبُ في باطن الآرض ، أو تجرى على معابر الجو ...

ووقفت أفا ضل وأمايرُ : ماذا أركبُ ؟ وطالت بى المفاضلة ، وإذا بميني تزيغان ، وتتراتص أماتمهما الخطوط والكلمات ... ولكنّى ما لبثت أن أحسست بنفسى أندفع داخل سيارة المحرة ، فيا إن ثُبت إلى وعي ، حتى ارتفع صوتى بعُنوان الطبيب أُعلِيمُ به السائق ...

وتسلّلت المصورات إلى جيبى واحدة الر الأخرى، تُخفِيّ عن الضوء خزيها وخيبة أمليها فى أن يكون لمشورتها مقام ا دلفنا بالسيارة إلى ، بارك أفنيو ، . . . إن العظمة والروعة لتتجلّيان بحق فى ذلك الشارع العجيب . إنه لخليق بأن يحمل ذلك الاسم الذى أطلقوه عليه : ، شارع الارستقراطيين ، لوكان للارستقراطية معنى فى معاجم الامريكيين ا . .

شُمَة فسيحة "طويلة لا يحدُّها الطرْف، تنبسط في تنسيق وتنميق، وتمتاز بالدقة في الهندسة والرسم، كأنما قيست فيها الابعاد والمسافات، بالسَّنتي، و والمملكي، ا.. يشقتها ما يسمونه والحديقة، ، وما هي إلا بساط من سندس، طرِّزت حواشيه بأشتات من شجيرات.

أما شواهق هذا الشارع العظيم ، فإنك حين تنظر إليها شُحس بأنها وإن كانت تماثل أخواتها نواطح السحاب ، فهي تبدو هذا أجل مظهراً وآنق زُخرفاً وأبهى . إن السهاء في هذا الشارع الوسيع لتجد فر جة رحيبة تطل مها علينا و تبادلنا التحية في غير ضيق ... وهذه الأسراب المتكاثفة من السيارات يلاحق بعضها بعضاً كأنها حلبة سباق ... وهذه المصابيح للمو بعضها بعضاً كأنها حلبة سباق ... وهذه المصابيح للمو للمتكاثرة على مد البصر ، هي حرس الطريق ، وشر طة الملوور ، يتغير لو نها تارة فيتحرك الشارع طولا ويسكن عرضا ، ويتغير لو نها تارة أخرى فإذا السكون حركة وإذا عرضا ، ويتغير لو نها تارة أخرى فإذا السكون حركة وإذا الحركة سكون ... إنه لمه و جان رائع من النور والحركة يسوده ظام دقيق فريد من أخذ عجامع القلوب ا

وعرجنا على شوارع أخرى نقطعُها خطفاً ، وما هي إلا يضع لحظات حتى كنا أمام دار الطبيب . فهرع إلينا البواب في حلته الرسمية الانيقة يعيننا على النزول ، أو بالاحرى بو همنا أنه يفعل من أجلنا شيئاً قيناً بالمكريم من التقدير . . . وكان على الرغم من شيبته واستباقة الشيخوخة في تجاعيد بشرته ، صلب القامة ، أمرد الوجه ، خفيف الحركة ، مشرق القسيات . وتقدّمنا إلى الهو حيث يقوم في ركن منه مكتب وتقدّمنا إلى الهو حيث يقوم في ركن منه مكتب

والسكر تيرة ، . . . فاستقبلتنا بابتسامة تقليدية ، وكانت سمحة المحينا، في لبوس أبيض ناصع ، مَعْنِيَة بأناقتها أتم عناية ، حتى إنها لتحرص على أن تزيِّن جانب صدرها الايسر بمنديل يرهو في حواشيه وشي الربيع ، فكا نما المنديل يستمد من نبع قلبها الذ فاق نضارة الحياة 1

وتبادَلْنَا كُلْمِاتٍ فَهِمَتْ هِي مَهَا مَاذَا نُرِيدٌ ، وَفَهِمَا نَحِنُ مِنْهَا أَنْهَا مِنْ أُمْرِ قَدُو مِنَا عَلَى كَيَّنَةٍ .

وأخذنا مقاعد نا بين الزوّار : بهو أنيق بهرتني منه تلك الصّورَرُ الزيتية التي تزدحم بها الجدران ، وتلك الانواد الكهر بية المسلّطة على تلك الصور في مساترة ولباقة .

أَفَى عَبَادَةِ طَبِيبٍ نَحِنَ أَمْ فَى مُنتَحَفَ فَى ؟ وانصرم الوقتُ وأنا في شُغلٍ بهذه الروائع ، أتملا ها في

نشوة واستيمتاع.

ثم طُلبنا لنصعد ، فواجهتنا بباب الطبقة الأولى وسكرتيرة ، في لبوس أبيض ناصع ، يطلُّ من صدرها ذلك المنديلُ يُو تَشْيه زهرُ الربيع ، إنها نسخة من والسكرتيرة ، الأولى في كل دقيق من مظهر ها وجليل . . . و تراوت لنا فتيات الأولى في كل دقيق من مظهر ها وجليل . . . و تراوت لنا فتيات الم

أُخرُ في ليو مهن الآميض ومناديلهن المزهرة يغدون ويرحن قائمات بما بين أيديهن من الأعمال . . . أنهن نُسَخ متشاجة ، كا نهن جميعاً فتاة "واحدة يتكرّر ظهورُها أمام ناظريْك . . . أثمة قوالبُ أخرى تواجهُنا في تلك الدار الوادعة ؟

0

تلك هي الظاهرة الواضحة 'في الحياة الأمريكية : تشابُه ' وتماثل فيها تراه العيون من صغير وكبير ، صور "متكر رَة "اشيء واحد لا تغيير فيه ولا تبديل ا

ودخلنا حجرة صغيرة ، وحُشِرنا بين زُمرة الناس . إنها إحدى تلك الحجرة الزاخرة بطلاب الصّحة . . . وماكدت أقتعد مقعدى حتى طالعتنى صورة كبيرة تزحم حائط الحجرة وقد سُلُطّت عليها الانوار تجلوها أروع جلاه . إنها صورة برومشوس ، طريح صخرة عاتية تُشقيله الاغلال ، وهو برنو مُلتاع النفس جزعاً إلى النّسر الجاشم على مقر بة منه ، عنقاره المعقوف الحاد ، يتوصّح فيه سُمار الجوع والمُسِّ الظما ، وهذا النّسر يتأهب الظما ، وعيناه تتلقظ فيهما شهوة الفسك والشر ... وهذا النّسر يتأهب للانقصاص على ذلك الإله المشكود لينهش كبده ، شأنه معه في كلّ يوم ا

إِن رُوعَة الاسطوراةِ اليونانية أَ، وما يتدفقُ فم ا من حيويّة وجلال ، ليتمثّلُ في فن هذه الصورة قوى الادام ، صادق التعبير . . .

لله أنت من فنان أيها الطبيب المسلم

إن المرة ليطمئن إلى مبضعك المنألق دون وتحل أو تهيّب . . . الل تدكون إلا فنيّانا في طبيّك ، كما أنت في ذو قك فنان المنتخب

إن المربض الذي تحيا في عيادة هنذا الطبيب وقتاً لينسى أنه في مثابة علاج ودار استشفاء ، إنه ليتخيّل نفسه في معرض عامر بألوان التحف الفنية التي تقرّ بها العيون ، وتنشر لحلا الصدور ... إن الساعات لتتلو الساعات دون أن يُحس المربض للوقت طولاً!

أَ حيلة " هي التمستما يا صديق الطبيب ليغفُـلَ المريضُ عن مرضة ، ويو قظ في نفسه الأمل وراحة البال ؟

أنت بداً تضرب المثل الصالح، وتعطى القُدُوةَ الحسنة ... الا يفكّر غيرُك من الاطباء في ابتكار وسائلَ أخرى عيلُ ذلك الجو القاتم المملوء بالفزع والوهبة جو آرخيًا تشيع فيه نسمات الطمأنينة والثقة بالحياة ؟ ا وانتقلنا إلى حجرة ثانية: مُتحَف آخر يتألقُ بما فيه من دائع الصُّور وباهر الاضواء.

وأخيراً طرقنا عمراب الطبيب ... حجرة صغيرة أنيقة ، ولكنها على صعرها حوّت كلّ جديد في فنّ العلاج الحديث.

و بدا أمامنا الطبيب، صديقنا المنشود: قامة ضئيلة، ووجه ضا مر، بعينين تائهتين تشرد نظرا بهما هنا وهنا لك دون مبالاة، وظُلَّ ابتسامة ترف على شفتيه، أكبرُ الظنُّ أنهاكل مافى جعبيه من تحية واحتفاء!

وحوّمت في الرأس خواطر ُخاطفة من ... أذلك حقاً هو بيت ُ القصيد في رحلتنا إلى العالمَ الجديد؟ أهذا هو تمناط ُ الرجاء ، وفجر التمني ؟

أهذا مر الذي من أجُلِه طوَيْنا بِساط الربح على جناح العُقابِ ، لا نُبالى صَعابَ الرحلة ووَحشَاءَ الاغتراب؟ ا

وسرعان ما بدأ الطبيب عمله . . . إنه لشحيح بالوقت ، ضنين بالكلام ، مُقتصد في الحركة والإشارة : يحيط به سرب من فتيات متشابهات ، كل منهن تمشّوط بها عمل عمل خاص لا تعدوه ؛ وإنهن ليحزر أن مايريد الطبيب من وحي نظراته، فيؤدِّين عملهن صامتات ا

وانقضت الزيارة في هذا الجو الساكن ، حيث لاكلة تُمقالُ إلا عقدار ، ولا حركة تؤدَّى إلا بميزان ا ...

وأحيل أمرُنا إلى كبيرةِ ، السكرتيرات ، . . . ردالا ناصع ، ومنديل من يزهو على الصدر ، وابتسامة تتخايل على الشغر وفي بضع لحظات عرف اكل شيء:

العلاج؛ مو عده ، مدَّته ، نفقاته ، سائر ما يتعلق به .

وغادر نا مكتب ، السكرتيرة ، الكبرى ؛ هابطين إلى ردهة الدار .

وبينها نحن نُدير الحديث في شان العلاج ، تدانى منا شخص عطارحُنا الكلام بلغة الوطن ... هذا مصرى آخر رمت به النوى مرامِتها لمثل ما قدمنا من أجله ، وقد أو شك علاجُه أن ينتهى ، وفي لمح البصر زالت بيننا الكُلُهُ أَهُ وكأن الود ير بطنا به منذ أعوام . ألسنا مصر يَيْن غريبَين ها هنا ؟

. وكلُّ غريب للغريب نسيب ، ا

واستطردَ بنا ألحديثُ إلى نفقاتِ العلاج ، فتبيَّنَ لنا أن

الطبيب لا يسوعى فى النفقات بين مرصاه ، وإن كان الملاج على نحو سواء .. وعلمنا أن مذه سنة شحديدة يتربحها كثير من أعلام الطبيب هنالك ليقد ر النفقة وفقاً لا عنتبارات خاصة بالمريض فيا يقول .

نظرية أمريكية حقاً ١... إنها لنظرية مطريفة تبدو عادلة واحمة ، ولكنها في حقيقتها وجوهرها مراتبع خصيب اللمداورة والتلاعب ، من جانب المريض تارة والطبيب تارة أخرى ... إن و توحيد الفن ، في العمل الواحد أو السلمة الواحدة وكن من أركان الاقتصاد القانون ودقة المماملة في حضار تنا الحديثة .

والتفاوت في ثمن السلعة الواحدة ، وما يُحيط بذلك من الألاعيب وضُروب الإستغلال والانتهاز للفُرَص، حتى لقد كانت والسوقُ الشرقية ، مضرب المثل عند الفربيّين في قوضي الاثمان ، والتفائن في البيع والشراء ...

إنى لاخشى على كبرَى المدائن المتحضرة أن تنقلبَ بعد حين سوقا شرقية تَستُودها فوضى المعاملات تِحت سِتار بَهْرج

من النظريات الإجتماعية الطريفة ، ظاهرٌ ها فيه العدلُ والرحمة ، و باطنهُ ما من قِبَله الجوْرُ والإعْتساف المال العالمال

إن حضارة اليوم القائمة على مبادى وانسانية وفيعة المديرة بالتقدير، نراها قد رقت من بعض جوانبها، فإذا بها عرضة للتمزق .. ولو استمر الحال على ذلك الأصبح غزومها مطلباً ليس بالعسير، والأصبح انهيارها أمرا ليس بالبعيد ا

Red for Winner What will be a first

while the same of the same

At the transfer of and

the transfer of the state of

- where the little and the care

- How with the Control

لم نستمتع بعد بهجة والشارع ، فى و نيويورك ، ... إذن ، بنا إلى و الشارع الحامس ، ، نجوب أرجاءه ، نروح عن النفس ، ونشأى عن حديث المرض والعلاج ا

and the second second second

الناسُ أجمعون في هذا الشارع يبينُ عليهم سياة اليُسر والرسخاء: أناقة في الرسيّ، وتركف في الملبس، ورفاهية تنفصح عنها المظاهرُ ... النساء في معاطف الفرو الشيّان، والسيقان دائما تسكسوها غلائلُ الجوارب الفاخرة ، ليس ثمة من ساق عارية ... ولسكن أي فرق بين الساق العارية والساق المصبوبة في جورب رقيق النسج عن دقائق الفتنة والجال؟ ا.

لا و حدة في الزي ، ولا مراعاة كمأ لوف من التقاليد والعادات.

إن بعض النساء لا أيبا لين أن يظهرن في البُوسِ الرجال، متخذات تلك السراويل الشائعة ، كا نهن في البيوت متنقلات ، أو على الشواطيء متنزهات ... ثمة طالبات يتخذن هذه السراويل تيسيراً للحركة ومسايرة للنشاط، وثمة عجائز يتخيذ نها

اجتذابا للأنظار إلى اطلال نضارة عفت عليها السّنون، أوسترآ لسيقان ألح عليها الضمور والهزال ا

وهده وجُهاتُ المتاجرِ والمخازن . . . إن العبقرية الأمريكية في الأناقة والتنسيق والتألّق، كتبدو في هذه الوجهات الغة الإبداع . . . إن الكاليات كتُنافسُ الضروريات في معارض تلك المناجر ، فتغدو هي ضرور يّات ليس عنها عناه . ولِمَ لا يكون الأمر كذلك ونحن في عاصمة النعيم والبُثراء ؟ الله يكون الأمر كذلك ونحن في عاصمة النعيم والبُثراء ؟ الله يكون الأمر كذلك ونحن في عاصمة النعيم والبُثراء ؟ الله يكون الأمر كذلك ونحن في عاصمة النعيم والبُثراء ؟ الله يكون المرابع المنافقة النعيم والبُثراء ؟ المنافقة المنافقة النعيم والبُثراء ؟ المنافقة النعيم والبُثراء ؟ المنافقة النعيم والبُثراء ؟ النفيم والبُثراء ؟ المنافقة النعيم والبُثراء ؟ المنافقة النعيم والبُثراء ؟ المنافقة المنافقة النعيم والبُثراء ؟ المنافقة المنافقة

واسترعت نظر ناوجهة تزهو في تألقها ، فوقفنا لحظة التأمل فيا تعرض من ضروب الاحدية ، وما هي إلا أن وجد نا أنفسنا في داخل المتجر ، نطلب حداة راقتنا شكله الوبدا حيالنا رجل أنيق حيّانا في أدب تحية خاطفة ، وسألنا : فيم ترغب ؟ . . إشارة منه إلى ذلك المصعد ليلغننا القسم الذي نجد فيه طلب قينا . . وصعد نا . . رجل أنيق آخر ، الحينا القسم حيث أشار . . . أنيق تالث يرحب بنا على ذلك النحو المعبود . . ويدلنا في عجلة على المكان المشود . . . واتجهنا عين شار . . . أنيق تالث يرحب بنا على ذلك النحو المعبود . . . وأنيق تالث يرحب بنا على ذلك النحو المعبود . . وغطريف تستقبلنا حاشيته إلى الو تجهاء ا . . . كا ننا في قصر سيد وغطريف تستقبلنا حاشيته إلى المر . . . وأشار الرجل بيده إلى ناخية المخطوريف تستقبلنا حاشيته إلى . . . وأشار الرجل بيده إلى ناخية المخطوريف تستقبلنا حاشيته إلى . . . وأشار الرجل بيده إلى ناخية المناف الم

قائلا: المشترى يتجه يميناً ، والمُسُرافق يتجهُ إلى اليسار .

خطوتُ يَسْرةً ، فوجدْتُ نفسى فى زُمْرة من الرجال مُ يقتعيدون مقاعد الانتظار . . . فى ذلك الركن بروضُ المره نفسته على فضيلة الصبر والاحتمال!

وجلستُ أبادلُ الرفاقَ نظراتِ الاِستسلام، والتفَتَّ مُمْنةً ، فإذا بالمشترين، طابور، كلُّ ينتظر دُوْ رَه.

وامتد بنا الانتظار، فنهضت من ركن المرافقيين احاول أن أفتحم منطقة الشُّرَاةِ، فما أسرع أن بدًا الأنيق يعترض طريق، ويعيد في حيث كنت ا

يا عجباً ١ . . . ها نحن أولاه في هذا البلد الذي يو زَنُ فيه الوقتُ بميزان الذهبِ ، نرى أنفُسَنا أكثر الناس إضاعة الأوقاتهم. وأشدًا هم تفريطا فيها ١ ... ولكن ما الحيلة ، ونحن في متجسر عظيم لا تستقيم فيه الأمور وتدق المعاملات إلا بنظام مفروض له مزاياه وله مساو ته الجسام ١٢

إنّ هذا النظامُ قد جعل شراء زوج من الاحدية يبلُغ من التعقيد مبلغاً يَر هَـدُ مثل في احتمال تبيَّعانيه . . . إنى لاوثرُ الحفاء علىأن أبق رهيئة حرب اليسار ، أشقَى بموصول الانتظار 1

وبعد لأي خرجنا من المتجر ... بخفي محنين ا واحست أن بأعصابي تتهافت .

ولم نكد عشى خطوات حتى شعر نا بوطأة الجوع، فطر قنا مطعماً خلبَت نا وجهتُه ... صِّبغة وردية بهيّة تزهو تحت الاضواء الآلا قة ، فتُكسبُ المكانَ جو السحريّا...

ووجدنا أنفسَنا قد انتظمُنا في صفٌّ طويلٍ ...

وهذا وطابور ، آخر من فى بلد القواليب و و الطوابير ، الخدل البلد الذى يروضنا على فضيلة الصبر والاحتمال المستحر الله الذى يروضنا على فضيلة الصبر والاحتمال المستحر الله مكان من وحانت منى التفاتة الله الحكمة ، فإذا بى أول الصف مكان من وحانت منى التفاتة الله الحكمة ، فإذا بى أشهد وطابوراً ، آخر سرعان ما ائتلف ... فابتسمت ابتسامة امتزيج فيها الإشفاق بالارتياح : إلى المشفق على أولتك اللاحقين فيها الإشفاق بالارتياح : إلى المشفق على أولتك اللاحقين الجياع الذين ينتظرون دو رهم البعيد ، وإلى المرتاح على أية حال لما أصبته من سبق يعفيني من مض الانتظار ا

وَظهر أنيق "يلقانا بوجهه الطلق، وبُولينا نَظرتَه العجول، واصدر أمراً في شأنِنا ، فتحركنا طُوعَ أمره إلى المائدة التي فكرضت علينا ، لا تفضيل ولا اختيار ... وبَدَا سِرْبُ من

فتسيات المطعم يتنقلن بالصّحاف بين المواثد خفاف الحركة رشيقات كا نهن ظبالا بين الخائل تنساب . . وكن في حلكل وردية و ميادع ناصعة البياض قصار ، يشهد الله أنها لم تُتخذ لتصون ما تحنها من ملبس ، وإنما الشّخذت الزينة واختلاب العيون ا ...

إنك لتُ حسُّ صوت و الطابور ، يهتيف بك مستحيثًا ا وزايلنا المطعم ، فواجهنا الشارع ، وقد اكتسى حُلة من مختلف الأنوار ، وتبدت و جهات المخازن والمتاجر في زُخرفها الفتان ... ولكن الوقت مساء ، والانواب موصدة من فليس إلا أن نتباذل النظرات قانعين ا

والآنَ ، إلى أين ؟ سؤالُ القيناه على أنفسينا ، فكانت الاجوبة ُشتَّى متباينة ، ولكنتا لم نجد من بينها جواباً أيزيُّن ُ

لنا أن نعودَ إلى الفندُق ... أَنَـرُجَ بِأَنفسِنا في حجرةِ الفُـندِق، تاركينَ مباهِجَ الليل ويقظة َ الحياةِ ١٤

وألفينا أقدامنا تدفع بنا إلى « برودواى ، . . . ور حنا نمخر عبا به المتلاطم : مواكب من الناس تسبَح فى فَيض زاخر من الأضواء . . . إن « برودواى ، علم من أعلام النور ، بل إنه المم من أسمائه ومعنسى من معانيه ، إنه الحى الذى يجد فيه كل امرى ما ماصبو إليه نفسه من ضروب الملاهى وألوان النسليات . . . هذه دور اللهو والطرب ، تتخلّلها مطاعم ومشارب رشيقة "فاخرة .

لا أثرَ هناك لما ندعوه , بالقهوات ، ، إن الناس لا يجدون وقتاً ينفقونه في الثرثرة ولعشو الحديث ، وإنما يعجلون تلك الأماكن ليطفئوا الظمأ ويردوا الجوع 1

وطرقتنا مشرَباً ، أو سمَّه مطعماً ، فالمطاعمُ هي المشاربُ ، وهذه هي تلك على حدٍّ سواء ا

رَجْعة الى نظام والطوابير ، . . حتى للحصول على قندَح من شراب ا

> حسنبُنا ذلك الآن من . برودوای وإن لنا إليه لــَ جعة ً بل رَجَـعات .

اليوم يوم و الأحد ، مدينة و نيويورك ، صامتة كأنها وادى الأموات . . . لقد اختفت من الشوارع أفواجُ السابلة ، واستراحت الأرضُ من غز و ات السيّارات ؛ وحلّ مكان ذلك كلّه هدولا شامل ، كأنك في مدينة أخرى غير التي شهد تها أمس ايوم و الاحد ، في و نيويورك ، يوم هادى و ، بل يوم هامد ، إما أن تجعله يوم راحة إجباريّة تلزَمُ فيه تخدّ عَك ، وإما أن تجعله يوم نُرهة تخرُجُ لها في إحدى الحدائق وإما أن تجعله يوم نُرهة تخرُجُ لها في إحدى الحدائق أو الضواحي . . .

واختر نا أن نبدأ نشاطنا بعد الغَدَاء ، فحرجنا نطلُبُ النَّـز ْهة ، تاركين للمصادفات أن تُـرَ تـبّ لنا وجْهة السير.

وأحسستُ بالمصورَاتِ الحاصَّةِ بمسالَكُ ، نيويورك ، ومعالم طُرقها ترْ محمجيى ، وكأنها تتقاضا في حقيها في إبدا الرأى . قصدنا ، الشارع الحامس ، صديقنا الآول، ووقفنا لحظة نتساءً لُ : أنمت على سيارة أجرة تجوب بنا أرجاء المدينة ، أم نسيرُ مترجَّلينَ يُسُلِمُنَا طريقُ إلى طريق ؟ ...

وهنا أطلت المصور آت من جبي تعرض علينا خدما بها الجسام، وهممت بأن أمد إليها يدى، وسرعان مارأيت سيارة حافلة تقف على مقر بنه منا، فدخلناها على الفور، لا ندرى من أمرها أي شيء ا...

وصَعِد نا إلى الطبقة العليا منها ، وكانت حقًا سيارة فخمة أنيقة ، راحت تعدو في الشارع الخامس، عَدْ وَ النَّمِرِ الجُسُورِ في فَلَا وَ يَجِرُ داء.

وأتخذ نا نتطلَّعُ حولَنا في بهجة واثنناس، ونتأمَّلُ رقعة السماء الصغيرة تحاولُ في جهد وعناء أن تطلَّ علينا من بين شواهِق الابنية المتراصَّة، وكان الجو صحْواً يُدنكي فينا تلك اليقظة التي تسرى بين جنوبنا.

وَظَلِلْلِمَا رِحِيناً والسهارة الحافلة تمضى قُدُمًا لا تنحرف ولا تَحِيد ، ثم انتهت بنا المرحلة الى . ميدان واشنجتون ، . والفيشنا أنفستنا نترك السيارة ...

ميدان رحب احسين تنسيقه ، واكنه يعجر عن إشعار ك بالعظمة والفخامة ، تبدو عليه مسحة "من الكابة لا نعر ف ألما مأتى ... بوا الله كبيرة " تذكار يَّه "، هي قو "س النصر إنها لبوابة

عليها تحقيقُ مُ وعبوس .. أشجار منثورة منا وهنالك .. روضة من الأطفال . . . شراذمُ قليلة من عُراْضِ الناس تندو وتر ُوح . ليس فيك ما يُعرِّي يا . ميدان واشنجتون ، المحافلة . . . عودة ألى السيَّارة الحافلة .

وأخذت تعود بنا أدراجها ، سالكة ماسلكت من طريق عدود ... إن ركوب مذه السيارة الحافلة لتُسُر همة "طيّبة "لاتَدع للانفسنا رغبة فالنزول ، إننا لنركبُها كا يركب الطفل اللهوب حصان والسيرك ولا بزهد فيه مهما دار به ودار ...

وبعد وقت طالعت أعيدُنا تخضرة واسعة ، خُصْرة عظيمة تحكسو الرُّحَاب نَضَارة وتملاً العين بهاء ... إن ابتسامة ذلك البستان لتَسْتَن عُنا من صَهْوَة حصان والسَّير ثُك ، وتجتَذ بُنا إليها في لهفة وشوق ا

النسيمُ رَطْب مُنعِيش، والشمسُ وَحَنَّاحة "مُسفِرة، وكلُّ ماحولك يرفُّ مَضْرَةً وازدهام!

وزانا نَسَهادَى إلى سُورِ ذلك البستانِ الفَـيَّـاح متطلَّمينَ الله مباهيجه ... وماكد نا نخطو 'خطو تين حق عمنا صوتا يقول:

هل لكم في تجولكة في والسنترال بارك ، ؟ يحدُلُ بكم أن تنتهزوا فرصة َ اعتدالِ الْجُو ِ قبل أن يتفلَّب َ ا

ونظرتُ ، فإذا أنا أمام شيخ فارع القَوَّام في مُحلَّة رسمية ، وفَجُنَّعة سوداء عالية أفصحتْ عن مِهْنته الاصيلة ...

ولحتُ على مقربة منه تمر ْكَبَتَهُ الفخمة النظيفة يتلوها رَ تَـَلَّمُ مِن المَر ْكَبَاتُ تَمَا ثِلْهُما فَامَةً ونظافة ، كأنما أعدًت لركب زفاف أو تمو ْكِ استقبال ...

وأعاد الرجلُ قولَه فى بِشْرٍ وملاطفة، فكان أن صعيدُ نا فى المرْ كَبةِ دون جواب !

جولة ^سفى « السنترال بارك ، ...

لم نسأل الحُوذِيَّ عن مُدَّةِ الجَولةِ وأَجرِها ، إن المكانَّ لارْوَعُ من أن نساومَ في شأنه ...

لسنا في مَر كبة أجرة عرجاء، ولسنا في جوف الليل نقضي الوقت في عاصمة الصمت والظلام ِ ا ...

عفو َ كَ يا مباريس، ... فإن مر ْ كَبَـتْكَ المهشَّمة وحُـوذِيَّكِ المخمور َ لاننساهما ، وإن تنامت ْ الديار ُ ، وتعاقبَت ْ الآيام ا ومضت المر ْ كَبَـة ُ تحوس ُ خلال َ الروضةِ الواهرة ، تارة ً تسلك بنا فساحاً من الطرق تفسيط على جفافها المروج ، وطوراً تتسلك إلى مسالك رشيقة قامت على حفافها الاشجار المورقة الفي نانة ، فتشق بنا الطريق بين الخائل والعرائش، كأننا فضو ليون نفكر ق بين الاغصان والافنان وهي في مواصلة وعناق ! . . . المر كلة مازالت تمضى . . . نهبط بها و هاداً ونعلو بجادا ، فعبر بها جسوراً ونساير جداول وبُحكير ات ، ونقتحم غابات تتشابك فها بواسق الشجر . . .

كلُّ ذلك والروضة ' تتجدَّد وتمتدُّ ، ولا 'يدرك ' لها آخِر . إن الحُوذِيُ قد أَلقَى العِنانَ لجوادِه ، وإن ذلك الجوادَ المطهَّمَ الاصيلَ ، ذلك الصديقَ الكريمَ ، ليقودُ نا حيثُ يريد . إنه لاكثر شيء علماً جذه المسارِلكِ والدروب ، بل إنى لا حسسُه يشارِكنا هذا الاستِمْتَاعَ بفتنة الطبيعة وجمال الكوْن ا

إن , السنترال بارك , مزاج عجيب من صَبْغَة الطبيعة وصَنْعَة الإنسان... لقد جالت يد الفن في حواشيه ، فأخرجت منه لو حاً رائعاً مادَّتُه من خلْق الطبيعة وروحُه قَابسة من روح الفنان ا

هذه الحضارةُ الامريكية ، بل حضارةُ اليوم، تقومُ على

هذا المذهب: تطويع الطبيعة لخدمة البشر، استغلال منافعها، تحكيل عناصرها ، تجلية مفاتنها . . . حضارة اليوم إذن هي تزاو م بين فطرة الطبيعة وعبقرية الإنسان . . . فإذا ظلت السبب مرعية الجانب بينهما فشم الخير والتوافق، ولثن بعني أحد مما على صاحبه ليكو تن من وراء ذلك التنافير والشقاق ا

مُهَ مثلُ اضرورةِ هذا التزاوج ، يمكن أن تراه فى زينة المرأة ، فإن روح الزّينة هو إظهارُ مفاتين الأنوثة الطبيعية في مظهر فنتيّ أخّاذ، فإن طغمي ذُخرُ فُ الزينة كان ذلك تشويها للطبيعة وتبديلا لها وتزوراً عليها .

فلزام على المرأة في زينتِها أن تُحسِنَ المرُّجَ ومراعاة النُّسَب في دِقَةً ولباقة .

عليها أن تكونَ فَنَانَةً تُجِيدُ تجلية صورتِها في لوحٍ في قِوامُه صدقُ التعبيرِ وبراعة م الإخراج ا

... رَجَعنا أدراجَـنا نستمرى ﴿ أَلُواناً مِن الْاَخِيلَةِ ، أَثَارَها فَى خُواطِرنا ذَلِكَ الرَّوضُ البهيج .

على أن أدَّبِجَ بعض الرسائل إلى و مصر ، . . . رسائل ليس من تدبيجها مهد . . . على أن أخلُو إلى نفسى بعض الوقت أحتبِسُ في ذلك البرج العالى الاتحدَّث على البُعد إلى من تصلُنى بهم وشائج القُرْ بَى أو أواصر الود .

تشدُّ ما يهولني ما أنا مُقْشِيلُ عليه.

إنه كأعمال الشُّخرة ...

جبال واسخُ أُحاول أن أحلها على كَتِيفَى ...

صفحات موصفحات لابدً أن أوشَّى سطورَ ها بزُخْرُ فِ الكلام، مختِتًا لَيِّاها بتلك الفِقْرُ وَ الحالدة :

د و تفضلوا بقبول وافر الاحترام ، ا

ما كان أكسَر عناء القلم من تَكرَارِ هذا الحتامِ التقليدي ... إن ذلك القلم ليرَ فعُ رأسَه إلى ساخراً يهمِسُ: هلا جَددٌ دْتَ فيا تكشُب؟ هلا استبدلت بهذه القوالبِ الآثريَّة تعابير أخرى عليها جدَّة ورونَق؟

ليست تلك الفقرة ياقلى الكريم هى كل ما يتطلّب الاستبدال والتجديد . . . إنى لارى والرسالة ، نفسها قد طال عليها الزمن حتى أدركها البيلكى . . . والرسالة ، على اختلاف الحقب والعصور ، منذ ضربت بها الإبل أرجاء الفيافي إلى أن حَمَلتها الباخرة فالطائرة من أقصى مكان إلى أقصى مكان إلى أقصى مكان إلى أقصى مكان إلى أقصى مكان الله المنافرة أ

إن و الرسالة ، هي هي : صحيفة "تُطُوكَ ، وغلا في يصونا ما أشوَقني إلى اختراع آخر َ يحِلُ مُحَلَّ هذه و الرسالة ، العتيقة ! ... لم لا تكون للإنسان مسرَّة " لاسلكية " أو نحو ها ليقوم التخاطئب مقام للتكاتب ، فتُغني الاصوات عن الاسطار، ويُغنى اللائير عن ورَق ومداد ؟

ما أشو قن إلى عهد يسود، هذا الاختراع، ليُنجينا من تلك الجَلَسات المملّة الطّوال نعتصِرُ فيها الفكر ونستنزف المداد ، على حين أن كلمة واحدة أو كلمتين من فرّم إلى فم قد يكون فيهما تخناء عن سطور كِثار .

ولكن قد رُوْضِين أمر لا يحدُ فيه غيرى مُبْتَغاه ، فمثلاً صديقُنا العاشقُ المُتيم يستمرى فن نشوتَه في الجلوس ساعات وساعات إلى مكتبيه يُه بِّجُ ويُنمَّقُ ، يسكبُ رو حه على الصحائف

جمَلاً وكلمات . . . إنه لواجد في هذه الرسائل صديقاً أميناً يستودعه ما يريد من مناجاة وأسرار لا يستطيع أن يبوح بها تخاطئاً ، ولا أن يُلْقيها من فيه ارتجالاً ، فإن الكلمات لتتعثر على شفر العاشق الواله ، وإن الأفكار لتشرُدُ من رأسه ضالة حيرى ، فإن خلا إلى قلمه وقرطاسيه وأناه الكلام يسيراً غزيراً ، وأقبلت عليه الخواطر طيعة منجيبة ا

2

1

بين يدى أوراق مبسوطة صامتة معتقلة اللسان ، تر غب فالإبانة والإفصاح ، وعن كنتَب منى قلم عامر متأهّب للنزال، أراه يخاليسمى النظر متململاً ... فلا بُدَأ رسائلي ا

ورُحْتُ أعتصرُ رأسي في حمييَّة وحماسة ، فلم تَدِرَّقريحتي إلا تلك الجملة المعهودة :

« و تفضلوا بقبول وافر الاحترام ، ا إنها الجلة (الفَــنــُـةُ التي تُــدو ًى في رأسي بصورتها المُــجـلـجل ، وكأنها تقول :

ليس في الإمكان أبدع عا كان ا

وفيها أنا تتنازَعُني الحيرة بين القلم والقرطاس ، إذا بي أسمع نـقرآ بالباب.

_ ادخیل ـ

قلتما دون أن أتحرك.

وأحست شخصاً يطرُق الحجرة بخُطا ناشِطة ، فألقيت عليه نظرة : رجل فن ذي العال ، مُطلَو قُ خَصرَه حزام من جلد ، وبيده شِبه حقيبة .

وسمعتـُه يقول:

أيأذَن لى السيِّد أن أزاول على ؟

مالى ولعمله ؟ فليفعل ما يريدُ ، ولامُنضِ فيها بين يدى العالم مشكلة الرسائل...

وعدتُ إلى نفسى أفكتر، وعادت الجملةُ المعهودة تحاصرنى وتملأ ما حولي طنيناً .

وأنهتنى حركة "من الرجل الطارق، وصوت أشبه بالقفزة، فتلفَّت أنه الرجلُ لا ظلَّ له أ ...

لقدكان بجوار النافذة اللحظة ، فماذا حدَث ؟ وازدهمت على الهواجس ، وأحسست تخاذلاً وحيرة. أأواجه حادث انتحار ؟ ولكن لم وقع اختيار مدذا المنتحير الاحق على حجرتى؟ ألانَّها في ذرُّورَةِ الفُّنْدُق؟...

وبادرنى خاطر آخر: أيكون هذا الرجل مُشَّلاً سِينَـــمِــيَّـاً يقومُ الآن بدَوره، وهنالك فى السطوح ترصُـد الآلاتُ المصوِّرة وكانه وسكناته؟

و ُهْرِعَتُ إِلَى النَّافَذَة ، فَمَا رَاعَنَى إِلَّا أَنْ أَرَى صَدِيقَنَا الْعَامِلُ وَقَدَّعَلَقَ حَلَقَةَ حَزَّامَهُ بَطَرْفِ السَّنَّبُّاكُ، وأَسَّلُم جَسَمَهُ لَلْفَضَاء، وانبرى مُينظَّفُ الزجاجَ في سَكَينَةً وهَدُوء.

وجعلتُ أَتَا مَّله لحظة مَ ، وقد استعدتُ طمأ نينتي ، وتبادلُمُنا الابتسامَ ، وأرسلتُ نظرة للى الارضِ، فإذا المَهُـوى سحيق. حقاً إنه لرجل من فولاذ ا

ولم أعتم أن رأيت فى شواهق المبانى قريبها وبعيدها أشباحاً تتراقص على حافات النوافذ تر ُوح ُ وتجى فى فى سهولة و يسر ،كا نها العناكب تتشبّت بالحوا نط والجدران.

إنهم جميعاً يُمِيطون الفيارَ عن الزجاج.

إن النوافذ في هذا البلدِ العجيبِ لها خَدَمْ مُحْتَضُونَ ، يناطُ بهم تعهَّدُها وإماطة ُ الغبارِ عنها حيناً بعد حين ا فلادَع ذلك الرجل المعلَّق بين السماء والأرض، ولأرْ جع إلى مكتى...

وأسرعتُ أجتذبُ بطاقةً مصوَّرة ، وأنثر فيها كلماتٍ عَجْملى، ذَ يَّلمُ ثُهُا بالجملة المعهودةِ :

, وتفضلوا بقبول وافر الاحترام، أ

وتناولتُ البطاقةَ ، تلك التي تمخض عنها مجهْدُ جلْستى وخَلُو تَى ، ومضيتُ مَنْ هُو ًا بهذا السَّظفَرِ أُودعُ البطاقةصندوقَ البريدِ الفائمَ بجوارِ بابِ المِصْدَد .

وبعد قليل زايلت الفندق ، وأنا أستلهم ، مفكرتي ، : ماذا أصنَعُ ؟

إنه يومُ القنصليةِ المصرية . . . هي على مسير "خطو ات . . . فلاقصد إليها . . . وما هي إلا هنية حتى كنت أمام ناطحة من نواطح السحاب . إن القنصلية تحتل ركنا في الطبقةِ الحاديةِ والثلاثين من هذا الطو دالباذخ ، وإنها في ركنها لتقارب منطقة الجوزاه . . . شرف يهم يهدي إلى النفس الغبطة والإبتهاج !

لايجهلُ أحدُّ ما للقنصليةِ المصريةِ من مكانة ملحوظة في ونيو يورك ، وما للسَّفارةِ المصريةِ من جاه في دواشنجتونَ.

لعلك تنساءل مع المتسائلين : أى ربح أصبناه ؟ أليس هو ربحاً موهوماً ؟ ألم يكن او لى بنا أن ننفق أموال نا في إصلاح مرافقينا الداخلية قبل أن نُعْنى بالزُّخرُف الحارجيّ ؟

قد يكون فى ذلك جانب من الحق ، ولكن يجبُ ألا يعزبَ عن بالنا أن لهذه المظاهر أثرَ ها الكبيرَ فى توجيهِ الانظار وتسكوين الافكار ، وأننا أهل عصر للدعاية فيه شأن أى شأن. فهما نتشدق بكراهيتنا للأبواق الصاخبة ، ومبغضينا للزينة الظاهرة ، فإننا فى دخيلة أنفسينا نتأثرُ بهذه الزينة وتلك الابواق.

اله

العا

ولا ننسى أننا حين نظهر بهذا المظهر البر اق بين الأمم ، مهما نكن فى ركب الحضارة من المتخلفين ، فإن فى ذلك الظهور إيحاء عميقاً بحملتنا نحستب حقاً أننا أكفاء للصف الأول من الامم المتحقرة ، ثم لا يلبث هذا الإيحاء أن ينقلب عقيدة راسخة محي فينا رواقد الهمم والعزائم والقبوكى ، فنمضى فى الطريق عاملين مجاهدين فى ثقة وإيمان . . .

على أننا في هذا العصر كلُّم ِسُ تَهَافُتَ الْأَمْمِ على الدعايةِ والتظاهُر ، متوسلة كل ذلك بكل وسيلة وحيلة ؛ كلُّ أمة تتطاول وتتعالى وتُدَافع من حولها بمنكبَ بها لتنفسح لها المكان الارحب وتشق الافق البعيد.

فنى دَوِى هـذا الصحيح يتبغى ألا نـــــــلمَ أنفسـنا لفضيلة والتواضع ، حتى لا تخفيـنا بين طيّـاتِها الامواج.

إن بعض الفضائل لترتد في بعض ملابسات الحياة وأوضاعها الطارئة نقائص يكون من وراثها الخُسُران ا

واتجهت إلى المصعد، أرتقيه إلى الطبقة الحادية والثلاثين. ووقف منا فى المصعد ثرقب الارقام الكهربية التى تعين عدد الطبقات. كانت الارقام تظهر وتختنى فى سرعة حتى لتكاد تخطيشها العين ... إنى لاحشى إذا 'ترك هذا المصعد وشأنه أن يضرب بنا وجه الساء ليزحم الافلاك!

اجتزتُ باب القنصلية ، فواجهتنى رذهة "ليستْ بالفسيحة ، نُـــُرُت فى جوانبها تماثيلُ فِرْعوْنية لا يعييك أن تدرك أنهانسخ "حديثة الصّنع ، على الرَّغم مما تبدو فيه من سِمَــات البِـلى والقيدم. ووقفت أرجع البصر فيها حولى برهة "...

مظهر "متواضع" بدأ مشحر أنى بشيء من خيبة الأمل . لولا تلك التماثيل الزائفة وما داعب سمعي بين حين وحين من نِثارِ كَلَمَاتٍ عربيةِ تتجاوَبُ بِهَا الحجراتُ ، لاَنكرتُ أَنَى فَى معقلِ مصريًّ ا

ولكنى ماكدتُ أدخلُ مكتب القنصل ، وألق منه تلك الحفاوة والبِشرَ ، وآنسُ بعدوبة حديثه ورقّة شمائله ، حتى تشعرْتُ بطمأنينة نفس وانشراح صدر . . . لقد وجدتُ فى ذلك النّمُوذَج الإنسانيُّ ذي الطابع المصرى الأصيلِ ما أنساني زيْفَ الصنعة في تلك التماثيل التي قُدُّتُ من الحجر ا

إن حجرة القنصل يخمرها الضوة القوى من كل جانب، فليست حوائطتها إلا ثوافلد كبيرة تشرف على ما حولها من شواهق الابنية يتوسَّطُها عروسُ نواطح السحاب، ومليكة الشواهق في العالم: والمبير ستيت بلدنج.

ونجلت القهوة المصرية في أقداحها التقليدية ... يحملها الينا أمريكي سمح الوجه ، بالغ الأدب ، وهو يتهاد ي مبسوط القامة في صداره الصوفي ... يالها من مفارقة عجية ا. . تزاوج بين عنصرين مختلف ين ، تحاول القنصلية أن تجعلهما في مظهر واحدا ليت ساقي القهوة كان أخانا التابع المصري الامين في ذيه

الأصيل ، بقبائه الناصع المهدّل الاكام، ونطاقه الاحر القاني، و نطقه القير من عن المتألق. إذن لتم الا تتلاف بين القهوة وساقيها الفي القنصلية المصرية صورة من حيثة من الوكان، فيجبأن تكون صادقة التعبير عن ملا محه ومعالمه ا

رَكَتُ الفنصليةَ ، ورحتُ أجوب ، الشارعَ الخامسَ ، الله غيرِ و جُهة ، فقادَ تني قدماى إلى مِنْطقَة ، ركفلر ، . . . وراعنى أول ماراعنى فناحية من نواحيا ستوار عالية "تحمل ذُو اباتُها طائفة " من الاعلام لمختلف الامم ... إنها تمثلُ أعلام هيئة الامم المتحدة .

لقد أحسَنوا اختيار المكان: حديقة "صغيرة" تتحلى بناضر الزهر فى أَجْمَى تاسيق، وبحيرة "رشيقة " تنبسط صفحت ها تحت السواري كا نها تدعُو الاعلام إلى أن تتصفّح في مراتها ألواتها الزاهية ا

وخفق قلبي خفقة " يبعثُها شعورُ تُحفِق ، ووجدتُني أخطو خطوات سِرَاعاً إلىساحة الأعلام أتفقدُ هاواحدة بعد الأخرى. لم يَخْبُ مُسؤلى ، إن العلم الأخضر ذا الهلال والنجوم النلائة يَر ف مشرقاً بين هاته الأعلام! وتدانيتُ من سار يَته ، حتى كسانى ظله ، فشمرتُ كأثي ألوذ عمي حصين، وأحتمي في جوار أمين. وشخصت إليه بيصرى، وما هي إلا أن أحسستُ بأن كلُّ شيء هنالك يتزايلُ " ويختني ، وكأن نواطح السحاب قد ذا بت من حو ْ لى ، ولم يبق إلا أنا وأنت أيها العَلم الأعرّ 1 . . . أنا وأنت في تلك الأرض النائية ... أأرض أمريكية حقًّا هي التي أطوُّ ها الساعة أم هي رُ قَعَة من أرض الوطن ؟ ... ما دامت تلك الديباجة الخضراة تُظلُّني في هذه البقعة فإني أحس دِف ع مصر، وإشراق شمسها وصفاء سمائها ونضرَة أرضها ا إنى لارى مبانيها المتواضعة حتى أكواخ القرى وعرائشها تحتلُ مكانَ تلك الشواهق ، وكأنها قد عَلَى عَلَيها وتسامَتُ فوقَـَها ا

ود دُتُ أيها العلمُ أن تدنو من عليا لك قليلا ، قَتُولِيمَى عليا لك قليلا ، قَتُولِيمَى عليا لك قليلا ، قَتُولِيمَى عاشيتَك الحضراء لالثمها وأُمرِ عَ جبهى بنَضْرَ بِها الزاهية ... إنى لاريد أن أتعادُق بحاشيتِك كما يتعلن الحجيج بأستار الكعبة يوم السطوا في ، يلتمسون بر د اليقين وطمأنينة الإيمان ا

ألا فلتظل أيها السيدُ الصَّمُوتُ تعلو بهامتيكَ النبيلة ،

وحسْبُنا منك أن ترَفَّر فعلينا محيِّياً...إنكالاً فصحُ في صيّل ورَفَّعِهِ لك من ألف خطبة و بيان ا

وتركتُ ساحة الأعلام نشوان النفس، قوى الاعتزاز، و معدتُ أدرَعُ بخطاى الشوارع المُطيفة بذلك المكان... وكنت أنطلَّعُ إلى وجهات المتاجر والمخازن أنفرَّجُ، فاجتذبت ناظرى فيها لا فتة " يتكرَّرُ عَرْضُها في أبرز مكان، مكتوبة " خط" أنيق ...

> وقرأتُ: «تذكر يومَ الأم »! أيّ يوم ؟ وآي أم ؟

وتوالت وجُهاتُ المتاجر والمخازن، وهذه اللافتة المغرية ُ تبدُو أمام عيني، كانها تتكلَّمُ ولا ينقطعُ لها كلام ...

di do

وكنت على مَقْرَ بَةِ مِن بائع صُفُ فَى ظُلَّتَ الشَّا تَعَةَ، فَاشْتَر بِتَ منه إحدى الصحف بلا اختيار ، وسأَلتُه عن ذلك اليوم الذي يجيبُ علينا أن نتذ كرّه ، فأجاب مبتسما :

إنه اليومُ الذي تُسْعَد فيه الاَّمُّ برعاية أولادها ... على كلَّ ولد أن يقدَّمَ لاَمْهِ هدية َ في ذلك اليوم ... إنه عيد ُ للامومة يقيَّمه الاَّ بناء ا -والآبُ ؟... ألا يومَ له ؟ - إن له ليوماً مشهوداً تَقَرَّ به عينُه !

و تابعت تسيري أتأمَّل ثلك اللوافت المتكرِّرة.

ما أجملها فكرة تُشعر لك بتلك العاطفة الكريمة ، ولكن الا تلمح بين سطورها شبح المادّة يطل ، وطابع الآلة يتجلى ؟ الا تلمح بين سطورها شبح المادّة يطل ، وطابع الآلة يتجلى ؟ الا تكون ممة حيلة تجارية لترويج السلم ونقليها من المتاجر

إلى البيوت بين عشييَّة وصباح؟ ا

إن فى تلك الفكرة لمحاولة تُكشمِرُكُ بأن الأمريكي الغارق وسُط فيض من المادة والآلة يَحْمل بين جنيه قلباً خفاقاً بالعواطف الإنسانية النبيلة . . . ولكن الامر لا يحتاج لل هذا الإعلان الجهير والرُّخرُف الصاخب ، فقد تكون قبلة "صغيرة ملاًى بالحنان والحب أدل على تقدير الأمومة وصدق العاطفة من هدية ثمينة غالية ا

أكبرُ الظنَّ أن هذه القبلة الحنون التي يتجمَّعُ فيها صدقُ العاطفة، يشعرُ الامريكُ بها تنزايلُ وتفنّى في ذلك الجوِّ الصَّخاب! إن الامريكي ليستنقنُ عاطفة الامومة بتلك التَّذُ كاراتِ المادية وذلك الإعلانِ الضَّخْم.

تذكر يومَ الام ... فكأنَّ الامريكيَّ يهيب بالابناءِ قائلا: أيها الغافلونَ ، تذكرُوا أن لكم أمهات ، وأن لهنَّ عليكم حقوقاً وواجبات!

إن و يوم الام ، فى نظرى لهو صرخة " مدّوية تعلن خلو القلب الا مريكي من حنان البُنوَة ، وإفلاس عواطف الا بشاء فى تقدير الا مهات ا

ويح الا م من يو مها العصيب ا

إنهم ليتوجُنونها فيه ، ويبو تونها تحر شأ واهي القوائم مُزَعَنزَعَ الأركان ا

وأوغلتُ في الطُّرق أجوسُ خلالهَــا .

هذا لك لوافت أُخر في وج مات بعض المتاجر، قرأت فيها:

من أجل أوربا الجائعة ... من أجل أوربا العارية...،
إنها صناديق مختلفة الحجوم، فيها أنواع من السلع والاطعمة، عا تشتد إليه حاجة الناس في أكثر البقاع الاوربية حيث الفاقة والبؤس ينشبان الاظفار ا...

تستطيع أن تشترى أحد هـنه الصناديق ، وأن تبعث به إلى صديق لك تكبّه الزمن وأذ له القدر .

بَ لَبُنْتُ لَخُطُةٌ أَفَكُرٌ ، ورحت أَبِسُط الصحيفة التي اشتريتُها منذُ الله منذُ الله المُنْوان :

و من أجل أوربا اليتيمة!

وطالعتسني تحت العُنوان صورة طفل وسيم يبسيم لك في ضموره ونحوله ، كأنك تسمع نداءه إياك في لهفة ب

هل لك أن تتبناً في ع

وَعَبِرَتُ عَنِى سَطُوراً يَنَاجِى بِهَا الطَّفَلُ أَهُلَ المُرُوءَةِ مِنَ بني الإنسان ، قائلا ،

د أوربا ، منار الحضارة ، وموثل المدنية ، تغدو بعد سنى الحرب الست ، وقد نخر فيها سوس الهدرال ، وبدت فى رقاع وأسمال ، تستصر خ أهل الأرض ليجود واعليها بكسوة وطعام! د أوربا ، العظيمة ممله إليك كف الضراعة ، و يَد السؤال. وكأنها تقول :

ارحموا عزيز قوم ذك ا

و أوربا ، العزيزة تعرض اليوم فلذات أكبادها في أسواق الإحسان ، تبيعها نظير كشرة من خبز وقطعة من نسيج السبحا تك اللهم .. إن الدُّول كأفراد الناس سوالة بسواه ، تتداو كمُنا الآيام بالنَّعْماء والبأساء ا

ها هي ذي ، أوربا ، تلك الأميرة العاتبة التي طالما بحرَّتُ ذيلَ الحُيلاء ، وفي يدها سوط تلميبُ به ظهور الضعفاء والمنكودين ، تبدو اليوم تجرجرُ أذيالَ المهانة والإخفاق ، ولا تملك في محنتها القاسية أن تحجب نفسها عن أعين الشامِتين عن ذاقوا من يدها سوط العذاب!

أنراها تستذكرُ هذا الدرسَ ، ولا تغفُّلُ عن عقباهُ ومغزاه ، حين تندَّملُ جراحُها وثيداً ، وتستقلُ من عثراتها شيئاً بعدَ شيء ١٤ ...

١١ من ابريل

الساعة عدتُ من دار الطبيب ... إنها الزيارة الأولى لذلك الشخص العزيز علينا بعد أن استقر في تلك الدار يطلبُ الشفاء، ولمنه ليوم حاسم في موقعة المرض الذي يشكوه.

Maria de la

كنت واجف القلب ، احاولُ جَهْدَ الإمكانِ أَن أَنفِي عن ذهني الأفكار السُّودَ ، أو أن أُذكِى في النفسِ لوامع الأمال ، ولكني كلما جهدْت في إذكائها الفيْتُها تخبو ولا يَرفَ لها ضولاً...

أعترف بأنى رجل تغليب على نزعة التشاؤم ، أخلق المسكلات ، واقيم حولى العوائق ... على أنى فى هذه اللحظة أدى تلك النزعة تقدوى وتستفحل ... إنى الاجد نفسى حقا فى مهب العالهفة ، أحس الرياح المهوج توشك أن تعبث بى : هوا جس قائمة "تتلاحق وتتلاصق ، إنها لتتكاثف طبقات بعضها فوق بعض ، كا يتعقد الصباب الحالك وتتلبد الغيوم الشقال .

لقد تركونى وحدى فى تاك الحجرة الصغيرة من دار الطبيب ، أواجهُ اللو حَ الفُنْى المعلق على الحائط ، ذلك اللوحَ الذي يصو رُ ، برومشيوس ، الاسير طريح الصخرة العاتبة تثودُه الاصفادُ، والذّ سرُ منه قريب منتحف رُ لانتها شِ كبده . . .

كل ما في هذه الحياة « برومثيوس ، كلُّنا را سِفُونَ في الاصفادِ، وإن حسِبْنا أنفسَنا أحراراً ننطلقُ حيث نشاة ! . .

لقد لبثت يا دبرومثيوس، أحقابا متواصلة ، وأنت مشدود إلى الصخرة ينهش الدّسر من كبدك ، ولكن جاء يوم بحمل إليك مِفتاح الفرج ، إذ هبط عليك ، هرقلس ، فأو دكى بالنسر، ويسّر لك سبيل الفكاك ...

فيارفيق في الأسى، ويا شريكى في الإسار، هل يتاحُ لى مثلك «هرقلس، آخرُ يفكُ عنى أغلال الوساوس و يُنير لى ظلماء الشجون؟ اذن لى في أنْ أزور ذلك الشخص العزيز في تخنّدته، وهو يحتازُ الساعة الفاصلة في موقعة المرض. فدخلَتُ حَذِرَ الحُطا، وكانت الحجرة ُشحيحة الضوء، يَشِيعُ فيها الدفء، فراعني أكثر ما راعَـنى ذلك السكونُ المطبِـقُ ...

تلك هي المر"ة الأولى في حياتي التي أشعر فيها بمَـقْت وبغضاء السكينة والهدوء، تلك هي المرة الاولى في حياتي التي أشعر فيها بالخوف والفزع من تلك السكينة والهدوء . . . إني الاتمثلهما يُخفيان لى في طيئاتهما إعصاراً جارفاً ميوشيك أن يثور ا

وصافحت عيني رأساً غارقاً في غير السُّبات ، مملُّقي على الوِسادة تكسوه الصِّادات يالها صورة مفرَّعة ١ ... هذا « برومثيوس ، آخر ُ في مظهر جديد ١

ووقفتُ أَجاهِدُ محاولاً إنفاذَ بصرى وراء تلك الضّادات لاتعرَّف ما تطمئنُ به النفسُ ويستريحُ إليه الحاطِرُ... ولبثتُ كذلك وقتاً ، ثم أَلفيتُنى أرجيعُ أدراجي ، مضطربَ الحُـُطا؛ وفرَرْتُ إلى الطريق أَستجدى الهواء ١

كان الليلُ مقبِلا بنسيمهِ المنعشِ ، وأنوارِ ، المتوهجةِ ؛ كَيْمَةَ أَنَى وَجَدَّتُنَى أُو َلَّى وَجَهِى شَطَّرَ الفُّندقِ عَلَى التَّوَّ . وأسدلتُ الاستارَ عَلَى .

ای بنتی:

تركتُ النورَ في الحارج ِ يَتَالَـّقُ وَيَتَلَالًا ، والحركة تداب وتَصْحَبُ ...

تركتُ الليلَ اليقظانَ الساهِرَ على مباهجِ الحياةِ ، و حبَستُ نفسِي فَ ذلك المعزِ ل أُجلِس إلى مكتبي لأخطَّ إليك هذه الفيقرات. إنى لاستصرخُك وأضرَعُ إليك أن تُدركني في تلك الساعةِ النكراء ... وها أنت ذا تلتي النداء ا

إنك لتجلس على مقرَبة منى ، أُصغيى إليك وتصغى إلى ا ماحاجتى إلى النور تبعثه شُعَلُ المصابيح ؟ منك أنت أقتديس نورى ، وأستبين هداى ا

فى قلبى فراغ مواجداب، فهل لك أن تملاً ذلك الفراغ، وأن تُشيع فيه الخصب والنماء؟.

تحدَّثُ إلى ، وأطلُ في الحديث ، فإني كلما عبَّبْت من يَنبو عه المَذُبِ ، ازددت ُ ظَمَا ً إليه ، وكَلَفا به ...

إنى لا رهف السمع ما وسعني الإرهاف ...

تلك هي الساعات تتقضي ، وأنا جالس ُ جِلسة َ الإنصاتِ . هأنذا أُ حِس طلائع الفجر تسرُب من خلالِ الاستادِ . إنى لاشاهدُك ترق وتشيف ، ويتزايلُ عنى طيفُك الحبيب مـ فى وديعةِ اللهِ عَودَتُـك يَانِي ًا

تالله إنك وهرقلس، جديدٌ هبَط من عليائه ساعة ً ليُنفذَ وبرومثيوس ، آخر من النَّسر الذي أنحنى على كَبده نهشآ وافتراساً!

إنى لأشعر بكبدى تندمِلُ جراحُها، ويتجدد نسيجُها ا وشعَرتُ بِجفنَى يتراخَيان، وينتظمُني نُعاسُ رفيق ... ثلاثة أسابيع مضت على منذ ذلك اليوم العصيب، في دار الطبيب . . . ثلاثة أسابيع وأنا لا أعرف من و نيويورك ، الطبيب بين تلك الدار والفندق ، أقطعه ذها بأ وجَيئة في صباح ومساه ا ...

إذا بلغت باب الدار واجه تنى طلعة البواب، ذلك الشيخ الأمرد الذي يلوح لى بابتسامته التقليدية لا يعز عليه أن يطبعها على فه كل حين . كلما لمتح السيارة مقبلة بى ، عرع يستقبلنى، ويُصر على أن يعيننى في النزول، ويؤدي لى مظاهر الترحيب .

وإذا احتوتنى أبهاؤ الدار وحجرُراتُها، طالعُتُ وجوه الفتيات في لبوسهن الأبيض ، ومناديلهن المُزهرة على صدور هِن . تلك القوالب المصبوبة على نمط واحد ، كأنها حديث معلم بالخروج من المصنع الذي محبّت فيه . هؤلاه اللواتي لا تكاد تبدو منهن واحدة حتى تختفيي كانهن أشباح هاربة تتراءى في خطف البرق .

انصرمت هذه الأسابيع الثلاثة بخيرها وشرها ، وبدأنا تُلقي بأنفسنا في معمعان الحياة الصاخبة ، وقد عادت إلينا الطمأنينة والبشر .

وأردُنا أن نحتفيل بالخلاص من تلك الفترة العسراء ، فندعو أنفسنا إلى مأد بة نقيمُها لأنفسنا في مطعم أنيق . . . واستنجدت بصديق الأمريكي الأول ، صاحب حانوت الطثر في في بهو الفُندق ، وجعلت أستفتيه في شأن تلك المأد به الكريمة المنشودة ، فكان عند حُسن الظن به . . . ما أسرع أن أطنب في حديث الطعام يسرد لي ألوانه وفنونه ، وهو يبتلع المعابة مجزافاً . . قال :

ثمة مطاعم في ونيويورك مختلفة الأنواع ميخطشها العدد. يقال فيها يقال إنها تبلغ خسة عشر ألف مطعم أو تزيد. . . لا تعجب ياسيدى و إن هنا سبعة ملايين من الميعمد الخاوية العاوية تنشد الزاد ... تستطيع في ونيويورك وأن تندوق أغراً ألوان الاطعمة المعروفة في أنحاء العالم شرقية وغربية ا

وانطَلَقَ الرجل يصِف لَى الْأَلُوانِ المَمَّازَةَ ، مَا اشْتَهُرَتُّ به كلَّ أُمَّةً ، قَائُلا : تستطيع أن تأكل هُنَا , الإسباحتي ، الإيطالي ، و والشاتو بريان ، الفر نسئ ، والرز الصيني ، و , البودنج ، الإنجليزي ، و ، البُورْج ، الروسي ، و ، الشوكرت ، الألماني . فقلت ُ له مقاطعاً :

وما هو اللونُ الأمريكيُّ الممتاز ؟

فاعتصَرَ الرجلُ جبينَه طويلاً ... وبعد لا ني قال : إننا نُحِيدُ عملَ ، الساندوتش ، . . . إن الشطائرَ طعامُنا المفضَّلُ !

صَدَق صاحبى ؛ يُـو ثِرُ الْأَمْرِيكِيونَ اتّخَاذَ هذه الشطائر ، لا لأنها لذيذة أن ولا لأنها فاخرة ، ولكن لشيء آخر ، شيء هو عند الامريكيين كل شيء . . . سهولة الإعداد ، وسرعة التناول . . . أنت لا يتسنى اك أن تأكل أي لون من الاطعمة على الاسلوب الشائع ، إلا إذا أعددت لذلك العدقة من مواقد ومساخن ، واتخذ ت كذلك المواثد المدجدة بالصدحاف والاشواك والسكاكين . . . أما الشطائر والها لا تفتقر الى نار موقدة ، أو أسلحة مُشرعة . . . فدقائق تُصنعُ ، وفي لحظات تُكلتهم ، لا تتقتضيك جلسة خاصة في مكان خاص ، فإنك تُكلتهم ، لا تتقتضيك جلسة خاصة في مكان خاص ، فإنك

لتطعم شطائرك واقفا أو قاءداً ، ماشياً أو غير ماش، ممقيلاً على عملك أو مُخلداً إلى راحتك ...

إن الشطائر لتمثل طابع الحياة الامريكية أصدق تمثيل ، طابع الانتفاع والوصول إلى الفاية في أسرع وقت ، دون ركون إلى دَعة الاستمتاع ، وكسل الناذ ذ بمذاق الطعوم . . . الشطيرة في الاكل ، والسيارة في التنقيل ، وقلم المداد في الكتابة ، نماذج أصيلة اللحد في الاستفادة ، والعجلة في قضاء الوطر .

هذا الطابّعُ المستحدّثُ في الحياةِ الأمريكيةِ يقتُـلُ التفننَ في الاستمتاع، ويمنّع استدرارَ النشوةِ ...

إنه طابَع ُ غاية ، فأما الواسطة ُ فابتغاؤ ُ ها من أقرب طريق.
ولكن ما هي قيمة ُ الحياة الحقة إذا تجردت من النشوة والاستمتاع في دَعة وأناة ؟ أليست النشوة ُ والاستمتاع كالرُّوح النابيض ، فإذا خلَت الحياة ُ منه كانت بلا روح ؟ ١ ونَصَحَ لي صديق صاحب ُ الحانوت أن نُقيمَ مَادُ بتنا في مطعم ألماني ، أشاد بجو د ته .

فضّينا إليه . . . دخلنا المطعم ، وأوْغَـكنا فيه ، فكأننا نجوسُ خلالَ حانـَة من حانات عصْر ، شارلمان ، ...

عوارضُ من التخشب عَلَاظ مُ تَعملُ السقف ، وأقبية من بقايا تحتض الحنايا والزوايا هنا وهنا لك ، وقناديل ملو نق من بقايا العصور الغوابر ، ونقوش ساذَجة على الجدران ، بين تضاعيفها تهاويل الاساطير.

وأقبل علينا رئيس النّدل ، يتهادَى في جر مه الضخيم ، كأنه ه هند نُبرج ، يتقدّم الصفوف ... أليس هو القائد الأعلى غير منازع في ذلك الحان ، أو على الاصح في ذلك الميدان ؟ حسب أن يشير إشارة الإمر وفيهرع إليه الغيلمان بما بطلب صاغرين التعير إشارة الإمر وفيهرع إليه الغيلمان بما بطلب صاغرين التعير أينا في أدب ، ثم قادنا إلى إحدى المناضد ... كل شيء تتجلّى فيه رُوح الجرمانية ، ولكنها جرمانية متأمركة ... وطالعني لوح مقرأت فيه بالخط العريض : ، أنت في رقعة من أور با العجوز ، فكل واشرب هنيئاً مريئاً ، .

ما زالوا يتغنونَ بأوربا وسُطَ ذلك اللهر جَـانِ الأمريكي البهيج ا

إن ، أوربا ، لتبدو لعشاقها في ، أمريكا ، على الرغم مما انتابها من كوارث ، وحلَّ بها من ويُـلات ، غالية َ المهرِ ، عزيزة َ المنال . إنها عجوز "تحملُ في صفحتِها تجاعيدَ السنينَ ، ولكنها ما برحت تجتذبُ أنظارَ الناشئينَ في العالَم ِ الجديد ...

إنهم ليتنسَّمون منها عطرَ الماضي السَّحيقِ ، ويتملُّوْنَ فيها علالَ الأمس البعيدِ .

إِنَّ مَن لا ماضي له يطرَبُ للأنفام يُـو قعُها الزمن على قيمارَةِ التّاريخِ ، قلا غرْو أن نرى الأمريكي الناشيء يهفو قلبُه إلى القديم ، إذ لا قديم له يروعُه بأمجادِه وأحسابِهِ ، ويرجعُ به القهقرى في ركب القرون وموكِب الاحقابِ ...

إن الأمريكي الناشيء يعرف أن عمرَه الإنساني في دنياه الجديدة لايزيد على ثلاثمائة سنة ، وإن هذا الأمريكي لا يفوته أن تلك الحقية كيست في عمر التاريخ وماضي الآم إلا خطفة برق ولمحة بصر ، فليس هو بين معاصريه من بني الامم إلا طفلا بين الكهول ، وقرَ ما بين العماليق ا

زايلنا المطعم ، ونحن نتمايل من الكظّة ، إذ كانت الصحاف جرمانية بالمعنى الحق : وفرة دَسَم ، إلى طيب مَذاق يغرى بالاستكثار ، دون رَعْمي اشيء ا

ومن يكن ضيف و شارلمان ، لا يخرج إلا بطيناً مجهود الانفاس ا

« الشارعُ ، في نيويورك ، حسناه تجذ بُك على الرغم منك، وترُوعُكَ من فتلتها كل آن بجديدٍ ، وتزيدُك سحراً كلما ز دُتها نظراً كما قال الشاعر الأول...

إنك تخرج إلى , الشارع ، لا لكى تمارس شأنا ، أو لتقضى مطلباً . بل إلك لتمضى إليه لا شُغلَ الله إلا أن تضرب فيه طولا وعرضاً ، وتَذرَعَ رحابَه جَيئة وذ هوباً ، بل إنك لتجني على نفسيك ، متلمَّساً أوهن الاسباب للخروج ، طلباً للا ستمتاع ، بالشارع ، ومباهجه ١ ...

ولو خرجت إليه حقاق أمر ذى بال لوجدت نفسك لا تكاد تستقبل مواكبه ، حتى يطويك في معمعانيه ، ويدفع بك في تشاره ، فتنسى أو تتناسى ما خرجت من أجله ، ولكنك لا تندم على ما فعلت ، ولا يُو سيفك أنك نسيت أو تناسيت ا

مهما أوغلت في الطريق ، وتطلعت إلى مفاتسه ، فإنك لاتحظى منه إلا باليسير ، هو كنز " يتجد "دُ لعبنيك ، وإنك لـتترك شيِّقَ النفسِ إلى أن تراه ، فلا تلبثُ أن تعودَ اليه على الرغمرِ عا تكابدُ من رَهَقِ الزحمةِ والتدافُع ِ بالمناكِب .

«الشارع، في « نيويورك ، قلبُها الحفّافُ ، وُرُوحُها النابضُ ا « الشارعُ ، في « نيويورك ، نموذَج "كامل" يمثلُ لك حقائق مجتمعيها وعناصر حياتها ، ترى فيه أخلاق الأسّة وعقليّاتها و مَن حوتهم من أصناف الناس.

قصدت ، الشارع ، لا أمضى لشىء ، بل لِادع ، الشارع ، يمضى بى إلى حيث يريد ً ا

استرعَى نظرى فى هذا اليوم أمرُ جديرُ بالنسجيل، ذلك هو الصَّبْغة ُ الامريكية التى تصطبغ ُ بها الامَّة ، وما لها من خصائص فى الخُلُق والذوق والجال.

ربما ميقال: كيف يجوزُ للرو أن يتحدَّثَ عن الجلسِ الامريكيِّ، مُمستوحياً حديثه من نظرة مُيلقيها على مدينة واحدة؟ ميد أن هذه المدينة ذات الملايين السبعة إنما هي صورة مصغرة صادقة التعبير تتحدَّثُ بلسان الملايين المائة والأربعين اللي تعميرُ أرجاء هذه المملكة الرحيبة . . . يكاد كل ركن في ونيورك ، تجتمعُ فيه خصائص كل ولاية من هذه الولايات

الثمانى والأربعين التي يتقوم بها صَرْحُ الجمهورية الأمريكية العظيما تحتضن الجمهورية ' الأمريكية أخلاطاً من شتى الاجناس، وقد تكونُ الغكبة ' للجنس السكسونيّ ، ولكن هذه الاخلاط تعملُ على أن تنصير في الحياة الامريكية ، ولعل ، نيويورك ، هي البُو تقة الاصيلة ' الرئيسة للإنصهار ...

إنك وأنت تجوب و الشارع ، في و نيويورك ، تُحِسُّ أنك في هذه البوتقة ، في تلك القِدْر الكبيرة التي تجمعت فيها هذه الاخلاط ، ومُصيَّت عليها الاحماض المُذيبة ، واوقدت عجماً النار الحامية الصاهرة.

فأنت ثمّة تشهدُ الألماني الفارق في أُوتقر اطبيه ، والفرنسي الهائم في رُومان سيته ، والإنجليزي المتلفع بتقليديته، والإيطالي المتلهب بخفتيه و نزقه ؛ قد انصهروا جميعاً ، وخرجوا قوالب أمريكية آليّة تستظيل براية والدولار ، العظيم ! ...

هى قِدْر تمورُ ، وهى عناصرُ تتحليَّلُ فى القدر ، تلك العناصرُ هى أقدارُ أَ مَه ، بل جامعةُ اتمم ، تحاولُ بحق أن تخليُق له اثقافة محديدة ، وترسُمَ لها مبادى عجديدة ، وتنشيء له الحتر عات جديدة . تحاولُ أن تقدم إلى العالم كلَّ يومٍ فى كل منحى من مناحى

الحياةِ شيئاً عليه طاتبعُ الجدة ، شيئاً فيه رُوح التوثشُبِ والمضيِّ إلى الأمام.

ولكن : أكلُّ جديد نافع ؟ وهل السيرُ إلى الامام يبلغُ بنا دائماً مناط السعادةِ المنشودة ؟ . . .

إن لم تبلُغ مأمريكا، غاية هذه السعادة، فحسبُها أنها شرعت للعالم منهج السير، وما هذا المنهج إلا أن يعمل الإنسان دائماً برُوح التوثّب جاهداً غير متكاسل ولا متردد، أن يشق الإنسان أفقاً جديداً، ويرتاد دُنْيَديات مجهولة عيرهيّاب ولا متزمّت ...

إنَّ تلك الروحَ هَى السمى مافى الحياةِ الامريكيةِ الحديثة، وهَى أسمى ما ينشُدُهُ الإنسان لِدنيانا القديمةِ المتكَّشَةِ وراءً الحدودِ والسدود، المكتوفةِ بأغلال المخاوف والتقاليد 1

أنا هنا شرق أنظر إلى تلك الروح التي تصطبيع بها الحياة الامريكية وسبغة واضحة ، فأشعر بيس حاجتنا نحن الشرقيين إلى قَدْسة من ذلك النور ، تضي النا الطريق إلى الامام . أيها الشرق العزيز :

'إنك لتلمح ركب الحضارة سبّاق الخيطا ، فتحاول أن

تلاحقه أحتى لا ينبت بك الطريق ، فتهيم شريداً في أو دية التلبه ...

إِنَى الْاراكَ تَمضى وراءَ ذلك الركبِ ، ولكن بقدتمى سلحفاة ، في حين أن الركب يندفع على جناحي طائرة الموريز:

بعض هذا التشاؤب، وبعض هذا التمطي ا

أمط عن كتفيك أخيوط العناكب، واخرج من الغاركا فعل الرسول حين خرج أمها جراً يدعو إلى دين جديد ... فليكن خرو جك اليوم لتُبشِّر في العمل بدين جديد، دين قوامه التطور والتطلع والوثوب ا

لقد راعني أولَ ماراعني من خصائص الحياة في « نيويورك » ذلك الجمالُ الأمريكي ، وأخصُ به الآن : جمالَ المرأة .

يقيني أن جمال المرأة لا يُحْسن الحديث عنه إلا الرجل، فإن الرجل في هـذا الشأين أصدق حديثاً وأنور بصيرة ...

هو إذا تحدث عن رجل آخر َ فإنما يتحدثُ عن نفسه ، ولذلك يتحوَّطُ ويتحفَّظُ ، ويتخذُ وسائل المغالطة والمجاملة والدَّمانِ . من برضى أن يفتح بابه ُ على مصراعيه للملاِ يكشفون خباياه ١٤ من برضى أن يفتح بابه ُ على مصراعيه للملاِ يكشفون خباياه ١٤

على أن حديثَ عن الرجلِ حديثُ مبتذَلُ علولُ ، فهر موضو ُ عه الذي يعيش فيه طولَ حياتهِ ، لا يبعثُ فيه شوقاً إلى الوصفِ والتسجيلِ .

أما شأنُ الرجلِ مع المرأة فله اعتبارٌ غيرُ هذا الاعتبارِ ... إن المرأة حيال الرجلِ عالم شائقٌ مجهولُ طالما تمنى ارتيادَهُ وكشْفَ طلاسمه ، فهو يسعى في دأب وشغف إليه ، تحفزه أقوى الغرائر والطباع ، وإنه ليتغلغلُ إلى أعماق سريرة المرأة ، ويتفسّطن إلى كوامن نفسياتها التي قد تبكون منها شيئاً ...

لقد خُلِقَ الرجلُ ليرتادَ قلبَ المرأة، فهو يتابع الجهادَ على المحدَّى من بصيرته ، لا بدافع من عقله ومنطقه ، وإنَّ من البصارُ لما يبلُغ بهدايته فوق ما تبلغُ العقولُ ! ماذا أنا قائلُ في جمالِ المرأة الأمريكية ؟

إِخَا ُ لَى أَطَلَتُ التَّقَدِمَةَ وَأَشْدَتُ بَلَيَاقَةَ الرَّجَلُ فَى الحَدَيْثُ عَنِ المَرَّأَةِ، وإِذَا فِي أَقِفُ الآنَ حَيْرَانَ أَخْشَى ٱلا يُصيبَ قولِي جَلائلَ الاهدافِ.

ثُرى أين لى تلك البصيرة ُ التي أُعليت ُ من شأَنِها لتعيدَى على طريقي ، فآمَن َ العِيثار ؟

لعلى لا أكون على غلو فى القو ل، إذا سجلت أن الجمال النسوى فى العالم تتناز كمه أرضان: أرض السكنانة ، وأرض و العم سام ، . لا أقصِد بالجمال المرموق ذلك التناسب الفينوسي من عين بحث لاء وأنف دقيق وخد أسيل وقوام كنصن النبان ... والسكن أقصد بالجمال ذلك النوع المتميز بالجاذبية الانشوبة ، ذلك الذي يسمونه و السكس أبيل ، ...

وهذا التعبيرُ أمريكي محض "، نبت هنا لك بحق ، ولم يُخلق باطلاً ، فجمالُ الأمريكية على وجه عام " يحفيلُ بتلك الجاذبية الانثوية ولعل مرد ذلك إلى انصهار الاجناس الإنسانية المختلفة في تلك البُوتقة الكبرى ، و من ثمَّ يخرجُ منها من اج " طريف هو نخية المحبرى ، وصفوة الفتنة ... هو مكوكتيل ، الجمال الغربي !

وإن هذا الانصهارَ الذي يتم في البوتقةِ الأمريكيةِ قد تم مثله في البوتقة المصريةِ من قبلُ ...

إن أرض الكنانة بموقعها الجغرافيُّ المتميز وخصيبها

الذي أسبغه عليها النيل السخى ، ظلت مهبط الرحال ، وملتق الأجيال ، ينزح إليها المستعمر والمستثمر ، والتاجر والمهاجر ... هي بو تقة "سبقت البوتقة الأم بكية ، وتمخضت عن جمال نسوى أنضجته شمس الصحراء ، وغذ ته خصوبة الوادى ، ورواه رحيق النيل ، وشاعت في سماته أحلام الشرق وأخيلته ، فأصبح ، كوكتيل ، الجمال الشرق ، وغدا سحرا لا يفوق مستواه أي مستوى آخر الجمال العالمي 1

أى وأمريكا و القد وجدت في جنسنا اللطيف ندًا لك، والرماح، ينازعك عرش الجال، ولكنه ند لايباريك بالاسنة والرماح، بل بإيماءة الطرف ولحظ العين. في تجدين في جنس الرجال منا ندًا لك يجاريك في ميادين العمل ورحاب الكفاح ١٤ في وأمريكا، اليوم مدرسة عالية "، بل معهد أكبر، عيدرس فيه فن الجال وتتخرج فيه روائع الحسان، يُرسَم في ذلك الممهد منهج الدراسة وما إلى ذلك من ترابع ومخطة، وتعد فيه الوسائل والمواد والتجاريب.

ليس ذلك المعهد إلا وهوليوده ...

فهذه المدينة ُ على ضآلتها وانتزاحها عن قلب وأمريكا،

قوية ُ التأثير ، واسعة ُ السلطان . إنها مصنع عظيم للجمال الأمريكي ، منه تخرج نماذج شتى في كل مظهر من مظاهر ذلك الجمال في الزينة والزيُّ والشائل ، وفيه تقرَّرُ الأذواقُ مُ الفتِّية التي تغدو ذوقاً رفيعاً يدين له الرأيُّ العامِّ ... إن والفلم، الأمريكيُّ لينشرُ فينا رسالة َ هذا المعهدِ، ويبشر عباديَّه أينما حلَّ ، وإن أثر ذلك والفلم ، في نفس المرأة الأمريكية ، خارج البيت وداخله ، لأثر ملحوظ الجانب واضح السَّمات. يفتقرُ الشرق إلى « هوليود » أخرى خاصة به تتولى درس الجال الشرقى وتعزيزَهُ وإبرازَ خصا تصه وتعميمها وفق بيئته وطا بعه وذو قه . . . لا تستطيعُ المرأة المصرية أن تتطلع إلى وهوليودَ، أمريكا إلا كما يتطلع الطالبُ المصرىُ إلى معهد فني أوربي أو أمريكي ، فهو يَلقَـنُ ما فيه من علوم ومعارف، ولكن لا بدله من أن بهضمها ويتمثلها ، ثم بحلوها بعد ذلك وقد اتخذت لها وضعاً آخر ً، هو الوضعُ الملائم لوطمنه وقو مه من شتى النواحي والاعتبارات.

سُوف تُنشأ ، هوليود ، المصرية ُ آجلا أو عاجلا ، وسوف يكون المعوَّلُ في إنشائها على أختها الكبرى ، هوليود ، الأمريكية ، كما هو شأننا في مظاهر حضار تنا التي نصطنيه على غرار حضارة الغرب . . . ولكن علينا أن نستعير من هنا لك أحدث الأساليب ، محتفظين لا نفسينا دائما بجوهر الجمال الشرقي ، لا نستبدل به جوهرا جديدا يشو هه أو يبدله خلقاً آخر ، حتى يكون عملنا في ذلك أقرب إلى التطور والتجديد ، منه إلى المحاكاة والنقليد .

حقاً إنه ليوم ماصف ...

لم تـكن سماؤه ملبّـدة بالغيوم، ولم تتطاير فيه البروق ولا حوسّت الرياح. دوسّت الرعود ، ولم تبطّـل فيه شآبيب المطر ولا مجمْهَ جت الرياح. إنه كان عاصفاً بِبَر نامجه الذي أعددته لنفسي، أو بالحرى الذي أعد وه لي ...

أنت َ الآنَ في منيويورك ، عروس العالم الجديد حضارة وطرافة ... أتتر ُك الا يام تتتابع يوماً إثر يوم دون أن تقتحم المدينة في عريبها الاصيل ، وفيها يَحف بها من أرباض ؟

إنك لتُكيق بنفسك في والشارع، تجول فيه وتصول ولكن أليس لحياة والشارع، من نهاية ؟ إنها لحياة ورَخوة معلى الرغم على الرغم على الم من زحمة وتدافع ... هي لا تكلفك إلا هبوطاً إلى الطريق وانسياباً فيه 'بُرْ جيك أموا جه ...

حقاً إن ، للشارع ، مباهج تفعم النفس من لذة وإمتاع ، والكنها ذات طاتع واحد ، وإن تغيّرت ظواهر ، وألوانه .

لقد حللت ، نيويورك ، منذ ُ قليلٍ ، وستفارقُها عما قريبٍ ، فإذا بك تعود ُ خاوى الوفاضِ إلا من ، شارع ، وبعض شارع ،

حق أنك لم تقدَم هذه المدينة لنزهة أو طواف ، وإنما قدمت في مهمة علاج واستشفاء ، ولكنك على أية حال وسائخ ، ، أبينت أم رضيت ؛ وعلى «السائح ، فروض يجب أن تُر عى ...

لقد اندَ بحت في زُمرةِ أولئك السادة الذين يسيحون في الآرض ، ويرتادون البِقاع والاصقاع ... فعليك أن تمثل دور مؤلاء الابطال ، لتشبع من نفسيك غرور ها المنهوم 1

للسائح في كل بلد مقام ملحوظ ، فالتبجيل يحوطه ، وتيسير سبيله حق الله على كل من يتصل به .

إن الأدِلاَّة والتراجمة لا يكادون يلحونه حتى تراهم يُهرَّعون إليه يخطُبون وُدَّهُ ، ويُسكر مون وفادته ، ويند قون عليه ألقاب العِزَّة والإعظام ... هشهمُ الأوَّل أن يُزيَّنوا له النزهة ويُعِد واله الأُهْبَة ، ويتخذوا لذلك زُخرفاً من القول

يبترُّون به بضعة َ ذُرَيهمات . . . لا يَعْسَيهم ْ بعدَ ذلك أأصابَ متعة ً أم ضلُّ سعيُـه وخابَ ؟!

إن والسائح ، في الواقع ِ هو الرمزُ الأكبرُ للتغفيّل . . .
الدليلُ يعلمُ ذلك حقّ العلم ِ ، والسائحُ نفسُه يعلمُ ذلك حق العلم ِ . يشد أن هذا لا يمنعُ أن يتحد كلاهما وأن يتصافيا ، وأن يُسلم كل شمنها عنائه لصاحبه ا

لا يفوتُ السائح أنه مضحوك منه ، مكذوب عليه في أغلب الأمر ، وأن ما يُبديه الادلاء من علائم التبجيل وآيات المُصَافاة ليس إلا شباكاً منصوبة تتصيَّدُ معا يُمه ، ولكنه على الرغم من ذلك مُلقي قيادَهُ لمؤلاء الادلاء ، لغير شيء إلا أن يبدُو في أعين الجماهير سائحاً ، سيّداً من السَّراة الأعلام ، دفع به الترف إلى أن يقد م الديار ، إجاجاً لنفسيه ، وتنعيا لناظيره النقوف إلى أن يقد م الديار ، إجاجاً لنفسيه ، وتنعيا لناظيره القيون وتُحدق فيه العيون وتُحدق فيه العيون أنه يطمع في أن يبر و أمام سواد الناس تُحدق به العيون وتُحدق فيه العيون أنه طراز آخر من الناس أنفس وأغلى ، وطيئة أخرى من الخلق أطيب وأذكى ...

إنه في بادىء الأمرِ سائحٌ مستطلعٌ، فإذا غرثهُ موجةٌ

الحفاوات ، وأحاطت به التشاريف من كل جانب ، نَسِي أن ذلك كلَّه مُ تَمثيلٌ وتمويه ، وخيسًل إليه حقا أنه أحد أولئك السَّراةِ الأعلامِ الذن يُشارُر إليهم بالبَّنانِ ..

بهذه الخواطرِ رضيتُ لنفسى أن أكونَ سائحاً بحق ا أليس لِى العُندر بعدَ ذلك في أن أَعُدَّ هذا اليومَ عاصِفاً ؟ سألتُ ممرافِق :

إلى أيةِ وجهةٍ أنتَ ماضٍ بي ؟

- إلى و ولدرف استريا ،

- وما هذا ، الولدرف استرماء؟ ١

- فندقُ ، نيويورك ، الأولُ ، وإذن هو فندق العالم الأولُ ا ومشكلتُ أمام ذلك الصّرْحِ الشاهق العظيم في ، بارك أفنيو ، أصَحَدُ فيه النظر . إنه ليعلو بطباقيه ويتشامخ ، وإنه ليَنبسط عنة ويَسْرة ، فإذا به يحتلُّ بضخامته وقعة مربَّعة من الأرض تتفرّع على جوانبها شوارع أربعة "فيساح".

ولم يطُلُ في التطلع خشية أن يعاجلني دوار م، فاند فعنا مقترحه من الله و ا

وأخذ يرمى بنا من جانب إلى جانب ، كأننا فى قصر التّبهِ ندور فى مسالِكَ متشابكة ممفّض بعضُها إلى بعض ، لا مدخل لما ولا مخرج .

ولبثنا نجوبُ هذه المتاهَ له ، نعرُ ج إلى سمائها ، ونهبِط إلى قاعها ، ونضرب فى أرجائها طولا وعرْضاً ، تتوالى علينا الصورُ والمشاهِدُ ، . . . كأننا فى منامٍ مضطرب تترا يى لنا فيه أضغاثُ أحلام . . .

ردَ هاتُ فحمة ، مطاعم متباينة الدرجات ، مسارح ومراقص ، قاعات المحاضرات ، أبها المحلاقة ترميد فيها المقاعد عشرات ، مكتبات ، حوانيت ، مضخات المصوت يتعالى ضجيجُها حينا بعمد حين . . . وهذه الأكداس من البشر تحسرها حُزرَ ما ضخمة من أوران مالية تخطو هنا وهنا لك الفنادق ، وخلاف هذه المظاهر المألوفة أمثالها في دنيا الفنادق ،

حياة أخرى مستورة "لا تقـل عنها ضخامة وسعة . . .

أنت إذا قرأت نبآ موقعة حربية طالعتنك على الفور صورة الكتائب تلتحيم وتتطاحن ، ولكن هذه الكتائب خلفها أمداد أخرى قد تفوقها عدداً ، هي عددة النصر الحقة ، كتائب من العدملة والصناع الفنيين الفائمين على ليرة والدخيرة والتمريض وضروبِ الحدمة العامّة . . .

فذلك ما تراه ما ثلاً في هذا الفندُق ، فإن وراء الردهات والقاعات والمطاعم والمراقص وغيرها تختفي حجرات وساحات عوى المطاهى والمصانع والمغاسل ، فيها تجحفل جراً رسم العال الساهرين على سد حاجات تلك المدينة الحافلة التي تسمسي في « نيويورك ، : فندق ، ولدرف استريا ، ! ...

وسمعنا الدليلَ يقولُ خاطفَ اللهجة ،كأنه أيلق درساً: الفندقُ يتسع صدره لعشرينَ ألف طَارق.

الفندق يشربُ كلَّ يوم أكثرَ من سبعةِ آلافِ لتر من اللبنِ ...

الفندق يهضم كلَّ يوم ألنى كيلو من ضروب اللحوم . الفندق يأكل كلَّ يومٍ عشرين ألف رغيفٍ .

الفندق متأهب لأن يقد م عند الطلب من الأنبذة ما قيمته ما ثنا ألف دولار.

الفندق يحوى ثلاثة آلاف من الحدَّم يتولَّو ْنَه، إلى جانِهِم ْمِئُون من ماسحى الزجاج ، البهلوانيين ، مخصَّصون َ لتنظيف ستة آلاف من النوافذ .

الفندق . . .

فقلت لصاحي اقاطعه:

ا خاسب

- ألا تريد أن تعتلى السطح لِتشهد منظراً لا يساميهِ منظر "آخر عظمة ورو عة"؟

- أُريد أن ألتمس عظمة ً أخرى غير ما أشهدُ ا

وخرجت ناجِياً بنفسى من أغوارِ تلك المشاهةِ ، احاولُ أن أتنسَّمَ نسيماً بمنحنى الهدوء وراحة الاعصابِ .

و سر تُ مخطواتٍ ، وقد لمحت فى رأسى أطياف قريتى المتواضعة فى ريف ، مصر ، بأكواخها التي لا تناطع شجرة ، بله سحابة ، ودارى المتخاضعة التي لا تتطلب نوافذها العبانا واحداً بتراقص عليها لتنظيفها ا

وهمهمت أناجي نفسي:

حقا إن السعة والضخامة والسموق عظمة أى عظمة ، ولكن أليس فى السداجة والضآلة عظمة لا تقل عنها قدراً ١٤ والتفت ألى ممر افق أقول : والتفت ألى ممر افق أقول :

- إلى ، امبير ستيت بلدنج ، كبرك نواطح السحاب في «نيوبورك» ، فهى إذن أكبرُ أبنية العالم أجمع ا - أما ننتهى من نواطح كم هـذه ؟ إنى الأشعرُ بها تكاد تحطيم رأسي تحطيما ا

ومضينا إلى تلك الناطحة التي شُرْسي طباقتُها على المائة والتي يبلغ معلومُها نحو ألف ومائتين وخمسينَ قَدَماً.

حقيًا إنها لمدار دُ من مرَدة وسليمان ، ما ثِلُ بقوامه الفارع المشعبق يتعالى فكر عنه وعتُوا ...

في مستطاعك أن تخترقَ جوفهُ بمِصعَد حنى ببلغ قِمْتُه في طرُفة عين ...

هنالك في رأس ذلك المارد تنظرُ بعيليه حولك ، فتنكشفُ لك ، نيوبورك ، على مد البصر : جزيرة و رشيقة ، شوارعُ منظمة ، حداثق منسقة ، أبلية متراصة ، أنهار جارية ، جبال نائية ... وبينها أنت تتملى خلابة هذا المنظر الجميل إذا به يختنى ببن غلائل من السحاب تحاصر ك من كل جانب ، فلا ترى إلا عَيْماً ينبسط تحت ناظريك ، فيخيل إليك أن المارد قد طار بك بين أجواز الفضاء ، وأنه يخترق بك طباق السماء ... قد طار بك بين أجواز الفضاء ، وأنه يخترق بك طباق السماء ...

ولا يَلبث المارد أن يُعمض عينيه ، ويجتذبك إلى جوفه ، مُم يبط بك إلى قراره في لحظات ، ثم يلفي ظك في الطريق ، فإذا بك قد قطعت الرحلة بين السماء والارض في غفوة خاطفة من غفوات الاحلام ...

و ملت على مرافق ، وأنا أمرُّ بهدى على جبهتى ، أستعيدُ يقظتى ، فقلت له :

ماذا بَهِ قِي من بَرْ ناجِكَ ؟ أَلَم ننته بعدُ ؟

- إننا لم نكد نبدأ ا

_ إلى أين ، بر بك ؟

_ إلى تمثال الحرية ...

- وبعدة؟

_ نزهة حول جزيرة د ما نهاتان ، ...

- وبعدها؟

-جولة مسائية منى أحياء « نيويورك ، الا صيلة... ووضعت يدى على كتفه فى استسلام ، وأنا أقول: قد ناحيك تريد ، فلقد أسلكمنا أمرنا إليك وإلى الشيطان! إلى تمثال الحرية ... و حشر نا في سيارة حافلة ، جرَّت بنا إلى منطقة . نيو يو رك. الجنوبية : حيَّ كأنه من أحياء وأورباء العتيقة ، شوارع مساة ، لم يحرعلها نظام الترقيم الجديد . مارق ليست مخططة بالمسطرةِ والفرجار ، هي التي تقرب من أفها مِنا و نظامنا المعهود. . إن هذا الحيُّ هو ، نيويورك ، القدعة ، بل إنه «أمستردام» الجديدة مخط رحال الهولنديين ، حين هبطوا هذه الدنيا مستعمرين ، ومازال هذا الحي محمل من و هو لندة ، ظلالاً ونفحات ... لقدأقاموا سوراً محكة مدينتهم ومحمهامن العدوان ، فأصبح مكان ُ السور طريقًا ضيَّقًا يحملُ اسمَ السور. في ذلك الحيُّ مطفنا طَوافاً عاجِلاً مُنتحف و لواشنجتون ،: مُطرَف ومخلفات ومصورات منعهد ذلك الرايس الأول الجمهورية الأمريكية ، ما برح المُتحف يحمِل روح العصور الو سطى ، ويتنفس أنفاس حرب الاستقلال ا

إسراع م إلى السيارة الحافلة.

مبوط عندالمرفا.

قيل لنا إننا في الميناء ، ولكن أي ميناء هذا؟

إنه ساحل مرصوف يتطاو َل. يمتد دونَ أن يدر ل له انتهاه :

فيه تتراص البواخِرُ على نحو أمريكي كليَّه زحمة واحتشاد . ثمنا لك زجُّوا بنا فى باخرة ، أو شِبهِ باخرة على الاصح، فراحت تمخرُ بنا الماء إلى الجزيرَّةِ التي يقوم فيها تمثالُ الحريةِ . أَتَمثال للحرية هو ؟

إنه يبدو للعين كلما اقتربنا منه ؛ كا نه إلهـــَة لذلك المعنى المحبوب الذي تهوى إليه أفتدة للبشر .

طالعت ناتلك الإلهة ' بوجمِها الوسيم، ورأسها المتوج ،وثوبها الفيضفاض ، ومشعمَلها البلوري تحمِله يدها الطُّولي...

لقد ارتفعت تلك اليد بذلك المشعل، وما برحت مرتفعة منارآ للسالك ، ورمنزآ لتلك الفكرة المثالية المنشودة الخالدة . كرمت تلك اليد ، ولا زالت قبلة السلام، ومبعث النور، وفر الأمل الرحيب!

هي إلهة حقًا ، ولكنها من خلُّق البشر .

عبقرية ﴿ فرنسية ﴿ صاغتها ، ونفخت ْ فيها من رُوحِها ..

وعبقرية أمريكية أخرى صنعت للما علو داً باذِخاً تعتليهِ التبعث من عليائه النور على الإنسانية الشقيَّة بالظلام.

إنّ و فرنا، و و أمريكا ، لتجتمعان في ذلك النُّصُب

العظيم: في النمثال يتجلَّى الفنَّ الفَرَ نسى الرائعُ ، وفي القاعدة تتجلَّى الدَ ظَـَمة ُ الامريكية بضخامتها وجلالِها ،

نزول منى جزيرة التمثالِ ...

صُعودٌ في جوفِه ...

شرفة ' نطِل منها على « نيويورك « فعرى شوا هِقَهَا 'مشرفة بهيجة تتجمّع مقطلعة الله إله الحريّة ، كأنها عَذَارَى يتزاحَمْنَ مَمَّمَ مُسْتَمِيدًات مِن أُمِّهِنَ الرَّءومِ رُوحَ الحياة ا ... فَتَرَة ' راحة واستجامٍ في أحد المشاربِ ... قُفُول ' إلى المرفكم ...

وهُنا لِك ركبْنا إحدى البواخر، نستمتع فيها بضع ساعات بنزهة بَحْدرية حول جزيرة ومانها نان ...

وما وما ما ما تان ، هذه إلا قلب و نيويورك ، الخفتاق !
رشيقة "أنيقة "هي تلك الباخرة ، لم يعيبها إلا ذلك التكدس والإزدحام ، ونظام و الطوابير ، الذي استتب أمره في ونيويورك ، افاصبح لا غنية عنه في كل شيء ولا مَعْدى .
و نيويورك ، افاصبح لا غنية عنه في كل شيء ولا مَعْدى .

سهلاً في جو تطيّع ، كأننا في سيارة حافلة تقطع بناطريقاً مُعبّداً من الطريق الفِساح .

وأخذ انشهد ما يمر بنا من المبانى والحدائق ... وذلك الطريق العجيب تتعد ك طبقات وتتباين أشكاله ، وهذا الصف المعتد من البواخر والسفائن كأنه كتائب في وم عر ض عظيم وتغير نا مكانا ينأى عن الزحمة ، يتوافر النا فيه الهدو ... وما كد ت أستمتع فيه بمجلسى، وأتنت م نفحات البحر ، حتى علا صوت لاأدرى من أين نجم ... إنه يجلجل وسط الباخرة ، وينف ذ إلى أعساق يتحد ث في وينف أذ إلى أعساق الصوت ، أما ذلك المتحد ث نفسه فلم أعثر له على ظل ...

وعلمت أن صاحبَنا دليل يكمنُ في ركن مخصوص، يُلدُقي بشَـَطَــَاياه، وهو آمِـِن في مكمنه مستقـِـر " ...

لقد أَ تَوْ الله ليَـشرحَ لنا ما بحوز به من المعالمِ والمعانى .
ليته علم أن أُوثِرُ الاستمتاع وحدى ، مستدلاً بعينى ،
مستو حياً من المعالم نفسِما فَيضَ الشرح والإيضاح ، تاركاً
لخيّلتي أن تسبَحَ بي في آفاق التأمل ما شاءت أن تسبح ، غير من الاصوات ا

وَ يَحَـكُ مَن رُ قَار جَهْو رَى الصوت ، مُصِم للاسماع ١... إنك صوت جر دُ ... لقد طالما بحثت عن شخصِك ، فأعياني العثور عليك . . . لعلك اختراع م أمريكي جديد . . . وفقدع من طراز حديث في الصِّياح والنَّمْيق ! من طراز حديث في الصِّياح والنَّمْيق ! مكانك أيتها الضّفدع ، تستريحي و تُريحي ا

ولكن الضفدع لا تبرحُ تنوق، ولا يبرح نقيفُها يأخذُ على الآذانِ سبيلَ الإصغاءِ ا

ماذا تريدُ أنْ تقولَ هذه النقيَّاقةُ اللجوج ؟

إنها تبلِم بكل شيء ، وتعبّر ُ عن كل شيء ، ما هرة ً في الإلقاء والنعبير . . .

تارة هي شاعرة تتمدّ على المنافي و نيويورك ، ، ثم لا نلبث أن تنقليب تارة أخرى مؤر خة عالمة تقص عليك تاريخ المبانى والمعاهد والآثار ، وتسرد لك الوقائع والاحداث ، وتشرح لك من ظواهر العارة والتخطيط ما يدل على إحاطة . . . وهي في هذا وفي ذلك تحاول أن تكون طليسة الحديث فكمية الروح ، تنكيق عليك النوادر والنكات ، مستورة حينا مكشوفة حينا تخر . ولكنها لا تنتظير منك قهقه استحسان ، ولا صفير آخر . ولكنها لا تنتظير منك قهقه استحسان ، ولا صفير

استهجان . . إنها ما ضية "لِطِيتِها ، كالفيلم المسترسِل ، أو كقرص الحاكى لا يفتأ يدور حتى ينتهى الدور ! . . .

الأمرُ لله أولاً وآخراً أيتها الضفدع ...

سُدَشَتَفَ كَا سَ لِجَاجَتِكَ حَى الشَّمَالَةِ ، طُو عَا أُوعِلَى كُرُهِ . كنا نحسبُها نزهة تقر للهَ الاعصابُ ، فإذا بها حربُ و قودُها الاعصاب!

وظلت الباخرة تسير ، والضفد ع لا يختنق لهـ صوت من طول النقيق . .

عن الشمال و ما نها نان ، وعن اليمين جزائر وخلنجان ، وامتداد و لنيويورك ، العظيمة : و بروكان ، ، وكوين ، ، و كوين ، ، و بروكان ، ، و كوين ، ، و برونكس ، ، جسور شواميخ كانها أطواذ معلقة تكسوها الرهبة والجلال ، أوكانها مهولات من الشياطين تمد دت بأجسادها فوق الماء لتصل بين أجزاء اليابسة ا

وسمعت الضفدع تقول :

أمامكم جزبرة أصدقائنا المجانين ا

والتفت أنظرُ ، فإذا بجزيرة ممن هرة مُمشمسة ، تجوس

خلالَ خمائيلها جداولُ رقراقة م، وفي وسطيها مبنَّى جميل تبدو حولهُ أشباحُ تروحُ وتجيء في رزَّانةِ ومُهدومِ .

ليست جزيرة المجانين إلا جنة عدن ...

ودِدْت لووجدنا السبيل إليها ، لنخلص على الأفل من ضفد ع الباخرة ؛ ولسنا نبالى بعد ذلك أن نـُحـْرَمَ ألقاب العقلام ! وجهـر الصوت يقول :

ها هو ذا سجن م البرونكس . . . لا تنسو ا أن حجراته مجهزة " بآلات تكييف الهواء !

يا للنُعجبِ ا نحن في بلد يحظى بالسعادة فيه صنفان من منكودي البشر : المجانينُ . والمساجينُ ا

وانبرت الضفدعُ تسرُّد أنباء المعالم والمشاهد ، مؤيدة حديثُها بلُغة الأرقام : لغة الملايين، غيرَ ناسية في كل مرة أن تصف ما تصف بأنه أعظمُ أمثاله في العالم المسكون .

هذا معهد مبلغت تكاليفه كذا مِلْيُون دولار ، وإنه أعظمُ معهد من نوعه في العالم ا

هذا نُصب بلغت تكاليفه كذا مليون دولار ، وإنه أعظم نُصب من نوعه في العالم ا . . . يزهو الامريكيُّ دائماً بضَخاماتِ ثلاثِ : ضخامةِ المال ِ.

ضخامة الشكل.

ضخامة الصّيتِ.

وإنه ايؤسس مدنينية على تلك القواعد الثلاث ا

وطالعتُمنا في أطراف جزيرة ، ما نهاتان ، غابة من أدوع ِ الغابات ، قائمة على تلال عجيبة ... غابة موحشة مشلل البداوة َ والفيطرة في قلب الحضارة والعمران ا

لكأنهم اقتلَعوها من مغر سهاالاصيل في المجاهل والادغال، وجاءوا بها لِيتخذوها طُرُفة وقرَّةَ عين ، كَا تَجتلُبُ الوحوش من مغاورها وأجحارها ومسارحها لتسكن في الحواضر حدائق الحيوان...

ودارت بنا الباخرة كيسرة ، ومضينا . . فإذا نحن أمام جسر ، راشنجتون ، العظيم ، يتلألا بلونه الفيضى فى وتهج الشمس ، ويمتد بحرمه الرائع وبسلاسله الضّخام ، كا نه تحرح عرد من زئبق رَجْراج .

مُ مَدَّت ، نيوجر سي ، مختالة عصا نعها ، يحدُّها الشاطيء

. الجميلُ ، وتتناثر فيها المغانى أنيقة "رشيقة"، وتنبسط فيها المروج "

وما زالت الباخرة تمخرُ العبابَ، والضفدعُ ُ نُو َ الى النقيق ، والمناظر الامريكية ُ كَانُها ألواحُ منها بفتنتيه أن يقيِّدَ الانظار .

وبلفناغاية المطاف ...

فوقفت الباخرة ، وخر سَت الضفدع.

وإذا بنا نُدُّفع خارج الباخرةِ دفْعاً، وُيلتى بنا فى مُعرض الطريقِ.

والتفت إلى أمرافقي، يقول:

حان وقت الجولة المسائية في أحياء ، نيويورك ، الاصيلة .
وما كاد الظلامُ 'يسبل' أستارَه ، حتى انبرت له الانواثر
الألاقة ' تطاردُه ، فيرتد مقهوراً على أعقابه !

طرَ قَمْا ، أُولَ مَا طَرَقْنَا ، قَرِيَّة ۚ ، جَرِينُوتْش ، .

ليست بقرية ، وإنما هي حيّ معروفُ له طابَعه ورُوحه ، وليكنُ ما سمعناهُ عنه أكبرُ من مظهرٍ ه. . إنه مثابة م الفنائينَ ، فيه نبتَ أكثرُهم وترعرَع ، نشأوا فقراء في أكنافه المتواضعة ،

فلما أخذت أسماؤهم تعلو ، وصيتهم يطيرُ ، ارتحلوا عنه إلى منطقة نواطح السحاب؛ كأنهم يوازنون ويلائمون بينها وبين ماكتب لاسمائهم من علو و بعد صيت .

أن من بين هذه الدُّور الضئيلة ما هو معروف حتى اليوم باسم أصحابه الاقدمين ، من الفنانين الدين هجروه ، وخلتفوه لغيرهم من السكان الحـُد َثين .

إن , جرينوتش ، قرية "حقًّا إذا وُوزِنت ، بنيويورك ، . قرية " بمنازلها المتخاضعة ونواديها المنزوية حيث لا يقيم أهلُها شأناً للعرف ولاللتقاليد .. وما أشبه مشاربها ومراقصها ومفانيها بنظائرها في مثل ذلك الحيّ من عواصم ، أوربا ، العجوز .

لقد مجبنا أرجاء وجرينوتش، وقضينا فيها بعض الوقت ، ولكننا لم تفيّز بغير ظاهر ها المكشوف وليس بذى بال ... أمّنا الحني المستور فهو لأهلها خاصة لايزاحمهم فيه واغل دخيل . مر ذلك الحني المستور مسارح للفن قائمة ، ولكنه الفن الوضيع فيما يرى بعض الناس ، أو جوهر الفن الحق فيما يرى بعض آخرون ا

في تلك الدُّ مَنِ تنبُت زهرات " نواضِر ' ، تنفتَّح بين الفينة

والفينة ، فإذا ُنزعُ الشوْكُ عنها ، وازيل الغبارُ منها ، كانت أهلاً أن تزيِّـن صدور المجامع والمحافل و تنفحَـما بعطرها الفوااح. وانثنينا إلى « الجنو ، :

حى الانوف البارزة، والمشية المتمهلة ، والاعين الحذرة التي تبعث ُ لمحاتها خلف المنظارات ... حيّ اليهود ِ .

هذه حوانيت كأنها صوامع عتيقة واومعابد أثرية ، يتردد حولها أو يحلس بأبوابها أشباح كأنهم نـسـّاك متعبّدون ابنو إسرائيل الاصلاة هم هم، لافارق بينهم إلا اختلاف لاسماء . . . سوام أحوتهم شوارع والجتوء ، أم استهواهم المبتكى في و فلسطين ، ، أم احتضلنهم في والقاهرة ، أعماق حارة الهود !

وطرقْنا والبورى، مباءَة الإجرام، ومَثْنُوى الصَّملَكَةِ والنَّشر بد، ووكر الفنَّ المبتذ لِ الرخيص ...

على السَّطوار يستريحُ الصعاليكُ ، فإذا ما لمحَلكَ واحدُ منهم وآنسَ فيك مغنماً ، تقدَّم إليك بجسمه الرَّخو ، وثيابه الرَّثَة ، وخطواته المتسكعة ، وأنفه المتورَّم المخمور ، يمرَّ إليك يد

السؤال . . . وعليك حتماً أن تجيب، وإلا انتلب السؤال إلى وعيد وتهديد ا

يالله .. ها نحن أولاه فى وأمريكا و دنيا الرخاء والثراء يلاحقنا ذلك الصنف من الناس وأولئك المستجدون الذين لا ينقطع لهم سيل فى بلاد الشرق... ولسكن المستجدى الامريكي والمستجدى النمرق يمثل كل منهما طابع أمته وروح وطنه... فالسائل فى والقاهرة و مثلا إذا زجر تكه استمان عليك بالله وانصرف عنك فى استسلام وأما السائل فى ونيويورك وانصرف عنك فى استسلام وأما السائل فى ونيويورك فإنه يتقاضاك مايمة وحقاً له بالظنفر والنساب ا ...

وهذه مشارب ومراقص تكنظ على سعنها بالحشود من الاوشاب ، مطلاب الدنايا من المُنتع ، يتجمعون حول موائد الشراب ، وقد اندست بينهم الغواني المتبذلات .

وبدّت لناعلى مِنصة في أحد تلك المراقص امرأة من بل كتلة خسيسة من لحم وشحم ، بوجه لو نه الطلاء البشع ، وشعر منتفش موحش ، وقسد اكتست حلة بر قشتها زوائف الزينة والوشي ، وهي تصورت أمام مضخم الصوت في نغمة مشكرة ، موهمة "سمّاعها أنها تشدو وتتغنى ا...

ما أشبه الليلة بالبارحة ... أليس هذا المكان هو نفسه ذلك المرقص الوضيع الذي كان يزخر بالقصاد في أحط أحيام و القاهرة ، إيّان الحرب العالمية الأولى منذ أكثر من ربع قرن ١٤ ألا فلنهو لل فلنهو لل فراراً من و البورى ...

وحثثنا الخيطا ...

إلى أين ؟

إلى و مدينة الصين ، ، إنها منا على مقربة ...

حياك الله 'أيتها والصين ، النائمة في ودَاعة وهدوه... إنا مُلاقوك بعد قليل ، وإن باعدت بينتنا الدار ، وعز المزار ' وعز المزار ' وأقبلنا على مايسمونه ومدينة الصين

حقاً إنه حيّ متميّز قائم " بنفسه ، لا تكطالِعُ فيه إلاأشباحاً ميلية في أزياء غربية ، تتناثرُ بينها الاحاديثُ في لهجة تشبه همس القطاطة ...

ثُمَّة حوانيتُ ترى على جبينها تلك النقوشَ والزخارفِ الصينية التي هي في أغلب الظنَّ أحرُ ف وكلمات ! ...

وثمة دُورٌ متواضعة "متخاضعة، وطرقضيقة غيرُ مستقيمة . ولكن أنحنُ حَقًّا في مدينة الصين ، ؟

دخلنا مطعماً نستهديه الجواب ...

إنه ليحملُ نفحة عصينية استرعت أنظار نا بظاهر تين: الأولى تلك الألوان الغريبة التي قُد من لنا ، فكان مذاقها مبعثاً للحيرة والعجب ، وإن الرز ليقدَّمُ بينها بديلا من الحبر ، والشائ يقدَّمُ أثناءها عوصاً عن الماء . . . والظاهرة الأخرى ، ذلك النادل الصيني الذي ماكاد يبدا خدمته لما ثد تنا ، حتى انتحى ناحية عن كتب منا يلتهم عشاءه بعصو ين تقومان مقام الشوكة والملعقة ، وهو يحر كمما في مهارة تستدر الإعجاب ا

و حِمدٌ نا لله ما قدَّر ويسَّرَ ، وخرجنا وفي بطو ننا خَـوا..

وانصرفنا نسلُك الشارع الضيق، تُطلُّ عَلينا من نوافذ دوره تلك الوجوه الصفرُ والأنوف الفطس والحواجبُ المشرئيَّة،

وسمعت مرافق يقول:

هل لكم في زيارة المعبد ؟

_ تالله إنى إليه لمَشُوق ...

مَدْخُلِ اليس فيه من روح التما لا مظهر مصنيل ... واجتزنا بمرًّا ضيِّقاً ينتهى بنافذة ،كا نها شــبّـاك التذكر ات

الرأة مناء

Cold State Builder

في دور اللمو . .

أمعبَد هذا أم مسرحُ تمثيل ؟ ا واشترينا تذكرَات الدخول، وتابَعْـناالخـُطا ...

بهو غير فسيح تتراص فيه المقاعد ، تزين حائطته نقوش صينية "، وخرَق ملو نة كأنها أعلام. وفي صدر المكان محرابان ، أو بالحرَى هيكلان مشحو نان بالطثر ف والنما ثيل من فن والصين ، يتميّز أحدُها بالعظمة والفخامة ، وما أظنه إلا تمثال ، بوذا ، للعبود ... إنه حقا لتحفة "من تحقف النحت ، تدل على صبر الفنان الصيني ودقيه وأناقيه ا

وكان دليكُنا في المعبدِ فتاة صيلية على جانِب من الرقة والادب ، انطلفت تصف لنا مراسم الزواج ، وكيف تتم أمام هذا الهيكل.

وحانت منى التفاتة من الفاتة من الفيت أريكة ساذَجة تتربَّع عليها امرأة مسينية هزيلة تخطئت عصر الشباب...وسرعان ماأدركنا أنها أمُّ تلك الفتاة التي تقومُ في المعبد مقامَ الدليل.

لقد كانت هذه الأمُّ تمثلُ في جلستها , بوذا ، آخرَ ، بيد أنه , بوذا ، من طينة البشر ، منهـمكَ في تقشير برتقالة ا

واقتربنا من الإله البشرى نبادله إيماءة التحية في صمت ووقار .

ما بال هذه البرتقالة تشوب في هذا المكان صفاة التعبد 15 أغلب الظلَّ أن ذلك المبنى دار تسكنها هذه الاسرة ، وقد أحالتها مسرَحاً كانرى تُمَثَّل فيه العبادة تمثيلا لاحقيقة له ولا روح فيه ... إنه معبد الاجانب من الزوار ، لا للواطنين من أهل والصين ، ولكن حسنبه أنه يكفل الرزق لتلك الاسرة ، ويُعينها على أعباء الديش ... فلا ضير علينا في أن نحسني له الره وس خاشعين ا

كثير من معالم المدينة يصُور مظاهر من حياة والصين، على الاسلوب الذي هو أقرب إلى التمثيل منه إلى الحقيقة والواقع الاسلوب الذي هو أقرب على الرغم إن ومدينة الصين، على الرغم من كل شيء، وعلى الرغم عما قيل فيها وما توصف به، رقعة من و نيويودك، لا قطعة من و الصين، الاصيلة!

أراهن على أن الصيني المقيم في هذه المدينة قد بدأ ينسَى صينيتَه، ولم يحتفظ منها إلا برطانة كليات يميز بها شخصيته ، كا يُحلَى حانوته ببعض الزخارف والنقوش . . . وقد يكون مثله في ذلك كمثل الملحد الزنديق يتخذ السبحة ليحر ك حبّاتها بين أنامله مَلْعَبة وملهاة ا ...

اراهِنُ على أن صيني ، نيويورك ، لم تطأ قدمُه أرضَ والصين، يوماً في حياتِه، حتى إنه لم يَرَ منها ظلَّ ، شنعَماى ، مدينةِ الأوربيين في ، الصين ، ا ...

إنّ مدينة الصين في ونيويورك ، تمثّلُ ما كان يمثلُه قصر و المهراجا ، في معرض و ونبلي ، في ولندن ، . . . وأخشى أن أقول إنها تمثّلُ ما يمثله اليوم ومسجد بماريس ، في وباريس ، ا...

۲۲ من مايو

فى أثناء الأسبوع المنصرم ارتدنا بعض الأحياء الأمريكية ذات الطابَع الخاص ، أو بالحَرَى الأحياء المتميّزة بأجناس عتلفة تتألّف منها كتلة الأمة الأمريكية ...

تتناثرُ في ، نيويورك ، الاحياة الخاصة ُ بالاجناس المتباينة ، فهذا حيُّ الإيطاليين ، وهذا حيُّ الإيرلنديين ، وهذا حيُّ الإسبان ، وهذا حيُّ الرُّوس ، وتلك أحياء أُخَرُ لاجناس أُخَر . وإن تلك الاحياء للبتلعُها المدينة وتؤمر كُها ، فتتضاءلُ على مرِّ الزمن ، كا جناس هذه الاحياء تربيطهُم جامعة مُّ أمريكية واحدة ، وإن تفر قَتَ مِم المناسِبُ والاصول ...

تنحلاً لُ أحياءُ الاجناسِ في بُوتَ مَنَة المدينة، كانتحلل الاجناس أنفسُها في وتقة الامة الأمريكية ...

ولكن ثمة حى لأأدرى كيف يتحلل في بوتقة ، نيويورك ،؟ وكيف يتحلل جلسه في بوتقة الأمة ، ومتى يَتمُ هذا وذاك ؟ إنه كالحجر الصَّلد لا يَلين للأحماض المُنذِيبة ، ولا ينصهرُ في أَتَّتُونِ النَّارِ المَتَّقدة ... ذلك هو حيُّ الزنوج ، أو مدينة ، هار لمْ ، كما يــــــمــونها هنالك . . .

إنه أبعثُ أحياءِ ، نيويورك ، صيتاً ، وأو ضحُها تميْزاً ، ومرجعُ ذلك إلى قوقِ المقاومة في جنسِه ، وما يحيطُ به من ملابسات تُعين على احتفاظه بجوهره ...

إن الأجناس الأخرى ليُسرع وإليها التحول والاندماج، حتى لتكاد تنسى أصولها العريقة ، أما الرَّنجيُّ فإنه وإن استمسك بأمريكيتيه واعتز بها وأكتسب كثيراً من مظاهر الحياة فيها، فهو ما برح يَعْدُ نفسته غريباً في وأمريكا ، ، غريباً في وطنيه ا

إنه ليشعر بأن جنسَه هدَ ف "للضَّيم والاضطهاد، ولذلك يتحصَّنُ خلفَ أسوار حيَّه، يكاد يحظُر دخو له على غيره، بل يكلدُ يقيم عليه باباً لا يستطيعُ اقتحامَه أحد...

وإنه لمن عجيب المفارَ قات أن تجدَ جنساً لا يعرف له وطناً إلا ، أمريكا ، التي يسكنها ، وهو مع ذلك يتأبَّى الاندماج في هذا الوطن ، أو لعلَّه لا يجد السبيلَ إلى هذا الاندماج !

تجولُ في هارُ لم ، فإذا بك في حي كسائرِ أحياء ، نيويورك ، في ظواهر العمران ، إلا في السُكان ... مستعمرة "سودا؛ لا ترى فيها الأشباح البيض إلا لماها ا إن الأبيض يطرُق هذا الحيُّ وهو عليم " بأنه إذا توغَلَّلَ فلن بأمنَ على نفسيه العوائل. فكأيِّن من كلمة أثارت تشغبا وأج جنت تحر با ، وكا يُّن من إيماءة أقامت قِتالا وأور ثبت وبالا ا

إن هذه الوجوهُ الشُّودَ لتقلُّبُ فيك تَظر المُستريب، فإذا رجَعت إليها البصرَ تحفزُت لك مستوفزة متنملرة ...

إن قصة الأبيض والأسود قصة "تتجلى فيها الطرافة ، وإن شئت قلت الغرابة والشُّذوذ . . . إنها مأساة "دامية ، بل وصمة " في جبين التحضُّر الأمريكيِّ الناصع !

كادت قصة الابيض والاسود تُمَدَو ضُ بناء الجمهورية الفتية وتَفَحْصِم عُراها، فتتفكّك دويلات ضِثالاً ضائمة الشوكة والسلطان ، ذلك لان قد يساً من البشر ، مثالى الفكرة ، تعمر الإنسانية فلبّه ، أبى أن يكون في الجمهورية الجديدة أرقاء من الشود يباعون بيع السلّع ، فنحهم حق الإنسان، حق الحر"ية والمساواة ... ذلك هو ، لنكولن ، العظيم ، الذي كانت روحة فدا الفكرته ، فما كاد يرفت واية العدالة ، ويقضى على الثورة ، فعالم والمساواة ، ويقضى على الثورة ،

حتى خرَّ صريعاً بيد رجميّة آثمة ؛ وراح شهيد مَشلِه الأعلى . لقد وضعت الحَربُ الاهلية هنالك أوزارَ ها ، وعَفَّت الحيقَبُ آثارَ ها ، ولـكن ثمة حربُ أخرى ما برحت مستعررة الآوار في الحفاء ا

لفه محا الفانونُ معانى الرِّقِّ والاستعباد ، ولكنها لما تزلُ عامرة بها الصدور ... الأسودُ والابيضُ سيانِ أمام القانون ، وأمام فرص الحياة الرسمية في كل منحي من مناحي الاجتماع، ولكن نصوصَ القانون في واد ، وفهُم القانون والانطباع به في واد آخر بعيد ... فإذا عرفت أنعقلية الأبيض لاتسيغ بأية حال شخصية َ ذلك الاسود المنبوذ ، تَسَنَّى لك أن تعلم كيف يفهُمُ الأبيضُ ذلك القانون، وإلى أيِّ مدى يحرى تنفيذه في المجتمع الأمريكيُّ الذي نَعُـدُهُ مَعْقِلَ الديمقراطية وملادَها الأمين ا ربما تحدُّث الأبيض إليك عن الأسو د بروح ولنسكولن ، الأصلة ، روح الإخاء والمساواة ، ولكنه إذا مارس شئونَ الحياة ، و لا بس ذلك الأسود في هذه الشئون ، فسرعان ما تتبدَّل به الحالُ غيرَ الحال، فترى الأبيض بنظرُ إلى الأسود نظرة الاحرار إلى العبيد، ويعامله معاملة السيد للمسود . .

لا الفة بين الأبيض والأسودي وأمريكا ، فبينهما حاجز كائفت طبقا ته وتحجرت على ترادف الآيام ، ومنشأ ذلك أن الابيض مازال بواعيته الحفية ينظر بعين أجداده، فيرى الاسود عبداً رقيقاً، له أن يبيعه وأن يشتريه وأن يسخره فيما يبغى من الاعمال ، فكيف يُراد الابيض اليوم على أن يساويه أوائك العبيد الارقاء ١٤

ومن ناحية أخرى نرى الأسود قد استنار عقله ، واستبان له حقّه في أن يعيش محرًّا على قد م المساواة بينه وبين سائر الناس. وإذا كان قد اتخذ ، أمريكا ، وطنا له ، فشأنه في ذلك شأن الأبيض سواء بسواء ... وفوق ذلك فهو يركى بواعيته الحفية أن البيض القدماء قد استعبدوا أجداد وظلماً وعدوانا ، فهو يحفظ لأخلا فهم البيض ثأر الجدود . ومن ثم تشهد في الاسود المعاصر عن جُهية , خُيد لا ، وتلح في عينه نظرة الثائر المحنق ، نبزيد فلك من حفيظة الأبيض عليه ، ويوسع بينهما هُوة الشقاق .. ومن أضاحيك المفارقات أن الديمقراطية الرَّحْبة التي هي شعار الجمهورية الامريكية قد أعانت على التفرقة بين الايض والاسود دون عمد ... فهذه الديمقراطية تمنح الهيئات

والأفراد حرية التصرف في الا نظمة والإجراءات واتخاذ الخطط التي ميسر سبل النجاح. وكان من أثر ذلك أن عمدت طائفة كبيرة من المعاهد والمؤسسات ونحوها إلى إقصاء الاسود عن رحابها ، مستخدمة في ذلك حقما في أن تقبل من تشاء وتأتى من تشاء . . . فلم يجد الاسود بداً من أن ينشى وتلفيه معاهد ومؤسسات خاصة ، فاشتدت بذلك الفرقة ، وتقطعت أسباب التواصل والاندماج ا

ستظلَّينَ يا هار لم عكما أنت ، لا يعفَّى عَلَكَ الزمز إلا إذا انقلب الأمريكيون البيض جميعاً أشباهاً ، للنكولن، تخلِّفوا من طينته ، واشربت قلو بُهم فكرتُه ، وكانوا كمثله تدّيسين ، فضب عيونهم مثلهُ الأعلى في الإنسانية والإخام.

ولكن أمن الخير للامة الامريكية أن تكون على غرار د لنكولن ، مثالية تدسيسة ، فيندمج المنصران النقيضان ، وتتزاوج العقليتان المختلفتان ؟

أم الحير كل الخير في أن يظل للأسود ميدانه ودنياه ، وللا بيض حضارته يمضيها طوع هواه، ويطبعها بعقليته و منحاه؟ مهما يكن من قول ، فإن في سريرة الله جلاء ما تضطرب فيه الظنون !

أول يونية:

ما كان لنا وقد ذرّعنا شوارع ، نيوبورك ، وتدسّسنا إلى أحيائها إلا أن نخرج منعنز لة المدينة ، متخطسٌين أسوارَها ، فى نزُهات قاصية بين الضواحى والارباض .

وإنك لتحسبُ نفسك فى نزهة حولَ المدينة ، فإذا بك تعام ُ أنك قد انتحمت حدود ولاية أخرى ، وبدأت تجوب مدائنها ، وتطرق ُ عاصم بها ا

تحاط منیویورك ، بضواح طریفة ، سَمْها كما شنت ولایات أو مدائن أو مقاطعات . . . لها جمیعاً طابع واحد، فا أشبه بعضها ببعض : ، البالساد ، ، « بیرماونتن ، ، « وست شستر ، ، « لنج بیتش ، ، « كونی أیلند ، ، و ما إلها .

دَسَاكِرُ وَبِقَاعُ تَسْجَلَى فَيَهَا مَفَاتَنِ الرَّيْفَ جَمْعَاهُ ، ولكنه الرَّيْفُ فَي مَظْهِر مِثَالِيُّ شَائِق ... إن هذه الدَّسَاكُرَ لَتُعَدَّ قُدُوى هذه عَنَالُكُ ، ولكن أية قرَّى هذه ؟ تلك وسائلُ الحضارة في هذه المدُّن الريفية مستكملة مُستوفاة تحيلُها حضراً له مزايا الريف.

للناس في منيويورك ، عادة الفرها ، هي أن يخرجوا الى تلك البقاع في أيام الآحاد والعُطلات ، وإن بعضاً من الناس ليتخذونها مستقرًا وممقاما ، يفزعون إليها انتجاعاً للراحة ، ونجاء من الزحمة والضجيج ...

وإن لأهل ، نيويورك ، نزعة ً قوية ً إلى طلب الراحة يَنشدونها ويسعون ن إلى تحقيقها ما و َجدوا إليها الخلاص .

ترى أكثر كلماتهم دَوراناً على ألسلتهم هي كلمة ، ريلاكس ، يتناقلونها في كل مناسبة ، فهي فِرْدَوسهم المفقود ، ونعيمُهم الموعود... إنها « التَّتراخي » .

وصحق للأمريكيين أن يحلسُوا بهذه الرَّخاوة، يهيمون بها حبّا، ويتحرَّقون إليها شوقا... ولكن هذا الفردوس عزيز المنال على أولئك المساكين الذين دارت بهم الآلة، وضغطتهم الزحمة، وجهدَهم التكالُب على الكسب والاغتنام.

إنهم لا يخرجون من رَهق إلا إلى رَهَق ، ولا يخلُصون من مجهود إلا إلى مجهود . . .

إلى أين يقصدون؟

أ إلى سفوح الجبال ، حيث تجولُ يدُّ الفنانِ في مجالي

الطبيعة، فتحيلُها جنات بحق ... حدائقُ وغابات، جسور معلَّقة، وهادُ و نجاد، جداولُ وبحيرات للسَّباحة والجدْف، ملاعبُ تحت الحنائل، مقاصفُ بين الأيْك والفصون، إلى غير ذلك من محاسنَ تقرَّ بها العيون، وتشليم لها الصدورا...

ولكن كيف السبيلُ إلى الاستمتاع ِ بهذه المجالي الفاتنات؟ ليس تمة مر سبيل إلا أن "تر مق نفسك وتزحم ما بين الكُتل البشرية في البواخر والقطارات والسيارات الحافلة ، فإذا استخلصت جَسَّانك من بين الجموع في آخر المرحلة ، ورأيت نفسك قابَ قوسين أو أدنى من تلك الجنان الزاهية ، ألفيت شياطين الزحمة وأنظمة والطوابير ، قد سيقتلك هنالك ، ووقفت لك بالمرصاد. تُعكُّر عليك الصفو ، وتسليك أملك في ، الريلاكس ، ، فتُنشدُ مع الشاعر العربي قوله: المستجير بممرو عندكر بته كالمستجير من الرَّمْ ضاء بالنار إن نشدًان الراحة في مظانِّ الراحة هنالك مُعْضلة من جسام المعضلات!

ولذلك تجلت أمنية والتراخي، في مظاهر شتى من الأدب

الامريكي والفن الامريكي ؛ ولا سيَّما والنَّلم ، السينمان ...

راهم يصورون حياة الطبيعة الفطرية تصوراً بالغ الروعة ؛ ويشيدون بمفاتن المواطن غير المتحضرة إشادة طاهرة، وليس ولعنهم بذاك النصور وتلك الإشادة إلا إرواء لظم نفوسهم إلى الراحة والرخاوة ...

ما أكثرَ المنفرُّ هات الحلوية ، وما أحفلها بالمتعرِ المتنوعة عمواتى كلَّ امرىء بما تصبو إليه نفسُه ا

وما أروع الطرق التي تصل بعض هذه المتنز مات ببعض ا إنها طرق فسيحة معبدة ، أخسليت مضاراً للسيارات تلتهجا وحدها انهاباً ، وقد يتحول الطريق جسراً عظيا يمتد أميالاً طوالا ، ثم ينقلب نفقاً هائلا يتعلقل في جوف الارض متسليلاً تحت أعماق الماء ، ثم تخرج منه تستقبلك المروج الخضر والعابات المشتبكة وتلك المغاني العائنة تبدو في في بنائها كأنها لعب مكبرة ، أو نقوش ملونة .

أما الشواطئ الخاصة بالاستحام، فلكل بقعة منها نصيب فإن ضدّت الطبيعة به خلقوه لها خلقاً، وأنشأوه إنشاء ا ولعل أكبر ما يميّز ُ تلك الشواطىء حُفو لهمُابتلك الملاعب ِ التي نسمّيها : ولو نابارك ، ...

ما أنس لا أنس ملعب ، كونى أيلند ، . . . رقعة "واسعة" تحوى كلَّ عجيب غربب من الألعاب التي تأخذ بمجامع الألباب . وإنها لظاهرة تسترعى النظر ، تلك الرغبة التي تمتلي عبها نفوس الأمريكيين في ارتياد أماكن التسلية الطفولية العامرة بالضّخب والضجّة والمخاطر .

ربما كانت علاجاً يفز عون إليه ، شِفاة الاعصابهم المنهوكة ، على نحو ماكان يشفى به نفسته ، أبو نواس ، إذ يقول :

دعْ عنك لومى فإن اللوم إغراء وداو نى بالتى كانت هى الداه الم إنهم يعبُّونَ من تلك الخر الكاوية للأكباد ، لينسَوا ما نهكمُ من مشقة وجهاد ...

إنهم ليترامون في ذلك الصخب والضجيج، يتركون أنفسَهم على سجيَّتها، منطلقة تمرح وتلعب...

هي رغبة "في التحرُّر من الأغلال: أغلال العمل الدائب، وأغلال النُّـظُـم الصارمة ا

في هذه الملاعب يحاولون أن يحطُّموا هذه الأغلال،

فتجد الرجل الناضج قد اهتز طرباً وهو يعتلى صهوة حصان من خصب يسابق به الريخ ، أو ضج مرحاً وهو يترنخ على مقعده في ذلك القطار الأهوج الذي لا يفتأ في صعود وهبوط، أو انبعث ضاحكا والرسمي السحرية تدور به دو رتها الحقاء ثم تلفيظه لفظ النسواة والسموية للهيه المعبلاً على أخرى ، طلباً للمزيد من الضحك والمراح ا

فى قلك الملاعب الثائرة تتجلى المخاطر فى صورة واضحة ، ولحك المخاطر مأمونة العُمقي ... وإن الإنسان ليول ع بها إرضاله لنزعة أصيلة فى أغوار نفسه ... هذه الحضارة على وجه عام قد أمنت عيشه ، ومهد ت طريقه ، فأصبح يحيا حياة أمن لا تكلفه جهدا فا تيافى المغامرة وبحالدة المخاوف ، ولا تتطلب منه أية جرأة أوجسارة ، لا كاكان يعيش أبوه الأول ، يصارع ويصاول ، تعتاقه فى كل طريق عقبة ، وبخشى فى كل خطوة أن يقع فى شرك ، فإذا ذ كل العقبات ، وتخطى الاشراك ، أحس قوة الشخصية وكبرياء الفشوة و زهو الغلب

أما هذا الإنسانُ الحضري ، فإنه قد أُحيط بما يؤمُّنه ، حتى مل الأمن الشائع حوله ، فهو تَـو اق إلى أن يستعيد حياة

الفرَع ومجابهة الاهوال، ولو ساعة في مجال تتناثر فيه الاعيبُ الصّبيان ...

ومن ثمَّ يرمى بنفسه فى تلك المخاطرِ المصنوعة ، ويخرج منها سالمِماً يُوهِمُ كبرياءه أنه الفارس المغوارُ والبطلُ المِقْد ام اطال بنا السجّوال يوماً فى هذه الشواطى. العامرة بالملاعب والمسابح والمقاصف ، حتى آذنت شمسُ النهار بالمغيب ، فإذا أنا أسمع صوتا يقول :

هلا" رافقتـمونی إلى. تمفُنیَ فكتور ، نقضی فیه َهز بِعاً من الليل؟

فالتفتُّ صَوْب الصوتِ ، فواجهَـنى صديقُ كريم ، سَمْحُ الحَيْا ، طَلْقَ الأسارير ، فقلتُ له على الفور :

وما هو . مَغْنَىَ فَكُتُور ، ؟

- مَثَابَةٌ فَى إحدى الضواحى القَصُّوَى ، إِن شَبَّت سَمِيتُهَا مَطْعَماً ، وإِن شَبَّت سَمِيتُها مُنْدَدًى تَسْتَمْتُعُ فَيه بِجَلْسَةُ صَافَية... فقلت له :

المَيْكُ ا

وأقلَّتْنا سيارته الرشيقة : فانسابت في طريق من تلك

الطُّرق الفسداح تمرُّ بنا المروجُ والفابات والضِّياع يناو بعضها بعضاً في جو "رَخِيُّ الأنسام، حتى شارَفْنا ، مغنى فسكتور ..

حديقة مطيبة ، و بركة "أنيقة ، يتوسطهما مبتى جميل ، كلُّ ما فيه يشعرُك بالا لفة ومظاهر الحياة العائلية .

است في مطعم أو مشرب، وإنما أنت في بيت غطريف مري من أمراء الطلبان له في الحياة ذو ق فنتي مُصَفَّى، تخير هذه البقعة النائية ليحيا معضيوفه ور والدِمعناه في دعة وطمأ نينة وصفاء، يقد م لهم أفخر الطعام وأطيب الشراب في تأني وسخاء.

وتوخَّيْننا مَمْـزيلاً هادئاً بجوار الشُّرُفة ، وأمضيْننا فترةً هائة . . . لا موسيق ولا رقص ، لا حركة ولا جلبة ، لا شيء عا تحفيل به مقاصف الليل ا

إن انتزاح هذه المثابّة عن قلب و نيويورك، وقيامَها على أطراف الارباض، وخلوها من المغريات الشائعة، جعَلها مَهْوَى أَفْنَدَة أُولئك الذين يبتغون تَذَوُق المُتَع الغالية الرفيعة في سكينة وهدوه ...

وتلفَّتُ حولى أقول: أين ربُّ البيت السيدُ ، فكتور ، ؟ فعلا صوت صخم ردّدت أصداه ه أبها المعنى، وقد شاعت فيه نغمة حفاوة وترحيب، تصحَبُها ضحكة رنّانة لا يجيد إطلاقها إلا مَن كان خالِي البال!

فلت على صديق أقول:

قَسَما الله السيد وفكتور ، ا

فاعتاض الصديق عن الجواب بالا بتسام ...

وهُ رع بعضُ قُصّادِ المَعْنَى إلى مُصدَر الصوت في بشاشة وإيناس، وأهاب بنا الصديقُ أن نهض كما مُهضوا، فتَسِعْناهم، فإذا بنا أمام قفص لطيف، تقف على إحدى دعائميه بَيّنفاه رشيقة "تصوّب فينا النظر وتُصعّده بعينين حاد تين ...

فهمستُ في أذن صديق :

من يكون مذا السيد الظريف؟

- إنه الخِيلُ الوفئُ والصديقُ الودودُ لربِّ الدار .

_ حقًّا إنه لخيرُ من يؤدِّي حقَّ الضيافة ... ا

ولبثُنا حيناً يحيِّـينا هذا السيدُ ونحيِّـيه ، ويفاكِهنا ونفاكِهه، وقد توثَق بيننا الودُّ ، واتصلتْ أسبابُ اللالفة .

ولكن القُصَّادَ تكاثَّروا حـول القفص ، وتكاثفت ْ

الحلاقة ، فإذا بهـذا السيدِ الظريفِ ينقلبِ عفريتاً من الجن يصحَبُ ويثور ، ويسْلُمُقنا بلسان سَلِيط ، فتراجَعنا عنه مقهورين .

لقد استجبنا لنداء هذا الزعيم الحبيس ، فلم ندع صيحته تفعب مع الربح ، ولكنه ماكاد يحس عظمته تتجلى ، ويرى مكانته تتساتى، حتى شر وبطر ، وحسب نفسه زعيا بحق، وانبرى يثور على من استجابوا له ...

ذلك صنيع حيوان . . .

أَثْرًاه محاكياً استطاع أن ميفضح عن طبيعة الإنسان ، كما استطاع من قبلُ أن يحاكيه بالنَّـطـُق والبيان ؟

وشَرَعَ صديق يَر وى لى قصة السيد ، فكتور ، .

إنه طلياني أمر ك، طلياني فنان في روحه وذو قيه، احتل هذا المَنشني بجديقته وبر كتيه ، فأقام هو في الطبقة العليا ، وجعل الطبقة الدُّنيا مَطعماً ومثابة للوُ جها. المترفين ...

وإنه ليتفنَّ نُ في كلما يقدِّمه من مأ كل و مشرب ، وما تقع عليه العينُ من أثاث ومتاع ...

ولقد استغل الحديقة ، فاتخذ منها حظيرة للدواجن، ومورعة

اللخطّر والفاكهة ، ولذلك يقدمُ لك من ثمر المزرعة ما هو ما يعم المومنتُ قبّى شهى ...

كلُّ ما عندك أيها السيد , فكتور ، – أو على الاصع أيها والسنيور فيتوريو ، – طريف شائق ، حتى هذه البّبغاه المتمرَّدة الشّغُوب ا ...

لقد تفتَّةَ ت عبقريتك عن عمل في يدلُ على أن الطليان القيدْحَ المُحلِّى في حبِّ الجمال ...

حقاً لقد ظلم زعيمكم الراحيلُ ، موسوليني ، أيها الطليان ، إذ حاول أن يخلق منكم تجبعة حرب وضرب ، وكر وفكر ، و وما أنتم إلا أمة و فن جميل ، وذوق رفيع ...

وهل تَقيلُ عظمة الفنِّ والجمال عن عظمة القتال والصيّال ١٤...

جلستُ في بَمـو الفُنُدق أنتظرُ مَقَدَمَ صديقٍ كريم، انفقَ معى على أن يصحَبَنى لزيارة و دار الكتب الاهلية ، في ونيويورك ،...

ولم يطدُلْ بى الانتظار ، فقد أقبلَ على الصديق ، يتأبّط رزْمَة صخمة . . . وتبادَلْنا التحية ، فأسرع صديق يبسُطُ رِزْمَة ، ه فإذا هي طائفة "طريفة "من مجلات وصحف . . .

وماهي إلا أن قال:

هاك نماذِج من صحافة أكبر مدائن العالم المتحضّر. وأخذ الصديقُ مجلّسته حِيالى، وقد أُشعلَ لِيضافة ً فاخرة، وقال:

> كم صيفة تصدر أفى ونيويورك وفي تظن ؟ فقلت وأنظارى تستبح بين الصحف والجلات : مئات ، ومئات ا

- بل عَشْرٌ فقط.

- لا أكاد أصدِّق ...
- إنها عَشر معف يومية.
- ولكن مدينتكم مدينة الكثرة في العدد ، والضخامة في المظهر . . .

فَتَمَكَدُّنَ الصَّدِيقُ فَى جِلْسَيِّهِ ، وَنَفَتَ الدُّّخَانَ فَى ثُقَةً واعتداد ، وقال :

إن الكثرة والضخامة لم تفت الصحافة ا . . . فالصَّحف الشعبية يَصْدُر من كلِّ منها نحو ثلاثة ملايين نسخة ، أما صحف الخاصة فيصدر من كلِّ منها نحو نصف مليون نسخة . وإنك لتركى الصحف اليومية تخرُج إنى نحو خمسين صفحة ، أما نسخة يوم الاحد فتخرُج في نحو مائة من الصَّفحات . . .

- والمجلات، ما شأنها؟

- هذا فَيْض لا يَغيض . . . لكلِّ منحنى فى العـلم والفن والاِجتماع بجلات خاصـة . . . لكلِّ ما يخطُر ببا لِكَ مجلة تُعُنْسَى بشأ نه ا

ووجدتُ يدى تَعْبَثُ بالصحفِ والمجلات ، وتُخْرِجُ من بينها اعتباطاً مجلتين ، أُولاهما : مجلة " لصيدِ السمك ، والأخرى يـ لشنونِ الكلابِ ا وراحت يدى تَعبَّث ثانية ، فإذا بها تنصيدُ مجلة فى حجم وشيق ذات َ غلاف ملونَّن شائق. . . فلمحها الصديقُ فى يدى ، وقال من فوره :

ثُمعة عملات هذا النوع بالعَشرات . . . طراز جديد من ممتكرات الصحافة الأمريكية . . إنه صحافة الضَّغط والإجمال . _ براعة حقا أن تحميلوا الكتاب الضخم صفحات قلائل وأن تُخرِجوا القصة المطولة في أسطر ضال ! ... أخشى إذا امتدت بكم الحال أن يكون زاد القارىء من العلم والفن محملا وكليات ا

ونفض الصديق ما د لفافته، وهو يحدَّق فها برهة ، ثمقال : ربما كان هذا طلائع ما يلحق الصحافة والتأليف من تطوُّر فالمستقبل... قد يَقْنَع قارى ﴿ الغَدِ بسطر يغنيه عن مقال، وبصحيفة تغنيه عن كتاب، وبمجلَّد يُغنيه عن مكتبة زاخرة! وانسرحتُ افكر :

أَيحِل حقًّا هذا اليوم؟ أَ'نُحْرَم متعة الإفاضة والتوسع والإطناب؟

لا يخلو حديث الصديق من حق... قد يغدو إنسانُ الفد غير

مفتقر إلى مطوّلات ومبسّطات، إذ تُنغنيه عن ذلك نشأتُه فى بيئة نيِّرة ارتفع مستواها الثقافيُّ، وتغلغل العلمُ فى مجتمعهاالعام. يالله ! ... شدَّ ماكنتُ أكره الثرثرة ، ولكن ما أشدَّ كلفى بها وإشفاقى عليها الآن ، وأنا أراها تنكمِشُ وتتضاءًل ، وتوشِك أن تحِلَّ بها ساعة ُ الإحتضار ا

قد يكونُ من معَقَّباتِ هذه الحضارةِ السيارة القضاء على متعة الكتاب، ذلك الجليس الانيس ، والخِلُّ الوفَّ

ما أظَّــَالِمها حيـــاة تلك التي تطالِعنا دون ثرثرة ، فيها للنفس مؤانسة "، وفيها للذِّهــن ِ إمتاع ا

ورفعت إلى الصديق عيني أقول:

مهما يكن من أمر ، فإن هذا الاسلوب الجديد في الضغط والإجمال يبعَث على الرهبة والروع ... إن العمل الفشيَّ روحه الحرية يتنفَّس فيها طلبقاً ، لا تئوده القيود ، ولا تصده الحدود... أثنى لكأن تنصو رلو جاً فنيًّا ، أو لحنا فكيَّاضاً ، أريد على أن يُزَج به في قوالب الضغط والإجمال ؟...

إنى لاتمثّل هذه المضغوطات كما أتمثّلُ إنسانا سَويًا لَمَدُ فَحُ بِهِ فَي مِكْبَسِ فَنُخْرِج منه قرَ مَا شَامُ المتداخل الأوصال!.

وهذا العملُ الفنيُّ أساسه الجمالُ وغايتُه الإحساس بذلك الجمال ، فكيف للإنسانِ أن يتذوَّقَ الشيءَ الجميلَ، وقد عَبِيثَتُ بِحَسِماتِه ومحاسِنه بدُ الضَّغُط والإجمال ؟ ١ ...

إن سادت فكرة الإختصار والإقتضاب ميادين الفنون ، فإن ذلك حتماً يساير تغير أصيل في تذوق الجمال، وسيصبح للجمال مقاييس واعتبارات أخرى غير ما لنا اليوم من اعتبارات ومقاييس.

تُسرَى: أَيْهِما خير ما نحن فيه ؟ أم ما يكون من تغيَّر بعد ؟ فقال الصديق ، وهو يَهم بالنهوض : الحكم في هذا كلّه للغد المغيّب، وما يطوى في تضاعيفيه من تطور عتوم لا مخلص منه لإنسان ، ولا يَهدف التطورُ ولا إلا إلى ارتقاءً ا

وأخذ بيدى قائلا :

لقد حان الموعد ، فهيًّا بنا إلى , دار الكتب ، .

ومضينا فى الطريق ، فألفيتُ رفيق يُرَبِّتُ كَتِينَى ملاطفاً وهو يقول:

إن صديقتك الكتاب ما برح موفور الكرامة ، وإن سوقة

ما زالت رائجة أَى ترواج ... هـذه المطابعُ الأمريكية ُ تخرِج في كل يوم أكثرَ من ثلاثين كتابا ا

فهمهمت :

تُقرابة ألف كتاب في الشهر ؟... حقاً لا يزالُ الكتابُ عنير ، مدَّ الله في عُمره أ

وشارَ فَدْنَا ، دَارَ الكتب، . . . مبنّى رائع عظيم أقرب شبها بالطّراز الرُّومانى . . . دَرَج متوافِر فسيح ينتهى بأعمدة متطاولة . . . حُجَر وقاعات تتجلى فيها الرحابة والتنسيق .

ورحْنا نجوبُ الارجاء ، لا ندخلُ حجرة إلا بار حناها الله حجرة أخرى ، كأننا فى مَزَارٍ نقضى فيه شعائر الطَّواف ... فاستهو تنى تلك الطرافةُ والتجديدُ فى كلركن، وذلك التيسيرُ وسرعة الإفادة فى كلِّ موضوع . وهدفه الفهارسُ . . . إنها مكتبات مستقلة ، لها أنظمتُها وأوضاعها التي ترسلُ أضواءها لتُنفِير طريق البحث والإطلاع!

وزَهانى أن تقع عنى هنالك على قسم عربي ملحوظ الجانب بين سواه من الاقسام . . . هذا سفير الشرق العربي يتربع هنا في مهابة وإجلال . . . ألا تراه أعز مكاناً وأحمد أثراً

من مقاعد تُعدُّ للشرقِ في هيئةِ الأمم أو مجلس الأمن أو غير هما من هيئات السياسة والشئون العالمية ومجامع الشرف والتكريم؟ وزايلننا الدار ، أو بالأحْرَى صَدَر نا عن ذلك المعبَد المقدَّس ، حيث كنا بين يدى إلهِ الحكمة ، نتطلعُ إلى ماوَعَاه صدرُه ، يَخْمُرنا فيض نوره العظيم !

وجعلتُ أتمثَّلُ هذه الملايينَ المرصوصةَ من عقولِ البشرِ فى مختلفِ العصور على تبا^مينِ الاجناس، فدارت بخاطرى فكرة « فى شأن عِبَاتِ القرائح.

لقد أخرج العقلُ البشرىُ عُصَارِتَه الْأَصِيلَة ، فليس له اليوم من جديد ، وإنماهي إعادة "و تسكرار ومحاكاة ، أو مغايرَة " في المظاهر والشُّور والاوضاع.

ومن ثمّ يمكن أن نستعيض عن ألوف الكتب بعشر الهما ، ما دامت هذه العشرات قد استخلصت الجوهر واللباب .

ألا يَحْشِد اك , أرسطو ، في فلسفتِه جمعاً زاخراً من الفلاسفة والفلسفات ؟

ألا يمثلُ لك ، شكسبيرُ ، فى روعةِ شعرِ ، وعظم ِ فنَّه صفوة المسرحيةِ المنظومة خلالَ قرونِ وأحقاب ؟ ألا تجيد في ديوانِ ، المتنبي ، مثـَلَ الشـعرِ العربيِّ في أوج خصائصِه؟

ألا تغنيك قراءة ما ترك هؤلاء الثلاثة عن قراءة ماتكرك أضرابُهم عن يُحَدون بالمئات أو الآلاف ؟

واكمن أليس في هـذا الرأى حكم على العقـلِ بالحَجْمِ والجمود، وإلغاء لظهور العبقريات التي لا يمكن أن تزول من الوجود؟

١٥ مي: وند

هذا يوم طريف . . .

تخفذناهُ لسياحة غريبة ، ليست من نوع السّياحات المعهودة . إنها سياحة خيّلت إلينا أننا طورَيْنا مِثِينَ من السنين، دون أن نبلُغ من الكبر عِنيًا ، أو نَصْقِد من عمر عمر الا إلا بضع سُو يُعات ...

لكا ننا فى سفينة نوح ، نحْـيّـا بين أجناس مختلفة من البَشَر، وأصناف متباينة مِن الحيوان، وضروب شتَّـى من الجماد.

لكأننا امتطيننا ، مركبة الزمن ، التي وصفها لنا ، ولز ، في إحدى رواياته الشائقة ، تلك المركبة العجيبة ، أو على الاصح ذلك الجواد السحري الطيار . . . تَهْمِيرُه همزة خفيفة ، فإذا به يَرْجِيعُ بك القَهْقرى في أغوار الزمن ، عابراً صحائف التاريخ ، مُعِللاً بك على الكوائن والاحداث في غوابر الحقب ، حتى أنك لتجناز عصور المدنيات فتقتحم وراءها عهود الحياة الإنسانية في غيابات الكهوف وفوق أغصان الشجر ، وحتى الإنسانية في غيابات الكهوف وفوق أغصان الشجر ، وحتى

إِنْكُ لَتَبِلُغُ أَمْمِي الشَّاطِي وَلَلْمُنْيَةِ البُّنَّةِ ، حِيثُ تَدُنُو سَخَنَةُ البُّنَةِ ، حيث تَدُنُو سَخَنَةُ الأَدِي أَنْ الرَّادِي أَنْ السَّادِي اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اله

فإن همَرْت جوادك همزة أخرى قفز بك ينقِـُكُك إلى عالم المستقبَل المجهول ، عالم الاحلام والتكهنات ، حيث تنسلل إلى منافذ المستور من الغيوب ، وترى ما يتمثله العقل البشرى من حياة اللاحقين في ركب القرون الآتية .

وما أقرب شبهها بمسرحية طليتة اللاثية الفصول، ممثل الفصل الأول منها مُشحَفُ التاريخ الطبيعي ، ويمثلُ الفصل الثانى متحفُ الآثار والفنون ، ويمثلُ الفصل الثالث ممتحفُ العلوم والصناعات .

بين أرجاء هذه المتاحف شهد نا رواية الحياة كاملة الفصول.
لقد تعاقبت علينا أجناس الحلائق، ومواكب العصور،
فترايى لى الإنسان قطرة فذلك المحيط المتلاطم الامواج،
الزاخر المُبتاب، وتمثلت لى الاجناس والعناصر متواصلة الاصول، وثيقة الانساب، وبدت لى القوميات والوطنيات

تذوبُ وتتزايل فى ذلك الكون الشاسِع الذى يرُّدُ الطرفَّ وهو حسير .

ولكر سرعان ما احتجبت هذه الشور في خاطرى .. وشعرت بنفسى أزهو ، ويستيقظ بين جوانحى حنين واغتباط حين رأيت الركن المصرى في مشحف الآثار والفنون يشمخ على سائر الاركان ، فإن عظمت لتنسخ بجانبها عظمة الإغريق والرومان ...

فى هذا الركن مُمتحَف كاملُ للآثارِ الفرعونيّةِ بنواويسها الرائعة ، وتماثيلها الفخسمة ، و ، مومنياواتها ، الخالدة ، ومخلّفاتها من كلّ دقيق وجليل... حتى إنك لتُشا هد الضرائح وقد نُقلت أحجار ها وأُعيد بناؤُها ، فإذا دخلت وطوّ فت بأرجائها مُخيّل إليك أنك تسمع صلوات البكهنة وأهازيج الغابرين ، وأنك تشكم البخور يسرى من المجام طيّب الانفاس .

معجزة أية معجزة حقيًا ذلك الركن المصرى السحبق الذي ينفضُ عن نفسِه أكفأن العصور والحيقب، ليحتل مكانه في قلب عاصمة الحضارة الجديدة ، وكبرى مدائن العالم الحديث الحقيا القد تجمعت لى هذه السياحة المباركة أز بدة الحضارات

المتعاقبة ، وعصارة القرى الإنسانية إنى ماضيها وحاضرها ، فاختزلت لى في ساعات ما يقتضي تحصياً به شهوراً بل سنين .

هو اخترال والمحتصار في تقديم المعلومات ، ولكن على ثحو يخالف أشدة المخالفة ذلك الذي تجرى عليمه بجَلاً تُ الضغط والإنجاز ا

لقدد قطعنا البِيد والمفاور ، وتجسنا حلال الأدغال والأحراج ، واجتزال وحاب الصقيع، وحلقنا في مسارح الطير، وغُصنا في أعماق الماء ، وتصاغير ناحتي تحيينا بين ضنال الحشرات ومحفر يات الجراثيم.

ثم تسامينها مندفعين بين السَّبع الطباق ، نحتلى أسرارَ الفلك الدَّوّار ، وانتقلنا إلى أودية الأخْسِلَة والتصورات تَهِيمُ بين القوَى الذّر يَّة ، كا ننا أرواح تتقاذَ فها أمواج الاثير ا

هي أدنييات ودنيكيات . . . إن اختلفت أجناساً وأصنافاً وعناصر ، فهي هي ينتظمنها جوهر مشترك ، ألا وهو تلك القَبْسَة المُعلوبَة النُّورانيَّة التي يتجلبَّي بها على خلقه الله...ف فعن من بَشر أو حيوان أو جماد إلا مجز كينات تتجمَّع أو تتفرق ،

تموتُ أو تُبِعَتُ ، ليكونَ مَصِيرُها جميعاً أن تفنّى الفناء النام في مَلْكُوتِ الملاِ الْأعلى.

هذا رَكْبُ عظمُ بالغ الرَّوْعَةِ ، زادُه العلمُ والمعرفة ، يعاول أن يبلُغ بالإنسانية أوجَ السعادة وذر وق الرفاهية ، وإننا لنراه يَمضى قُدُما جبّار الخطو تكاد صوالة صُحَبَّتهُ تصمُّ الأسماع ، وسسّا ضوئه يذهبُ بالأبصار ، وروْعتُ تنخلِع لها القلوب ...

رويدًا أَجْدَا العقلُ الإنساني الجوح ا

دع لنا فى دنيانا بقية من جهالة نلوذ مبا فى مَهْسر ب من تلك الرَّوْعة والصَّجة والسَّنَا ، فنَـنْعَمَمَ غافِلينَ بشيء من راحة الامْن ودَعَة الصَّمْت وهدوه الظلام ا

أول بوليه

عَوْدُ إلى اضة الأرقام ...

لا عجب في أنَ أتخذ هذه اللغة بين الفَيْنة والفَيْنة ، فإنى ما برحتُ نزيلَ ، أمريكاً ، أتنسَّمُ هواءَ ها ، وأحيا في مغانيها ، وليس ، لامريكا ، معنَّى إلا أنها أرقامٌ وأرقام ...

أرقام متكاثرة متعالية ...

نواطح مُسحُبِ أخرى قِواتُمها الاعداد لا الاحجار ا ليس ذلك بمقصور على ميادين العمل المختلفة ، ولكنه

يتعدُّ أَهُ إِلَى الملاهي وما إِلَّيها من ضروب المُتَّع .

تضم مدينة أو نيويورك وحد ها سبع ما ثة مبتى بين مسرح للتمثيل، ودار و للسينها ، إلى جانبها ثلاثما ثة وألف من أندية الليل و تلك التي يسمونها بالفرنسية والكباريهات ، ولعلنا لا نخطى اذا سمّيناها: المساهر .

هذه المو اطين على اختلاف أنواعها بمثابة مُمتنفَّس لسكان مدينة التزاحُم والضجيج . . . هؤلاء الآدميين الذين لو أنطلقوا من عقال مدينهم لكانوا أحرياء أن يعمرُوا أقطاراً شواسع العملُ تلك المسارحُ والمساهِرُ وما إليها في هذه المدينة عمل النوافذ للحُدجر ، والرثات للأجساد ا

إنها مَشُوك راحة ، ومثابة استجام ، لذلك الآدى الذى الذى الذى ينهمك عُسَال بنهمك عُسَال الشَخْرَة في الزمن القديم رَهْبة من العِقاب ا

وَبَدِيهُ أَنْ تَكُونَ تَلْكُ المُتَنفَساتُ مُوفُورَةَ الحَظُّ مَن أسباب الدَّعَةِ والتسلية وإمتاع النفوس، وإلا انعكستُ الآية ُ، فازدادَ قُصَّادُ هارَ هَقَاعَلَى رَهَق، وَشَقِيتَ أَعْصَا بُهِم بعذاب جديدا

و طو عا لذلك الغرض المنشود ، حرَ صت تلك الدُّورُ على الن تقدِّمَ لر وَّ ادهامن نِشَاجِ الفنَّ عُرات دانية المنال ، أَخاذَةَ المظهر ، وشراباً قريب المنهل ، سائغ المذاق ، وأن يكون فيه من عناصر التفكيمة والمرَح ما يملا النفوس من اغتباط ، ويُنسها ما الشغيلها من أعباء المعاش .

ومن ثمَّ كان الرُّوحُ الغالب فيما 'يعرَضُ بتلك الدُّور هو روح التسلية المحضة .

على أن التسلية الوان ، وإن منها لمت يصدف عنه الرجل المهذب الذي علت ثقافت وصفا ذوقه ، فلم تعد نفسه تبهج بالرخيص من التسليات ، ولذلك تعددت الوان المسارح والمراقص والمساهر ، لكي تواتي مطالب الاذواق والاهواء.

وعلى الرغم من أن روح التسلية تسرى في هددا النتاج الفني ، وتتدلى به أحياناً إلى در كات التفاهة أو الانحراف ، فإن ذلك النتاج بمجموعه في المستوى الذي يلائم بلدا متحضراً أهلوه على حظ ملحوظ من الثقافة وسلامة الذوق .

خرجت يوما لاشهد حفلة موسيقية في «استاديوم كونسير » اسمه ورون المبين ». وبينها كنا نجتار الطريق إلى المثابة المنشودة ، اعترضتنا زحمة هائلة اضطرب لهانظام المرور ، وتناهى إلى أسما عنا انوقائع دموية تجرى ، وأن وجال الشرطة يعالجو نهاضبطاً للامن وبعد حين استبانت لنا جلية الامر ، فإذا بنا نعلم أن النوحة لم تكن إلا إقبالا من الجمهور على شراء تذ كرات طشاهدة الملاكم ، لويس ، منازل خصماً كبير الخطر .

وكان الطريقُ على رَحابتِه وامتداده يموجُ بتلك الجموع التي تتناقلُ الحديث والنقاش، بين ممشايع للملاكم ما الله عناصر لخصمه الذي تصدّى له.

فَأَذَكُرَ نَى مَا أَرَى مِجَالِسَ، شَاعَرِ الرَّبَابَةِ ، فَي العهودِ القريبةُ حينَ يتحلَّق الناسُ حوله ، يستمعون إلى مَا يقضُه مِن أَساطير « الزناتي خليفة ، و « دياب بن غانم ، وما كان بينهما من حرب و نضال ، فإذا المستمعون فريقان: ممشايع ملذا ومناصر لذلك. وربما أدَّى الخلاف إلى شجار بين الفريقين حامى الو طيس .. ما أشبه الآدي بالآدي ، مهما تختلف بهما الثقافة والتحضر ا ليس من فارق بين المعركة القائمة حول مجال الملاكمة، وتلك المعركة التي كانت تقومُ حول وشاعر الرباية ، ، إلا أنَّ الجمهور الأمريكيُّ تدورمعركته حول أبطال في عالم الحقائق ، والجمور الشرقي. تدور معركتُ حول أبطال في ذمّة الأساطير وعالم الخيال ا ولقد انتقلت عدوًى التحدُّثِ والمجادَّلة في شأن هذه الملاكمة إلى ساقية السياراتِ ، فاندنج سائقُ سيارتنا في غار المتحدثين والجادلين، حتى خشيينا أن نحدُث مشاجرة نكون. من و مقودها دون أن نجني ذنباً ١

لقد كانت السيارات وهي تجتاز الطريق ، كا نها مراكز إذاعة متنقلة ، مراكز استقبال وإرسال في شأن هذه الملاكمة الخطيرة ا وبعد لأى بلغنا و استاديوم كونسير، في سلام ، ولم نكد نطأ أرضه ، حق الفينا أنفستنا بين حشود من الناس يختنق بهم المكان . إن و استاديوم كونسير ، رحبة في فياحة مكشوفة للهواء

الطلق ، ملى، نصفُها بكراسى مصفوفة وأقيم فى نصفها الآخر مدرّج «عظيم... إنها ساحة للا لعاب الرياضية على طراز رومانى»، يتخذونها أحياناً تمثابة الفن ، ومسرحاً للموسبق.

كانت هذه الآلاف المؤلفة على يموج بها المكان ويرتج ، في إن جعلت الموسيق تُـط لِيق أنفامها ، حتى عم السكون ، فاستحال المكان كمية عبادة يخيتم عليها الخشوع ا

ولما تجلى العارف البولون يصافح داليان ، بأنامله ، راحت هذه الجموع الحاشدة تهيم معه في آفاق رُوحية رائعة . وانتهى العزف ، فإذا الجمهور المتعبد الخاشع ينبعث متهللا مرحاً يُعلن حفاوته في حمية بين التصائح والتصفيق .

يَميناً إن الفنانَ في رُوحه الإنسانية السامية ليلقى من حفاوة الأمريكيين وتكريمهم ما لا يقلِ شأناً عما يلقاهُ بَطل الحربِ وزعيمُ السياسة 1

ولقد أثارَ انتباهِ إقبالُ الجهورِ الامريكيّ بوجهِ عامّ على نوعين مختلِفين متضاربين، يستنفدُ فيهما وقت فراغه : أحدهما مجالات الملاكمة والصراع، والآخر أندية الموسيقي والغناء 1

ظاهرتان قد تبدُوانِ على تناقض: تَزعة إلى الوحشية ، تُنسارِها عاطفة رقة وحنان ...

ليس ثمة من تناقض .

إن الطبيعة قوامها هذان المُنصران من خير وشر ، من شد"ة ولين ، وما ذالت الإنسانية بخير إذا استوفت نصيبها من هذين العنصرين على درجة سواء ا

فإن لم تتوافَر السلامة والانزان بينهما ، فطفَى أحدهما على الآخر ، صار الامرُ إلى فساد .

والدُّولُ في ذلك كالآفراد ... بتكانملِ هذين العنصرين فيها تتصف بالإعتدال.

وليست فورَات الشعوب فى الفارات والحروب إلا اختلالا فى أنسجَتها الحيويّة ، أفقدها ما بين العنصرين من توازن ووفاق...

إنها طغيان لعنصر على الآخر، وما أقربه مشهاً بشوران بعض الانسجة في الابدان، ذلك الثوران الذي يحديث أوراماً سرطانية تورد وصاحبها موارد الحتوف ا

المسرحُ في ونيويورك، على تباين أنواعه، لا مختلِفٌ كبيرَ اختلاف عن أمثالِه في أسَّهات المدائن المتحضرة. ﴿ فَمَا أَيْمُ رَضُ فَهَا عَلَى مُسْرَحَ ﴿ مَتَرُوبُولِيتَانَ أُوبِرًا ﴾ تصادِفُ مثله في وأوبرا باريس، و و ڪوفنت جاردن، في ولندن، . وما "يعرض في مُسهَر وكوبا كابانا ، لا يزيدُ على ما يعرض في مسهر « الليدو ، في « باريس ، ... وقد تجدُ الرواية َ الفنية َ تمثَّل أعواماً تباعاً على أحد مسارح ، نيويورك ، فتذكر أن ذلك يجرى أيضاً على هذا النحو في مسارح و لندن ، ... وإذا ذكرت المسرحَ الثلجيُّ المسمَّى « أيسشو ، في « نيويورك ، طالعك على الفور قصر الجليد في و باريس، المسمَّى و باليه دوجلاس، فإن أبيتَ إلا أن تلتمسُ بينها أبعض الفروق لم تجدُّ إلا تلك الفروق المظهرية َ بين بلد وبلد من حيث الطاتبعُ المحليُّ والذوق الشخصي ا

ولكن مُمَّةً في الفنَّ الأمريكيُّ ظاهرةٌ خليقة بالذكر، وإنى

لاحسب أن وأمريكا وقد تفرّدت بها ، أو لعلها سبقت غيرَ ها إلى تجويدها ..

هذه الظاهرة وليدة فكرة يسمّونها و تيسير الفن للجميع م وغرضُها تحبيب الجمهور الكبير في الفن الرفيع ، بعرض نماذج شائقة منه يستسيفُها مستوى الذوق العام .

إنه ليرحّبُ بستة آلاف وماثنين من النّظارةِ على مقاعد فسيحة و ثيرة لا تقبلُ فخامة ولا روعة عن المفاعدف أسّهات دور والأوبرا ، في العاكم المتحضر.

فامّا الأجرُ الذي يؤدّيهِ المتفرّجُ، فهو زهيدُ تافِهُ بالنسبةِ للأجور الغالِية في الدُّور الرفيعةِ للتمثيل.

والبَرْ نَا بَحُ فَى هذا المسرح يبدأ منذ الصباح ، ولا ينتهى إلا 'بعيدة منتصف الليل ، فهو فَى تَكْرار خلال هذه الساعات الطوال . وإنه لبر نامج ماريف " نستطيع أن نعد" ، وافياً بالغرض

من تسلية الذهن وتغذيتيه .. إنه يما ثِلُ وجبةً من الطعام خفيفة الهضم، مستو عبة لعناصر الغيذاه الصالح . ولو القيت نظرة على أى بَرْ نا بج من برامج هذا المسرح لو ضحت اك تلك الله كرة في غير تعناه .

البر أمّ مَح عد قصول: عرض رواية سينهائية من المشهورات؛ ففلة موسيقية قو المها ستون عاز فا يؤد ون قطعة عا لمية متعارفة، فغينا لا تقوم به بجو قة يرأسها مطربات ومطربون عن لهم مكانة ما علموظة و صيت بعيد، فعرض موسيق غنائي راقص قو المه أسراب من الفتيات يؤد ين رقصات شعبية وأخرى فنية، في مشاهد جميلة رائقة تتمير بالطرافة في الإضاءة والإخراج.

أو لست ترى من تضاعيف هذا البر نامج أن الهدف الاول مو تقديم نماذج طيبة لا تنزل إلى مستوى التبريج الرخيص ، ولا تسمو إلى الفن الذي قد يستعيمي على سواد الناس؟!

قيل إن ، الأوبرا ، محاوكة لجمع فروع الفن في إطار واحد : التمثيل والغناء والموسيق والتصوير والبّيان نـثر ، وشعره ، وإنى لأركى أن ، رديو ستى هول ، هو محـاولة " أخرى – وإن نـكن في تحداثة عهدها – لجمع مناحى الفن" الحديث في دائرة واحدة ، وقد تنمو هذه الفكرة على الآيام، وتتطورُ حتى تلكمُ تشتات الفنَّ على نحو جميل.

وعلى أيّة حال فإن هذا المسرح يطمّحُ إلى أن يجعلَ الفنّ ديمقراطيّا، وأن يخلع عنه رداء الارسْتقراطية التقليدية التي طال عليها الزمن.

ولكن هل بمكن حقيًّا أن تطوى الديمقراطية تحت َ جناحها روح الفن الرفيع؟

إن هذا الفن الرفيع في معنا الاصيل أرستقراطي في كل ناحية من تواحيه ، فهو 'سمو في في التفكير ، وعلو في الذوق . إنه أرستقراطية ' الذهن الذي يتفتق عن عبقرية ونـُبوغ .

ولا نزاع على أن العباقرة فى كل أمة وفى كل عصر نفر مقلي المستوك الشعبي الله وأن ولا ثد قرائح مستظل بمعر ل عن المستوك الشعبي الذي ينتظم أفهام السواد .

وإذن فبو أن شاسع بين أرستقراطية الحياة التي هي في متناو ل التغيير والنبديل ، لقيامها على السس من الماد يات ، وبين أرستقراطية الفن التي هي عصية ممتنعة "، لقيامها على أسس من مواهب خفية ليس إلى اجتلابها من سبيل ا

وثمة ظاهرة أخرى في الفن هنا لك ، لا يحتاج التدليل عليها الله بيان ، تلك هي عظمة ، الفلم ، الأمريكي ، وتفرُّده بالغلبَة ، وسموْ ، ألى القِمَّة .

و تجلي أن هذا «الغلم ، يكاد يستوعب مظاهر النشاط الفسي الفسي الفسي الفسي الفسي المنساط الفسي المنساط الفسي المنساط الم

ولا مرثية أن ملابسات دوليّة في الحرب العاكمية الأولى. أتاحت ولامريكا، فرصة التجويد في هذا الفن ، وتزويد الاسواق به ، على حين أن الامم الأخرى كانت في شغل بأثقال الكفاح ، فتخلفت في هذا الميضاد ...

على أنه لو لم يكن الزّاد الأمريكيّ الفيُّ ثمين الجرهر، لما أعانتُه تلك الملابساتُ الدولية على التغلب والظفر.

ولوذه بنانتقصًى العوامِلَ الى أبرزت والفلم والأمريكي وجمعت حوله الاهواء ، وجعلت فنتًا عالمينًا تنفسح له جوانِب الاسواق ، لالفينا العوامل يتقد مها عامِلُ الإخراج وما يكتنفه هن معد ات ، الالفينا العوامل يتقد مها عامِلُ الإخراج وما يكتنفه هن معد ات ، إن المخرج في والفام ، الامريكي هو رُومُحه وقوامه ، وإن هذا المخرج قد تفطئن إلى لئب الحياة ، وزاوَل من تجارب وإن هذا المخرج قد تفطئن إلى لئب الحياة ، وزاوَل من تجارب

صناعته وتفهم جمهوره ما بصرَّه بوسائل النجاح . فهو إذا عرَضَ عليك إنتاجه، حاوَل أن يضع تجاه نظرك قطعة حية من دُنياك التي تعيش فيها ، لا تزيين ولا تزييف . فسرعان ما تستجيب نفستُك لما تشهد ، وسرعان ما تتم يبنك وبينه الالئفة، و تحسن بأنك تعايش من ترى من الناس ، وتزاول ما يدور من المشاهد والاحداث .

لقد توارى فى ، الفام ، الأمريكيّ ماكنا نشهَده قبلًا من مبالغة فى الأداء ، وتلفيق فى الشّور ، وتزوير على ما تراه العيون ، وتستشعره النفوس ، فى دنيا الناس . . .

لقد أصبح فن ، الفلم ، الأمريكي هو فن الحياة ا

19. 1V

إلى . واشنجتون . .

على ذلك استقر عز ممنا بعد كلول تردّد وجدال.

دخلنا محطة ، بنسلفانيا ، العظيمة فكا ثما تلقشنا مَشَاهَة تَرَاى أَرْجَاؤُهَا ، أَوْ كَا ثَمَا تَلْقَّفَنَا ، برجُ بابلَ ، يختلِطُ فيه الحابلُ بالنابل .

تعطَّة أو بنسلفانيا ، بنالا متراكِبُ الطِّباقِ، ذو أبهام رحابٍ تشرُدُ في أنحابُها العيون ، وعلى الرغم من ذلك تَعَصَّ بالْأَفواجِ مِن طُلَا أَبِ السفر ...

هر ٔ ج َ و مَر ْ ج ، ولكنه منظمَّ ممسَّق يجرى على نمط مضبوط. ثـمَــة َ أرقام مُ تر شِدُك َ إِلَى مآر بِك ، ومضخَّماتُ صوت تهديك السبيل . . .

الزام "عليك أن تكونَ عيْناً يقظى، وأُذُناً واعِية ، وأن تُحُثُ الخُطا تِلْوَ الحُطا ، تجوزُ بظُلاْت ومواطِنَ :مقاصف ومتاجر ، لاتحصِى لها عدداً ، ولا تدرِك لها منهمى ...

وبعد لأنى تجد نفستك أمامَ سلالمَ متحركة ، صاعدة المسافرين هابطة ، فتحسّبُ أنك في إحدى دور اللهو تقسلي باللشّمَب ...

وترى الزُّنجي حاملَ الحقائب قد سبقلَكَ يخُطُّ لك الطريق، كا نه يشجِّمُكَ على أن تمُار سَ لُعبة َ السلالم المنحر كذا

ثم إذا بك على الطوار، تُجاة القطار.

إنه رابض في مَثواه تحت الأرض ، وإنهم لسَيصفونه بانه قطار ديمقراطي لافصل فيه لدرجة عن درجة ، فالناس فيسه سواء ، لاسيد ولانمسود ...

مَرْ كَبَاتَ مَمَا يُلَةً فَى النظافة والأَمَاقة ، وأسباب الراحة .
ولكن ثمة مركبات كأنما تحاول أن تتوارك عن الأعين ،
هي مركبات ، البولمان ، الفاخرة . . . تمتاز مقاعِدُها الوثيرة الدائرة مُ بأنها طيّعة لك ، تميل فإذا هي مضطّحَم ، أو تنبسيط فإذا هي مضطّحَم ، أو تنبسيط فإذا هي كخير ع . . .

وإنك لتراها وقد استأثرً بها ذلك الضربُ المتميَّزُ من الجنسِ الأمريكيّ، تلك الكُتُل الضخام المحشورَّة ، بالدولارات ، ،

هؤلاء السَّرَاة الذين يمثلون أرستقراطية المَّـالِ والأعمال ، ف مَعْقِبل الديمقراطية والمساواة ا

وليس بمُعْجِزٍ لك أن تنبيرَ هـذا الضربَ من الناس ، وأن تَفرِزَه من بين سائرِ الضروب في أيّ المواطِن شئتَ من أيحاء هذا العالم الامريكيّ العريض ...

ولكنه في مركبة , البولمان ، واضحُ التميّز:

وجه أمرد يكسوه احتفان ، ورقبة وغليظة مصلية، ولفاقة صخمة سودا تتنفيل بين الشدة ين ، ويحفظة في اليد تتجمع فيها الإضمامات والقوائم وأوراق الحساب ، وضح عة متراخية من وكأس من شراب مثلوج ا

إن و البولمان ، مظهر تجلى للارستقراطية الآمريكية ، في حين أن المركبات الاخرى و السكوتش ، تمثلُ الديمقراطية السافرة : حشد مشكد س ، صخب ولجب ، باعة من الزيج يحملون مختلف الاطعمة والاشربة ، منتفون بها في تحفيظ ، وهم يعتبرون الممرات عبور السيادة والترقيع ، كأنما ينتظرون أن تستعطفهم إذ تشترى عما يحملون ا

أين من هؤلاء الزُّنج الشامخين باعتنَّنا المتواضِعون الذين

عراون السّميد والبيض والجنن في قطارات ومصر ، وهم يعرضون سلّعهم في رجام وإلحاف ١٢

الله الشرعة واثعة حقا، هذه التي يُتيحُها لنا القطار أربع ساعات بين دنيويورك ، و دواشنجتُر ، . . . في هدده النزهة تتجلّق الطبيعة كووساً بمفاتنها تجتذب الدين وتختليب الفؤاد . تتجلّق القطار في وبحطة الإتحاد ، : مبنى ضخم تعلو م قبئة

بعيدة الأطراف، تشعر لك يما لها من عظمة وثراء...

وطرف ما باب العاصمة ، قاصد بن الفندق في أقصاها . إليه لتلك الخضرة النّـضرة الريّـانة ا

حيثُمَا تتلفت يقع بصرك على أشجار حالية بشتى الرياحين . إن الوائد المام الخاصة التناف يتحد د أمام الظر يك مختلف الوائد؛ تارة أنت بين خمائل بديعة التنسيق ، وارفة الظل . وطو را بحتار غابات متعانفة الشجر، تشليك فيها النيجاد للوجاد. وحينا أنت عار "جسوراجملة تترارى تحتما الجداول والانهر ضاحكة الموج جيجة الرُّورَاء ، وتلك المَغَمَاني منشورة " هنا الوهنا لك ترعاها شمس ويوليه ، الساطعة ، ويُرَوِّحُها نسيمُ الصيف. الوادعُ الرفيق

وهذا الهدومُ الشائع . .

12-1-6 لا تدافع بالمناكب ، ولا تزاحم على الطريق ، ولا قوالب مَكَدُّسة "تُرْهِقُ أعصابك بحمُودِها ، كَتَلْكُ الني صَفِينًا بها ذَرْعًا في ، نيويورك ، مدينة القوالب من بشر وحَجَر ا

ما أقرب مدينة من ويورك ، شبَّها بغانية الفرن العشرين ، في رُوحها المتمرِّدة ، ونظر تها المتامِّية ، وحركتها المتوثبة ، وليُومها السادر الجرى.

فأما مدينة أو واشنجتن ، في هذا الشهر الصائف وهي تختال ا في غلالة من ضوء الشرق ودفيه، فما أقر ما شماً بغانية الشرق وشهر زاد ، : مشية " متخطّرة ، وإفتنة متراخية" . و ذلال مستنبي ، ونظرات وانية "تتراءى فيها أطياف الأحلام!

أيام معدودات ، قضيناها في تلك المدينة ، مرت كا نُمر الحُكُم الورْدِي السعيد ... لا تُباهى، واشنجتون ، بالارقام ، فسكانها 'يحَدُّون عِنات الالوف لا بالملايين ، ومساكنها تُحَدُّ الطبقات فيها بالآحاد لا بالعشرات . . . ولكنها تباهى بما هر أجل وأراع ، هو تلك الحضرة الناضرة ، فهى خليقة آن تلقيب بالعاممة الحضرة الناضرة ، فهى خليقة آن تلقيب بالعاممة الحضراء ا

شد ما يروعنى أن أعلم أن ، واشنجتون ، عاصمة الدرلة ! ... فهى مركر دُور الحكومة ، وتمقر السفارات ، وملتق المصارف ، و مَحْمَت الكثير من الإدارات والاعمال ...

ما كان أجدر أن تخلُص هذه المدينة من تلك المعالم التي مثل الآلية والمادية أن على المعالم التي مثل الآلية والمادية ومظاهر الحياة الواقعة . . . فا تخلفت الملدينة الشيء من هذا كله ، وإنما تخلفت فردو اسا تحوم فيه الاطياف اللهاف ، والارواح الصافية

يَأْبَى القَومُ إِلَا أَن يُريدوكِ أَيْمًا المدينةُ الحَالِمَةُ عَلَى أَن تَكُونَى مَركزًا للدولة .

لَهُ اقاموا فيك مبنّى و الكابتول ، : دار البرلمان ، بِقبّتها المنتفخة ، وأعمدتها المنشاخة ، ودَرَ جها الذي تكاثر وتعالى حتى

الكانه صراط" أعدً لمن يليج أبواب الدار ، امتحاناً لقدر ته على الكفاح .

ولقد حَسَدرا في أرجائك تلك الأنصاب التَّذكارية والمؤسسات الحكومية مختلفة الطراز، متباينة الاشكال: هذا يستعير شكل المسلة المصرية، وذاك ينتحيل الطابع الروماني، وتلك من وحى الفن الحديث،

إنك لتجوس خلال ما شيد من هذه الانصاب ، فيبدو لك و لنكولن ، على مقدره ، تكسوه مهابة الزعيم ، وتفكير الحكيم ، وروعة القد يس ... وبطا لعك وتوماس جيفرسون ، مبسوط القامة ، في معطفيه السابغ ، تتجلى فيه ملامح الحرم والإرادة التي كان بها ساعد ، واشنجتون ، الاشد ، ودعاماً قد ينا في صرح الوطن الامريكي .

إنها الانصاب رائعة أقامها الامريكي الحديث العهد، مدفوعاً إلى ذلك بباعث نفسيّ دَفِين ...

إنه ليليح في اتخاذ الوسائل التي نجعل من قومه أمّة ورامها ماض يحفيل بالاحساب ، وتاريخ يزخر بالامجاد الانصاب جيعاً تحميل طابع الجدة ، لم يكد

ينفُضُ الفنانون أبديثم منها. فليست روعتُهافى جلالِ العِيتقُ والقِيدم، وإنما روعتها الحقة ' فيها تُوحِى به من المعانى الكريمةِ والمُثُلُ العالية. . . بيد أنه لا بد من أحقابٍ وأحقاب ، حتى يكسو مده الانصاب وقار الزمن ، وتجلسُلها مهامة 'التاريخ!

إن المُسحة الغالبة على المؤسسات الحكومية في هذه المدينة هي مُسحة العظمة والفخامة ، إلا مبنّى واحداً ، لا أدرى كيف تفلّت من هذه المسحة ، ذلك هو ، البيت الأبيض ، ا

بالغ مهمو في سذاجتِه، حتى لَـتكاد تخطِـُ مُه العينُ حين تجتازُ به: دارُ متواضعة ذاتُ طبقتين، لا ميزة لهـا إلا في بياضِها الناصِع، وحديقتها الفيَّاحة.

اقد ُبنِيَتُ تلك الدارُ على هذا النحو مقرَّ الرئيسِ الجمهورية ، واقيمَ تجاهها مبنَى والكابتول والعظيمُ ، ووصل بينهما طريق معدود فسيخُ ...

و َلكَا أَنَى بِالْأَمْرِيكِيّ حَيْنَ صَنْعَ ذَلَكَ إِنَمَا أَرَادَ أَنْ يَرُمُزَ إِلَى أَصُولِ الحَكَمْ فِي تَلْكُ الجمهورية ، فجعل مِن الطريقِ بِبنِ المَبْدَيَينِ تَعَاوُ نَا وَصِلَةً ، وَكَانْهِمَا فِي تَقَا بُلْمِهِما يُستَعِيدٌ كِلا مُعَامِنِ الآخرِ قوة.

على الإضطلاع بالإمثرة، وهيشمنة على صوالح البلاد.

ماكان لنا وَنحن فى , واشنجتون ، ألا تزور بيت الرئيس الأول ، مُنشِيءِ الوطن ، نحُبجُ إلى تمشُّواه ، ونزور صريحه العامِ ، بالقُصَّاد .

مَا أَجَلَهَا نَزَهَةً تَلَكُ التَّى يَسْتَمْتِعُ بَهَا الْسَائرُ إِلَى بَيْتُ و اشْنَجْتُونَ ، في مزرعتِه الاصيلة في و مونت فرنون ، .

طريقان هنا لك للذهاب إلى ذلك البيت : طريق ربنى جيل ملي من الظلال. جيل من تراءى على مبعد المتداد ، وافر الخنصرة وارف الظلال. وآخر نهرى تمخر فيه باخرة مبحداء شواطىء ترفل فى وشي من

نسُج الطبيعة بَهِيج . ومتى بلغت البيت رأيت نفستك قد رَجعت إلى حقّبة من التاريخ ، هي الحقبة التي عاش فيها ، واشتجتون ، فإن القوم احتفظوا في تلك الرقعة من الأرض بشتى مظاهر الحياة في ذلك

الاستقلال، وبدء تكوين الجمهورية...

بيتُ ربني ناصعُ البياض، ظاهرُ السذاجة ، ذو طبقتين، يشرفُ على النهر في شكل يأخذُ بمجامع القلوب.

العمد الغابر . فأنت تتنبع من كل شيء يُحيط بك عصر

وإنّ هذا البيت على تواكنعيه ليرو معك بذكر ياته و طرَ فه التاريخية الما جدة الخالدة ...

حسبُك وأنت تتنقل بين محجر و وأنحائه أن هذا الركن كان يجلِسُ فيه و واشنجتون ، فى لُمَّة من أعوانه ، أي برمون الرأى و يُحمِعون الامر ، وأنه فى هذه الزاوية كان يجلِسُ ليقر ر مصاير البلاد ، وأنه فى تلك الحجرة كان يتخذُ مخدَعه ليدع لاحلامه أن تواتيه بأطياف الاماني الحسان ا...

فإدا بك قداستشعرت رُوح ذلك الرجل العظيم تُطيفُ بك، وأنفاسَهُ تسبحُ من حو لك ...

استركى نظرى بين مخلفات ذلك البيت مفتاح طريف كان هذا المفتاح لِسجْن والباستيل، وفلما ذهبت الثورة الفرنسية بذلك السجن وأهدى مفتاحه إلى وواشنجتن ...

داى الفرنسبون فى ذلك الرجل العظيم رمزاً لمكشر قيود الاستعباد ، ورفع لواه الحرية ، فلم يجدوا لتحييه أثمن من مفتاح والباستيل ، يُهدونهُ إليه ، فإن ذلك المفتاح ليس لارمزاً لِقيد من قبود الإستعباد كُمير ، وعلم من أعلام الحرية رُفع ا

زايلنا البيت ، نخطوعلى بساط من زُمر د، تجلت الطبيعة مرتراي الاطراف على أديم الارض ، حتى أدَّى بنا إلى المقبرة. لا صَرْح ولا قُبة ، لا زينة ولا زخرُف ، ولكنه مبنى صغير شذو باب حديدى يتراءى خلفه تابوتان من الرُّخام الابيض ، هما ولو اشتجتون ، وزوجه ...

مكانُ ظليلُ تغشاهُ رَهْبة وصَّت ، إذا دَنَا منه الروّاد خفّـفوا الوَّطَ، وخفّصوا الصوت، وحنّـو ا الهامَ !

إنهم ليقيفون لحظات خشَّ ما حيال ذلك الجدَّثِ الذي حوى أثمن حقيقة في حياة الوطن الأمريكي ، وأروع معنى من معانى المُثُل العالية .

هاه و ذا معبد انسانی تقد س فیه رموز و اهداف ، و إن هذا المعبد كتنوا فد علیه افواج و افواج اتحکی ذكری رجل ماكاد یفر غ من أداه و اجبه، و بلوغ أمنیت فی تحریر وطنیه، و تو طید أركان الحد کم الجدید، حق آثر العر له فی تمسكت المتواضع و سط تمز رعت القدیمة، بحیا کا بحیا الفرد من مامة الناس، فأبی أن یستمت بأیم السلطان و تسط و الحکم ، هر با الناس ، فأبی أن یستمت بأیم السلطان و تسط و الحکم ، هر با من عظمة تحیط به من کل جانب ا

على أن العظمة طلبت تلاحقه وتعاصِرُه، حتى اتخذت من اسميه عنوان الدولة، وجعلت من قبر ه مزار تقديس

إن الإنسان في كل زمان ومكان يلتميس نوراً أيضي له ليل الحياة الطامس، وأتملاً يُعينُه على وُعورة الطريق ومشقة الحياد . فلا يكانه يلمتح رعامة تتألق ، حتى بتهافت عليها ، ويرقعها منار هداية وكعبة آمال . إليها يقصِد ، وفي ضو ثها يتا بع الشرى ا

ما أحوج الإنسان دائماً إلى مثل تلك السكمية وذلك النور. إنه حين يُعوزُه أن يعسُر عليهما بين الناس، ينساقُ بباعث من عجزه وتخاذله، متخذاً من الجهاد أو الحيوان رموزاً يتوسم فيها العوْن والرّعاية ، ويتلسّسُ منها سلسبيل الطمأ نينة واليقين! أتاحت لنا ، واشنجتن ، لِقاء أصدقا، وأحبابٍ من بنى الوطن ، ولا تحرّو أن تسكور السفارة المصرية هنا لك ملتق أولتك الاصدقا، والاحباب!

ما أَجَلَّ مَقَامَ السفاراتِ الاجنبية في العاصمةِ الحضراءا إنها لتحفظي بأكبر نصيب من الرعايةِ والإعزاز ، وإنها التحتل حيًّا خاصًا بها تنجمًّا فيه كأنها تنلسَّ من تلاقِها تبادُلَ المُوارَرةِ والدوْن .

وإنك حين تجوزُ بحيّ السفارات تمُرُّ بدُورها واحدةً بعد الاخرى لشَحْسَتُ نفستكِ سائحاً تجوبُ الافطارَ والما لِلكَ مُعِتازاً تُحدودَها في لحظات ا

في تلك الرّفعة التي هي رَوْحُ ورَيْحَانَ ، و ظِلالَ وأفنان " ، يقومُ مبنى السفارة المصرية رشيقاً ذا طبقتَ بن ، عليه رونقُ الجدّة .

هو تمغنى المريك الطراز نظاماً وتنسيقاً في سذاجة ، ولكنه على الرغم من ذلك قطعة "من ، مصر ، .. ، مصر ، المتأمركة الرّارة الرّارة وحَ الأمريكية تطوي تحت جناحها أنز لاء المالم الجديد من بني الوطن ... فالحياةُ هنا لك تضطر المصري اللي ان يُسا رَها ، و يُذ عَن لمظاهرها ، وإلا شعر بوطأة الوحشة وقسوة الاغتراب ا

اشتدت في وأمريكا ، أزمة الحدم ، فلم تجد الأسرة المصرية هنا لك أبدًا من أن تضطليع بمرافق المنزل ، فألفيننا المرأة المصرية قد نشيطت من عقالها ، وغدت أمريكية تتولى أشون الاسرة داخل البيت وخارجه فهي في المطبخ طاهية "، وفي السوق شارية "، ولاولاد ها حاضنة ومر"بية ، وهي في السيارة

سو اقة ماهرة، وهي فيمايبق من وقت فراغها متنقلة «بيز المجالِس والنوادى، تقوم بقسطها من المشاركة في المجتمِع الآنيق!

لقد خلعت المصرية عن كتيفيها في بلاد و العمّ سام .. مطارف التدليّل والرخاوة ، واقتحمت ميّدان العمل تشايضلُ في معْدركة وَقُـدُودُها الاعصابُ ا

خرجتُ وشهر زادٌ ، من خِدْر ها المعطّر ، خِدْرِ الْاخْمِلة . والاحلام ، ورَّمَت بجسميها في ُلجَّة ِ الحقيقة والواقع .

على أن المصرى في وأمريكا ، سريعُ الإندماج والتأفيلُم ، يعينُه على ذلك تُخلقُه الطيّعُ ، وشمائله المرنهُ ...

و إنه لمن الطريف حقًّا أنَّ طاهياً مصرياً لعظيم مصريًّ يتقاضى اليوم هنا لك ثلاثين جنبهاً في الشهر ، وقد انخذ لنفسيه سيارة خاصة يتولى قيادتها...

فإذا دَخل المطهَى لم يلبث أن يَسْتَحضِرَ مِصرَ يَّتُه ، و يُعِيدُ عَافَ و الشركسية ، و ، بلح الشام ، لِتَثُرِيِّن ما يُقيمه ذلك العظيمُ لضيو فِه الأجانب من المسآدب .

عُدْنا إلى ، نيويورك ، نذكرُ ما لقينا من حفاوة أبناء الوطن فى تلك المدينة الخضراء التي أنس تُنا أننا فى بلاد المادّة الجافة ، والآلة الصَّماء ا

آن أن نفكتر في الرسحيل.

فلسًا مضينا للتميس وسيلة الإنتقال إلى وأورباء تعلِمنا أن الأماكن في البواخر وفي الطائرات محجوزة مكلم إلى ثلاثة أشهر. لامناص لنا إذن من البقاء ثلاثة أشهر اخر في بلاد والعمِّسام، اللاثة أشهر نقضيها، لامهميّة لنا ولاعمل الامحض الإنتظار. ذلك مُحكم قضت به علينا شركات البواخر والطوائر. ولكن أليس لهذا الحكم من استئناف ؟

علمت المدرسة ، ونحن نتلقى علم الهندسة ، أن أقرب بعد بين نقطتين هو الخط المستقيم ، وها نحن أولاء نزيد تطبيق تلك البديهية الهندسية فيما نريد من الإنتقال ، فنتخذ الطريق المستقيم الرسمي في طلب الدّن كرات ... فإذا أقرب مسافة بيننا وبين ما نريد هو ثلاثة أشهر طوال عراض !

وهالتنا مأز قُنا الحرجُ، فخرجُنا على تلك البديهـ الهندسيّة ، نظلب ملتوياتِ البطرقِ ، لعلما أقربُ بعداً ، وأيسر 'جهداً . دخلنا سوق الشفاعاتِ والوَساطاتِ ، فخرجنا بصَفْقة

الراجح. وتوارّت عن أذهانِنا تلك البديهة الهندسيّة ،كا ثما تلوذ ُ بالفِيرارِ من خجّل و خزْى!

إِنْ لَاحْشَى أَنْ تَذَهَبُ دَنيا اليوم بِمَا قَدَّسُناهُ مِن حَقَائقٍ ، ومَا هَفَوْ نَا إِلَيْهِ مِن أَمْشُلُكَ الْاحْلاقِ ا

إنا على وَتُنْكُ السفر خلالَ أيامٍ معدوداتٍ ، فلنكن على أهُمبة ، حتى يبلغنا الموعدُ القريب .

وَبعد أيام تلقينا نبأ من الشفيع الاعظم بأن الطائرة سُتُقلّنا بعد أيام ثلاثة ... فأمضيْنا هذه الآيام تطنُوف في ويورك ، طو فات عابرة ، هي تحيات وداع:

وداع للمطاعم، للمتنزهات، للملاهى، للطبيب: تتزو دُمنه بتلك الا بنسامة الخاطفة التي كانت كل مافى جعبت حين فدمنا عليه من تحية واحتفاء، وهي اليوم كل مافى جعبته من نصح وإرشادا وأخيراً، وداع لذلك الصديق الكريم، والشارع الخامس، الذي صحيبنا أربعة أشهر، لم النق منه إلا صدراً رَحْباً، ومعيناً عَذْباً، يَقِيضُ بالمباعج والمسرّات.

وَى صُبْح يُومُ السفرِ أَطَّلْكَ مِن نَافَذَةَ حَجَرَقَى ا أَعْطَلَعَ اللهِ مَنْظُرِ أَلِفَتُهُ حَقَى مَلْكُ مَنْ أَبْنَيَةً "سُوامِقُ"، وطريقُ صادرُ" وارد ، ومُنتَنَزَّهُ فِي أَقْضَاهُ صَغير .

وقفتُ أرنو إلى ذلك المنظرِ المألوف لى ، فإذا به فى منه اللحظة ينزعُ عنه تفاكمتَه وابْتنداله .

إنه ليَسبدو لي كا تما يتجلى لناظرى أو ّل مرة .

مفاتن جديدة "، تتو صح لي ، لم أعم من من قبل .

لَكَانُ الشارع كان يسترُ عنى جوانبَ منه صَنْ بها على ، ولَكَا نُه كان يَدَّ خَرُها لهذا اليوم ، بل لهــذه اللحّـظات ، حتى أفارقه بشو ق جديد ، وتشغف مَزيد .

أربعة 'أشهر ترادفت ، وعَني تتردَّدُ في هذا المنظر ، دونَ أنْ آبَه له ...

واليوم ، وأنا على وَشُكِ فِراقهِ ، أرانى مُتَشَيَّنَا به ، رانياً إليه ، أمَّلَى عاسِنَه ومفاتِنَهُ ، كَانَى اريدُ أَن يَحْتَو يَهُ صدرى، لا يُفلت منه شيء ...

مالقلب الإنسان ا

إنه يَظلُّ غافلًا عن قيمة الشيء ، لا يفُطنُ إليها إلا حينَ يَتَرَكُهُما أُو تَتَركه .

إنه لا يكتشيف الكنز إلا حين يضيعه.

أنت إذا ملكت شيئاً أهملته ، فكا نك تقول : فيم الإهتمام الدين (١٥)

والتعجمُّلُ ، وهو طرعُ بمينى ، وبين يدى من وقى فُسحَة الله متع إذا به ، فتنطوى الآيام ، بعد الآيام ، وأنت عن شيئِك عا فل، حتى إذا أحسست أنك مُو شك أن تفقيد ، تواثبت قُدواك من تلقام نفسِها تتشبث به ، وقداحتد شغفها ، واشتد كلّفها ... وتستبين لعيدَيْك مزايا يد هشك أنك لم تحسين الانتفاع بها قبل .

وأقرى ما تمكون هذه المزايا توصحاً لناظرك ، حين لا يستطيع الوقت أن يسعفك بفترة استمتاع وانتفاع . فلا تملك إلا أن تدع ذلك الشيء وقد أتبعشه من قدرارة نفسك حمرات تلو حسرات ا

ظَلَّتَ هذه الحواطرُ تعتلِجُ في رأسى ، فكبر على نفسى أن يكونَ جاكلُ هذا النشوق والتعلق بذلك المنظر ، فرَحْتُ أسائل القلبَ :

ُترَى ماذا يكونُ منى إن تلقيّت الآن نبأ بتأجيلِ موعدِ السفر أربعة َ أشهر ؟

أثرى هل أتخذُ في مسلمكي نحو مذا المنظر شأناً غير ماكان. من شأني معه في أربعة الاشهر الماضية ؟

أم يتـكرّرُ ماكانَ منى قبلُ ، فأغفُـل عنه ، ولا أكترِثُ له » حتى تحين ساءَ ُ الوَ داع ١٤ وكبنا السيارة ، قاصدين مطار و لآجوارديا . . ما أشبه الليلة بالبارحة !

الطريق هو الطريق ، والمشاهِد هي المشاهد ، ولكن شتّانَ بين شعورين : مُشعور القُدُومِ ، وشعور الرحيل ا

د خلنا المطار ، وانتظر نا فى البَهو الدائر يزخَـرُ بالنـاس ، بين رائح وغاد ، وبين جالس إلى أمتعته ، و مقــْبــل على الميزان يستوفى إجراءاته .

ورحت أتطلع إلى تلك الرسوم العظيمة تـزيّن جدار المطار ... رسوم تسجّل مراحل الطّيران في مختلف عهوده ، ولبئنا ننتظِر ، وامتد بنا الوقت ، ولكن ماحيلتُنا، والجيش عليه أن يظل في الانتظار ، وأن يكون متأهّباً مر هف السمع ، يرتفيب صوت النفير ...

LIPTURE -

وحانت ساعة الفرج.

سمعُنا مضخّم الصوتِ يقول:

القاصدون ، باريس ، يتقد مون .

فتجمع الشميلُ ، وانتظيمَ الصفّ ، وخرج الله ذلك الممثى المظاليّل ، كأنه عريشُ بستان . وما كِدُّ نَا نَبِكُعُ أَقْصَاهُ ءَ حَتَى لاحَ لَنَا ءَ شَمَرُوخِ ءَ. وَ مَ وقفتُ أَتَأْمَلُهُ لَحْظَةً ...

أنت و دأبو الهول وصنوان ... بحميل كل منها اسماً من و مصر ، ... ففيك ما نفحة " من الوطن .. كلاكا في وقفتيه المتطلعة شامخ " مهيب " وكلا كافي مظهر ه الجيل سميح المجيدا : مفتر " الشخر ... إنه لفا أل طيب ، فعلى بركة الله ا

احتوانا صدر ُ «شمروخ » والوقتُ نُظهُر .

إنه كأخيه وأبي الهوال ، في و ثارة مقاعده ، ونظام طاقانه ، وسائر شياتيه ... لتوح النور مو هو ، يُوصى بشبة النطاق ، وسائر شياتيه ... لتوح النور مو هو ، يُوصى بشبة النطاق ، ويحفظر التدخين . وهذا الفتى الامريكي وزميلته السهدجة في لمبوسهما الرمادي الرسمي المهندم ، كأنهما طيفان من وهوليوده . وأقفيل الباب ، ذلك الفاصل بين عالم الارض والسهام... بل إنه لنفاصل يقرار مصاير الراكب ، فكأن بصر بر مو يؤصد يقول :

نَمَّةَ حَقْبَةُ مَسْرَةً من حياتِهَا قد تُحَيِّمَتُ بخيرها وشرَّها ، وصارت ماضياً مطوِيًّا ، وها هي ذي حِقبة جديدة تبدأ ، ما برحت مجهولة گنا، وإن كانت مسطورة گفلوح القدر المُغيَّب.

ورُحتُ أَمَّامَّلُ ثَلْكُ الفَرَةَ التي مَضَتُ مَن حَيَاتِي فِي ذَلِكُ الْعَالَمِ الْحَدَيْدِ ... وطافت بالرأس أفكار ا

يقُولُونَ بُإِنَّ الحياة ماض وحاضرٌ ومستقبل، ولكن في هذا الرأي كثيرٌ من إلفاء الكلام على عوا هيئه، دون دقة وتمحيص. ليت شيعرى أي شيء هو الحاضرُ ؟ أين هو ؟

ما الحاضرُ إلا وَهُمْ مُصَور . لُوحادُ لُتَ قَبْضَهُ لَمَا تَحصلَ في يدلِكَ منهُ شيء .

إنه ليَمُر بكِ خطْفا ، وينزلق عسْك انزلاق الزينق الرّبق الرّبق الرّبق الرّبق الرّبق الرّبق منه ، إلا أنْ تُوهم نفسَك إيماماً .

إِنْ خَفَيْمَةَ القلب، وفيها معنى الوجودوسر الحياة، لا تكاد تبدأ حتى يبتلِعَها الماضى من فور و فكانها فَدَ يقة منطلِقة المنطقة المنطقة عنها ذلك القضاء العريض، وإن الكلمة وهي تر مجمان النفس وتعبير الشعور ، لا تكاد تنفرج عنها الشفتان حتى يتلقفها الماضى، فيدو تها في سنجيلة العتيد .

ذلك الماض تِنتَّينُ هَا مُلْ يَفْخَرُ لكَ أَفُواهِهُ يَمْنَهُ وَلِيْلَرَهُ ، وَلَيْلَرَهُ ، وَلَيْلُرَهُ ، وَلَيْلُونَ الْمُلْ إِشَارَةً وَلَيْلُونَ الْمُلْ إِشَارَةً وَلَيْلُونَ الْمُلْ إِشَارَةً

أَوْ عِبَارة ، ولكل حركة أو حِس ، منهو مَا صَدْ بِانَ لا يشبع ، هما يطعم ، ولا يَرْ وَى مهما يعبُ " ا

إنه لا يفنأ يقتطيعُك ويعتصرك حتى يحين وقت تفنى في عوفه، فنصبح نسيجاً في جسميه، ونقطة من دميه ... تصبح صفحة من الماضي ا

وليت شعري أيّ شي هو المستقبل؟ أين هو؟

سديم عامض ، مهما 'ثنفيذ فيه بصرك ، لم يستبن لك فيه قليل أو كثير.

ما برحَ هذا السديمُ في طور التَّكوين، لم يتخلَّقُ ، فهو في ذمة أُقدارٍ محجَّبةٍ تصويحُه وَفَقَ هواها ...

ليس المستقبلُ إذن إلا خيالا غامضاً ، جوهرُه الظنون ا الحياةُ ماض وحدَهُ .

إنه الحقيقة الثابتة منقوشة في سجائك الصخرى لا تَبْلى. في مستطاعك أن تتحدّث في هذه الحقيقة حديث خبرة وعلم ، وتصفّها وصف رُوْية وتمثّن، لا تملك أن يمحو منها مثقال ذرة ، وإنْ بذلت في ذلك غاية الجُهد.

اليس لك أن تستمتع بشيء سوى الماضي ...

ليس الإنسانُ في الحق إلا حَشُد ذكر َيات وذكريات ا ظلّ ، شمروخ ، يطيرُ ، وأنا مستغرقُ في تأمَّلي ، تـطوحُ بِي الخواطرُ في شتى الآفاقِ ، وقد ألقبى النظرة بعدد النظرة من الطاقُ ، أشهَدُ قِطعَ السحابِ تسبَحُ في السماء ، تارة تلتحم وتربد منذرة بوابل هنان ، وطوراً تنقشيعُ لِتأذن للشمسِ الناتبعَث ابتسامتَها تُحييناً وتُهُتُ في نفو سِنا الطمأنينة والرضا .

وفى الساعة الخامسة مساء ، هبط مطار و جندار ، ، وظهرت السيارة الحافلة ، فامتطيناها تجُوس بنا دروب تلك القرية الكثيبة المنعزلة ، هذه المستعمرة الجوية التي المنجنت محطاً لرحال الطائرات ، ومثابة استجام .

وزادَ مَــَده القرية َ وحشة وكآبة أن السهاء كانت عائمة " "تو الى رَذاذها .

و بلغت بنا السيارة مقصف المطار ، ذلك المبنى الذي يما مِثلُ بيت فلاح ثمرى من شادة الريف .

وبعد أن طعيننا تناتمي إلينا أننا في المطار نبيت . وليكن علينا أن نسكون على تمام أهبة الرحيل، فقد يباغتنا أمر بالمعنى إلى دكوب الطارة .

و أقلتُنا السيارة ُ الحافِلة إلى ما يسمُّونه هنا لك الفُّندق، وما هو إلا ُتُكنة وحق السهاء، لا تجنتي ولا مغالاًة َ ١

فى ذلك المكان حيينا حياة الجندى فى شتى مظاهر ها. مُحجَد بلَكَ بها التواضعُ حدَّ الشظكف وأسرَّة عجاف لايستُرها إلا ما يمس إليه الحاجة من فيرُش ساذَجة ، وضحْعة ارتقاب وتوفيز ، نتوهم فى الفينة بعد الفينة أننا مُن عجون بطلب الرحيل ا صحوت فى الخامسة صباحا ، كأنما عز على نفسى أن يوقظها آمر مسيطر ... فاستيقظت هى تمثلا بقول القائل :

« بيدي لا بيد عمر و ١١

لا جديد في شأن الرحيل.

عدنا إلى مبنى المقصّف ، لا عمل لنا إلا أن نطعمَ ونستريحَ وننتظر ..

من أُمس الرحلة الجوّية أن ننتظر ، وأن تُروضُ أنفسَـنا دائماً على هذا الانتظار .

أمضيت الوقت على تلك المقاعد الوثيرة ، أنقل بصرى

في الحاضرين، وما فتيءَ الرَّذاذُ ينقر زجاَج النوافذ

الكأننا نحن طلاّب وشمروخ، في جزيرة مُوحشة ، فَكَذْفَنا مُحطامُ سَفِينَة مَهِمِيضَة إلى الشاطني، ، فبقينا ترتقبُ النجدة .

وكنتُ كلما رَسْتُ بالانتظار ميضتُ أَسائل ضباط المطار، ومَنْ اليهم من الاعوان، ولكن لا جديد !

ليس في جعاب المسئولين من الجواب إلا ابتسامة غامضة ، وإيماءة خاطفة ...

وأخذ الصحب يتجمعون للعب بالورق ، والعقدت سحائب اللفائف ، وطالعتشا الكئوس والاقداح ، تغدو ملاى وتروح فارعة . . .

إِنَّ لَاعْدِطْ هُوْلَاءِ اللاعبين، فلقد اندبجوا فيما بين أيديهم، فأنساهم كل شيء: نظراتُهم مُشْرَعة إلى الورقِ ، كلما تُمهم عاجلة مستطار حونها تارة " في ضحك وتارة في تعبوس ، حركاتُهم آلية ومُهم يوز عون الورق في تمهارة كمهارة الخواة والمهر جين .

إنى لاحسَبُهم قد ُسحر واكسور آكتلك الصور الانيقة الملو"نة التي تُحلَّى ورق اللعب ، صور الملوك عليهم تيجان مُدُّهبة ، والصَّبايا تزدان ُ بالزّهر الناضر ...

ضجر تُ مؤلاء اللاعبين في موقف جدا، فتمضّتُ أتلفّتُ حولى ، لاشغل نفسي بشيء ، فألفّيتُ نشاراً من المجلات ، عَأْقَبِلْتَ أَقْرا ...

ثُمَّة مقالُ تلوح طرافئته، قصة صحنى أمريكى، يصف ما شهيد ف زُورة لإحدى المناطق الالمانية الخاضعة للاحتلال الروسي". إن الصحف للطنب ف الإشادة عا يلق به الروسي ضيفه من كرم و حفارة ...

إنه لكرم يذكر أنا سماحة العربيِّ في كُتبِ الأولين.

أولئك الروسيون أيقيمون مأدّبة الذلك الصحنى الامريكي و من معه في التاسعة صباحاً ، مأدّبة تزخر باللحوم والالبان والاشربة . فلما أكلوا حتى أتخمُوا أخبرُهم ممضيفهم القائد الروسي أنّ ليس هذا إلا تصنيحة و بجالة ، فأما الفطور التام فهو في الحادية عشرة ا

أمامك ساعتان أيتُها المعدة ، لكى تهضمى ما ألقى إليك من لحم ولبن و خر و تُشمرى لما تفجؤ ك به المائدة الجديدة بعد .

لقد مضى اليوم سلسلة من المآدب موصولة الحلقات .
وكان مسلك الحتام عشاء حافلا في الساعة الأولى بعد منتصف الليل ا

أما ألوان الطعام فكثيرة ، لا ينتهى لصحافها عرض . وكانت معارك الطعام تدور على نغتات الموسيق ، ومطايبات الاحاديث .

و مه يفكر منى يهضم ما أكل ليستزيد ؟ ١ وأما المنتصر فيقضى و مه يفكر منى يهضم ما أكل ليستزيد ؟ ١ وأما المنهزم فيقضى و مه يفكر منى ينبلغ بشيء يسكت به سعار الجوع؟ ١ حقا إن و أوربا ، اليوم بحال لمجاعة شاملة ، وإن هذه المجاعة لتتمثل في حرمان المهزوم . . . لتتمثل في حرمان المهزوم . . . التتمثل في خرمان المهزوم . . . الارقام والإحصاء في التعقيب على تلك الضيافة . . . وقد خرج من الحساب بأنه أنفق خمسين في المائة من يو مه آكلا ، و فسدة في وثلاثين في المائة ممقونشاط المائة ممقونشاط المائة ممقونشاط المائة ممقونشاط المائة ممقونشاط المنافة محمد المحددة التي رحل من أجلها في همقونشاط المنافة محمد المنافق من يو مه المحددة التي رحل من أجلها في همقونشاط المائة محمد المحددة التي رحل من أجلها في همقونشاط المنافة من يو مه المحددة التي رحل من أجلها في همقونشاط المنافة المحددة التي رحل من أجلها في همقونشاط المحددة التي رحل من أجلها في همقونشاط المحددة التي رحد المنافة المحدد المحددة التي رحد المنافة المحددة التي رحد المنافقة المحددة التي رحد المنافقة المحددة التي رحد المنافقة المحدد الم

وأنْدَبَهِي مضخمٌ الصوتيقول:

رُكَابُ ، شمروخ ، يستعدّون للسفر .

فالقيتُ بنظرة على الساعة في مِعصمي ، فإذا بها تُبيْلُ السابعة مساء. عَيَّبنا جو فُ و شمروخ ، واعتلى بنا صهوة الرياح يستقبلُ المحيط ، ويتأهّبُ لا جتيازه قلْدُمُ الاريث ولا هدوء ، وكان الصبابُ ما برح مركوماً ، والرّذاذ يداعب رُجاج الطاقات ، ولكن و شمروخ ، مضى يَشْفَق ذلك الحينجاب الثقيل المعيم ، ويسمو إلى آفاق الصفاء والنور .

وإذا بنيا المح تحتينا بساطاً الصع البياض ، كأنه غواربُ موج ، أو بطاح مترامية من جليد لا يُدرك نهايتها الطرَّرْف ، وعلى حواشى السماء يزهُو وشي أُرَّجُوا فَى من صِبغة الشمس في ابنوس المغيب ...

كان و شمروخ ، رشيقاً في طيرانه ، فلبثننا نعبُر المحيط و سكينة وأمان ، وتراخت الاعصاب بمد توتر ، فتهالكت على ذلك المقعد الطيّع ، ، وقد أرد ثنة أن يكون مِهاداً ، فكان .

وَجَذَبِتُ الدِّنَارَ عَلَى رَكَبَى ، وأُسلَمَتُ لَلَمْو مِ جَفَنَى وُسرْعانَ ما استجابَ لَى السبات .

وفى منتصف الحامسة صباحاً ، صحوت من نومى ، فألفينتُ الطائرة على مقربة من مطار « شانون ، نمو شكة على التصويب . كان أو ل صنيع لنا فى مطار « شانون ، أن نصلح من

ساعا تنا ، فتقد منا بها بحواً من ثلاث ساءات ا أنت في رحلات الجو كما تدن ُ أتدان ...

هذه ساعات من حياتنا نخسَرُها اليوم ، وما هي إلا تلك الساعاتُ التي استزدْ ناها يوم ذها بنا إلى العالم الجدايد .

قضينا ساعة في المطار، تناواننا فيها طعام الإفطار، وعدنا إلى الطائرة نستاً نف الإرتحال إلى وباديس ...

وما هَى إلانلاثُ ساعات حتى كنا في مطار عاصمة الفرنسيّين . هانحنُ أُولا. نثوبُ إليكِ يا « باريسٌ ، بعد غيبةِ أربعة أشهر ... فكيف أنت ؟ وما حاليُك الآن؟

لن تكونى إلا محطة استبدال مطيّة بمَطِيّة ، فنصيبُك منا خطراتُ المنعجّلين ، ومرور الكرام!

- 115 - L' - 11-52.

4 ± 1 = 1 = 0

ه أغسطس

اليوم يوم الرحيل عن د باريس ، ...

كنا نحسب أننا سنقضى فيها يوماً أو بعض يوم ، فإذا بها تأسر نا عشرة أيام ثقال ...

أن

11

Y

إنى لأسائلُ نفَّسي الساعة]:

كيف قضيت تلك الأيام؟

لقد كانت مثار إرهاق وإجهاد ، لم تطعّم فيها الراحة [لا غراراً...

جواه أحمق ، كأن به حِنْمة " ، لا قرار له على حال ، فمر"ة " هو تَقْبُظ" مثلهتب ، ورحيناً هو أهــوية "وأمطار .

وهذا الكدُّ بين مكاتب العُملة وشركات الأسفار:

أعصاب متو ترة ، ونفس ثائرة م، و حثيرة في مَو عدِ الرَّحلة ووسيلةِ الانتقال . . . هل نُسافرُ بالقطار ، أو بالطائرة ، أو بالسيارةِ ، أو مشبأ على الاقدام؟

يعلم الله ا

ف تلك الأبام المضطربة التي عشناها ، كان لزاماً علينا

أن نصطنع الحذر الشديد ، والتحيُّـلُ الدائب.

وقد يغدو المراعلي الرغم منه 'مخا تلا" كذُوباً '، فأوضاع ُ الحياة مِثْمَة كلا تعينُ على حق وصد ْق وتصريح ا

إن القميم الأخلاقيّة لتبدو لنا الآن عُريبة الوجه ، لا تلاثمُ مُلابسات العيش ، ومُسوق الحياة ا

هذه القيم تلين ُ وتناوى إزاء ما تقتضيه الحالُ الراهنة في ذلك العهد العجيب... لا طالَ عَهْدَه ا

تبدو لنا ، باویس ، بعد أربعة أشهر ، كما هى ، باریس ، التى مرد نا بها مِن قبل ، إلا ً فيما ندكر من الظواهر ...

ولعلّ مؤتمر السُّلام الذي اختار مقرَّهُ في مباريس، قد أعانَ على أن تظهر المدينة على نحو لا يخلو من بَها.

فلقد تكاثرت سيارات الآجرة ، وعمرت الآندية بالآجانب من أعضاء المؤتمر و و ن إليهم من أعوان وصحفيين و زواد ، فكنشت تلمح في و باريس ، أطيافاً من رو أنها في ماضها البعيد . ورُبّا كان أوضح معالم و باريس ، سوقتها السوداة ، ولكنها اسم على غير مسملى ، فقد احتلت كل مرافق الحياة ، وأصبحت هي السوق الحراة التي لامناص منها لمن يشترى ويبيع 1

هذه السوقُ السوداء تتغلغلُ في كل شيء، وتنشبُ أظفارَ ها في كل مكان، حتى إنها لتتسلل إلى مؤتمر السلام 1 ...

في المجالس الرسمية سوق بيضاة ، 'تتناقلُ فيها الخطبُ والمشاور 'ات'، و 'تتداولُ الآراء ، وليكن بخُطاً يطيئ ، لا تبلغ غاية ، ولا تصيب فدفاً ... فالبضاعة في تلك المجالس الرسمية قليلة ' تافهة ، والعمدلة نادرة' . وليكن خلف هذه السدوق الحرة الجامدة سوداء رائجة البضاعة متوافرة العملة ؛ 'تعقد فيها الصفقات الكبيرة ' من الا تفاقات والمحالفات والخطط والمكايد، على حساب الشعوب التي أُلقيت والمحالفات والخطط والمكايد، الرفيعة ، والمثل الإنسانية ؛ تظل بها لاهية ساهية ا

ف

1

19

30

ويوماً وقع بصرُ نا على صديقنا اللهوذي المخمنور ، وهو على عرشه المتزلز ل ، وارم الأنف؛ فسألناه تجوّلة "في دغابة بولونيا ، ...

إنه مُهوَ هو ؛ في دكتاتور بنه الحمقاء ، يفرض الأجرة كما بشاء ...
وراحت المركبة أنكر كراً بنا في الطريق ...

لم يَـنَــَل مِنجلُ الحرب من , غابة بولونيا ، إلا قليلا قليلا ، ولكن شتّـانَ بين الغابة أمس والغابة اليوم .

كَأُنَّى بِهَا طريحةُ المرضِ ، مجهودةُ الأنفاس ؛ يَعو دُها الناس

جوعاً وفُرَادَى ، فإن نظرة واحدة إلى وجوهم وسماتهم وهماتهم وهيئاتهم لتواحى إلينا بما يكايدُونَه من إقفار وإجداب و عبوس، إنه حقًا لعيراك عنيف ، ذلك الذي يعتلج اليوم في صدور أهل و باريس ، .

إنها لحرب أخرى أشد من الحرب الماضية هو لا ، تشمنها « فرنسا ، على البؤس والفاقة والهزيمة ...

ثمَّة َ ابتسامات مُ تتخايَلُ على الو ُجوه ، ولكنها ابتسامات عِمْلَةِ مُروَّرةُ ، تَفْسِفُ عَنْ هُمُومِ وحسرات ا

بدأ صديقنا الحوذي المحمور يتُحدَّث ويسترسِلُ في الحديث، كأنه أيناجي نفسته ، وكنا على مقاعِدنا وراء، نُصغِيي.

كان يشكو ويتذم ، وينتحلُ المعاذير من دكتاتور يته في المُغالاة في الأجور ، وكأنما يأخذُ علينا استكثار نا لما فرَض من أجر ، على حين أننا لم نساومه في شيء ، ولم نُبْد أقل اعتراض .

إنه ليدافع عن نفسِه ، معاتِباً مرة ، مغلظاً في القول مرة أخرى ...

إنّ روحَ التمردِ تصيعُ في نفسه ، ولكن على أيّ شيء يتمرّ د ؟ (١٦)

أمن أجلنا ، وقد أذعَنَّا لطلَّه ؟

إنّه ليتسخط على الزمن ، على ذلك الصّلاء المتادى . . . يشكو الإضطراب الذي تفشى مرافق البلاد ، منذ أدركها عهد التحر و من احتلال الألمان، ودخلت في ذلك المهدالجديد .. ليت شعرى ، ماذا بريد أن يقول ذلك المأفون ؟ وأيّة فكرة يرى إلها ؟

لقد استرسَلَ في الكلام مُشْتَطا محتد اللهجة ...

إنه لقول جرى لا وا ثمُ الله ا

حسب ذلك المافون أن عهد التحرثرمن ربْقة الالمان م راجع إليه بفيْضٍ من الخيرغزير ، فروَّعه ُ أَلَا ً يتحقق له من ذلك شي. . . .

إنه لا يتورَّعُ عن أنْ يترَّحمَّ على ذلك العهدالسابقِ البغيض. كان فى ذلك العهدِ يملاً كرشكه، و يحصُلُ على النعيذِ بشمَن حاضر، فيطعَمُ هنيئاً، ويشرَّبُ مريئاً.

بَهٰذَا الْقُولِ كَانَ يُثْرُثُ ، والدَّهَدَةُ عَلَيْهِ ، أَخْزَاهُ اللهِ ا لَمْدَ كَانْتَ مُرْكَبَةُ الْآجِرةِ هِي الوسيلةَ الْأُولَى لَـلانتقالِ

الله كانت مر كبه الاجرة هي الوسيلة الاولى لـالانتقال في « باريس ً ، عصر الاحتلال ، وكان سائقتُها « سيد المو قف ، غير منازع ا

لم يكن أمامَـه منافسُ في الميدان ؛ فراحَ يصولُ ويجول، وقد خلاله الجو . فكيف لا يتغنى بمفانِم تلك الآيام ؟ وكيف لا يتبعُها واسِمَ الرحَمات؟

لم يكن الحوذي نفشه هو الذي يتكلم ويتألم ويتندّم ، وإنما كان بطنّه الخاوي هو الذي يَعـوى ...

انسرحت أفكترفيها يقول الرجلُ...
أهكذا تذوبُ الوطنيَّةُ في أتون الاحشاء المتوقد ؟
أهكذا تتحللُ المشكل العالية في قد رالجوع هذا التحلُّل الزَّرِيَّ؟
ليس الدَشرُ جميعاً قد يسين وأصحاب ممثل رفيعة ، فإن الدنيا غوج بتلك الحشرات التي تعيشُ لتاكل ، حتى تنبعيج البُطون اومهما يكن من أمر ، فني حديث هذا الرجل معنى يجب ألاً يكون نصيبه منا النفلة أو الإغفال .

ليس لنا أن نزدَرِيَ فلسفة ُ البُطون.

إن اللقمة لها مكانتُها المرموقة ُ في تاريخ ِ البشرية .

وإنها لن تفقيد مذه المكانة على من الاحقاب والدهور. إنى لارى فلسفة البطون تتدسس لل كل شيء ، وإنى لاراما تدفع بالافراد كما تدفع بالشعوب ... ليس الجوعُ أو حوفُ الجوع وما يتفرَّع عنه من التشهّى والسَّهم والجشع إلا الحِداكَ الاوّل في قيادة الامم وسياسة الدول.

والقد تحوُّ لت تلك الكلمات في معجم الساسة اليوم إلى كانبات: • المجال الحيوى ، و ، المنافذ على البحار الدافئة ، و ، المواقع الاسترانيجية ، و ، حرّية مسالك المياه ، وما إليها

و تفسير مده الكابات الجديدة في معجم الحقائق المستورة مو معيدة م طلوية خاوية تبحدث عما علق ما مقان استلات اشتد كلبها، وتطلبت المزيد ، وكانما تخشى أن يَعَضها اسمار الجوع من يعد ، فهي تتادى في الأكل ، لا فتور ولا و ناء ا

وقد أدرك بعض عقلاء الساسة أثرَ البطون في حكم الشعوب، فاستبدلوا ما لحكمة التليدة :

ر جو ع كلبَك يتبعثك ، .

مَلكُ الحَكمةُ الجديدة :

و أشبع كلبتك يحبُّك ، و أشبع كلبتك عبداً

فَالْحَاكُمُ الْحُصِيفُ الذَّى يُرِيدُ أَنْ يُسْتِطَرُ وَأَنْ يِتَأَمَّرُ وَيَأْمِنَ الْخُرُوجَ وَالْعَصِيانَ ، يَتُوخَى دَاثْمَا إِشْبَاعَ البطون !

فالتُخمة تورث الكسلوالفتوروالتبليد، وليس بعد امتلاء البطون إلا الجمود والجنود، فيخبو الذكاة والحمية ، وتتعطيل الفطنة والتحشس، وتستحب الراحة والدّعة والإستسلام! ولأطاقنة لِبَطين على ثورة ، ولا صيحة لمنتخم وخم ... تركينا ، باريس، لحكوديما يُوازن بين الحر يَّة والرّغيف! وأفلت الطائرة لل وجنيف ، بعد طاير أن ساعة ونصف ساعة ...

رحلة كان مقد را لنا أن يقط مها بنا القطار في عشر ساعات، ولم يكن لنا مبد من أن نمه ضيم ا وقو فاً في عر التو القطاد، مر همين بالرسمام بين كرومات من الامتعة والأناسي الانكاذ نظف مر بكسرة من من جرعة من ماء ا

بُوركَ فيك يانسورَ الجو ، مِن خَلْقِ الإنسانِ ... وإن كانت عَثراتُكُ لا تُقال ا

ه أكثور أي بنتي :

إنى لاكتب إليك مذه الرسالة ، مزمِعاً أن تكون. خاتمة رسائلي إليك من بلاد الغُرُّ بة .

أكتُبُها تُبَيل او بنى إلى أرض الوطن ، فلم يبنق على موعد الارتحال إلا يوم وبعض يوم .

أكتُبُها وأنا في جلسة رخينة بجمّاء مُبحَيد ، ليمان، في «أوشِي، أو بالأحْرَى في «لوزار ، ثلك المدينة التي خطّون ت انت على أديمها مرة طفلا ، وزر تهامرة " اخرى وقد أبفَعْت ، وكان بودى أن تراها وأنت في مُكنت مل رجولتك . .

لمدينة ولوزان ، ولاحمو اتها من المواطن السويسرية مكانُ النقديس من قلى ، فأنا احُجُ إليها أستعيدُ فيها ذكرياتك ، وابتعيثُ أطيافك ...

إنى لأدَعُ نفسى الزمنَ الأطول، في خفو ات طيبة ، سَبَّاحاً في أعماق الماضي ...

في هذه الغفُّوات اراك صيئًا كماكنت واحس وجودك ،

وأ. جك

یل ر جال

وط

2

4

S.

-

واستمع إلى صوتك ، وأجد أنى آخذا بيدك البعثة الغصة ، محاذاً بك المسالك والطرق ، مُطوقاً بك فى المكتبات نختار الكتب لل والك ، وننتق من الرسوم وطوابع البريد الغربية ما يَبهَ حك ، جالساً إليك فى الاندية والمشارب ، نرتب ما جمعنا من كتب وطوابع ، على حين اصنى إلى ثرثرة طفولتيك الحبيبة ، والى فيض أسئلتك الساذ جَة تنفذ قد ها على ا

هنا في كلُّ ركْن منك أثر ، وفي كلُّ مشهد طيف ، وفي

كل نسم نفحة ...

ف ذلك الحانوت دخلت بك أشترى لك أول مرة محلّة الرّجال ا أمام هذه البحيرة جلسنا بوما نتأمّل مفاتن الطبيعة ، المعلمة تعند لل قدم الجبال وترسمتها، لا ترخطي ه منها جبلاً ا على ذلك الجسر العظيم ، تحدّثت اللك أول حديث عن عظمة الإنسان في تطلّعه إلى التحضّر والسَّعْميير ا ماذا أنا الساعة كاتب إليك ؟

إنك لتعلمُ من معالم هذه المواطن وزواياها فوق ما أعلمُ ولقد كنت تجوبُ مع أختَيك من دُروب الجبال وشعابها عالم تضرب فيه قدماى ، وتعتلى معهما هيضاباً بتعذر على مثلى

أَنْ يَعْتَلَمُهَا ، وَطَالِمًا رَكِبُتَ الزَّلا عِنْ تَنْدَفَعُ بِهَا عَلَى مَرَالَقَ الجَلْمِينَ فلا أَسْتَطْبِعُ اللَّحَاقَ بِكَ إلابعد لا ي ا

انت بكل ما في هذه البلاد خبير ...

وإنى إذْ أَتِحدَّثُ إليكَ الساعة في شأنها، وأنا من الرحيلِ قاب قوسين. فإنما هي تَحِلَّة التِمِسُم الأناقلك الحديث في شيء الفُسْنَاهُ جميعاً، فنحن نستعيدُ مرا ثِينَه وذكرياتِه، فكما زنا بجدِّدُ بتلك الاستعادة مرحلة من العيش معاً...

مهما أقل فما أنا بكاشف لك جديداً ، فحديثي مُعَاد ، ولكن قد يتذوَّقُ المرق في بعض الاحاديث المعادة لذة لا تَعْد لِمُالذة الجديد من الحديث ...

لقد سَلَخَتُ من صيني هذا العام شهر يَن في هذا البلد، وتلك فترة ضئيلة لا يقاس بها ما قضيناه هنا معاً في سوالف الصنين ولقد زُر ْتُ مواطن قليلة الا تعد شيئاً مذكوراً بالنسبة للمواطن الني اشترك نَنا في زيارتها في تلك الحقب الحقوالي...

لقد كنَّا نفر لُ هذا البلكة رُوَّاداً سائحين، تتضَرَّمُ بين جنو بنا نوعة الكشنْف والارْ تياد، فلا نح لُ مثابة على نكتنه خفاياها ،

ونعْتَصَر زُوبِدَهَا ، ثُم نَدْعَهَا إِلَى أُخْرَى بِشُوقٍ جَدِيدٍ ، وُطُمُوحٍ اللهِ المُزيدِ ...

أما اليوم فإنى حلَّ بهذا البلد لا لكشف أو ارتياد ، بل لالتمس الدَّعة ، وأتطلَّب التراخي ، وأظفر بسكينة النفس ، وعلمأنينة الاعصاب .

كنتًا فى ، أمريكا ، كأثنا مشدودون إلى طاحون ، ندور حوله ، ولا نفتاً ندور ، فجئنا منا لنقيف ، لنجايس ، لنهدأ ، لننام 1 . . .

At all place to a sale

إذا قلت و سويسرا ، فقل من فورك : بحيرات ورواسي وأدغالا ومسايل ماه ... ما أحفل هذا البلد بمثارى الاستجهام البلد عجيب هذا الوطن السويسرى . بحمع بين روعة القديم ، وفتنة الجديد . تلك ، لوزان ، أقوى رمز لذلك الجمع بين المظهرين .

هنا ُطرق فساح ، تَصَطْفُ على حَفَافِها شوامخ ُ الأبلية ، وتقوم على حواشيها أبهى المتاجر والحوانيت ، تعرض أحدث

الماذج من السلع . . .

وَعَن كَسُبِ مِن هذه الطرق المعبَّدةِ تطا لعك مسالكُ ضيقة "متداخلة ، يفترسُ أديمها باعة " زخرَت سلاً كُلم بالخضروالفاكهة والرياحين ، فكأنك تجوس خلال مدينة من مدن ، أوربا ، في عصور ها الوسطى .

وإن هذه المسالك لتتبرع وتتخذ رينتها الكبرى في الأعياد القومية ، إذ تبدو في تقاليد ها المنوار ثة حاشدة بالناس في أزيائهم الوطنية ، وقد محجبت فيها السماد عن ناظريك بالاعلام الملوتة التي تمشل شمار الولايات . . .

وأنت حين ترجع البصر بين هذه الاسواق الشعبية وبين على المتاجر العصرية تراك تؤثر شراء سِلَعِك من هذه الاسواق، مأخوذاً بما لها من سذاجة ، وبما تشفحه من عطر العصور السوالف!

هذا المبنى الآثرى المتواضع بحتفظ بعير ته وجلاله إذا قلك الصّر ح المُمرد من نِتاج المدينة الحديثة . وقد تتأمّل جسراً عظيما وليد الحاضر القريب ، مبهوراً بما له من عظمة وروعة ، فيأخذ بصرك دونه جسر آخر يز حُمه ، جسر عتيق ترادفت عليه مشُون من السنين ، فتحس بأنك مشغول الحاط مقيد الناظر به عن ذلك الجسر الحديث العظيم ، ترى في طراز صنعه والتواء جوانبه وما حلييت به جدرا به مزته وخلابته .. والقوم وزخار في بهيدة ضر بأ من العظمة له ميز ته وخلابته .. والقوم منالك لا يحدون في الإبقاء على مثل هذا الجسر تشويم المتناشق العثمراني ، بل يلتمسون من وجود ه وسيلة من وسائل التجميل العثمراني ، بل يلتمسون من وجود ه وسيلة من وسائل التجميل المتحديد المناسق المناسق وسائل التجميل ...

قلب السويسري تتنازعه عاطفتان قو يَتَان :

الانس ُ بالماضي ، والتشبُّث ُ بمعالِمه ما وَسِعَتْه الحيلة . ومتابعة الرقِيِّ والتحشُّر في ُخطأ سِرَاعٍ. وإنهما لعاطفتان تتكاملان في نفسيّة الامّية السويسرية، وتتجليان في وضّع النهار، فهما للسويسري قوامُ الحياة وأساسُ الوجود ا

زلنا و سويسرا ، فكأننا حلكنا جَنَّـة و هراء تحُف بها السنة "من لهيب ...

حول و سويسرا، خرائبُ أشتات ... خرائب في الابنية ، في الابنية ، في الأسواق ، في الأوضاع ... في النفوس الوقدار بدأ تتلاعب مصابر الدُّول ، كما تتلاعب م

عصاير الأناسي ...

لم يكن تحالاً أن تفدو ، سويسرا ، و قُوداً للحرب ، فتُمسي تطعمه الله الدول فتُمسي تطعمه الله المخراب ، كاكان شأن جاراتها من الدول الأوربية ولكن يد الاقدار ارتفعت تُجنبها ويُلات الحرب والحراب ، فتفيهات وحدها ظلال السلام ا

هو القدّر لا عاصم عمير ولا دافع ، فحل عنك حيلة السياسة ، ومحدّة الكفاح ، وما تمز يسنه العقول من أسساب للهزيمة أو للأنتصار ا

إن « سويسرا ، بلد طريف حقيًا .

. طريف محددا البلد في مصايفيه و بمشاتيه التي يتودّد لها الناس من أقطار الأرض جميعا. . في مشاتيه تمشيّع بمسارخ الثلوج، وفي مصايفيه تبهيج بالفابات والبحيرات.

طريف هذا البلد في ضآلتيه مساحة وعدد سكان ... فهذه العششُولة قد تقيف بجانب أعظم الدُّول شأنا وأكبر ها خطراً تساميها وتُطاو لها، حتى تبلغ ما تصبو إليه من معاملة الند للنسد طريف هذا البلد في نظميه السياسية ، فلقد ابتدع لنفسيه وضعاً من أوضاع الحكم الديمُ قشراطي الاصيل ، كلما تراخي به الدمن تماسك وتو ثمَّق ...

طريف هدا البلد في فلسفته السياسية ، وفَهُميه للسعادة الاجتماعية بمعناها الحق ، فهو دليل ساطع على أن كل بلد في مُكشَنَيه أن يعيش رخيًا هائماً بموارده الطبيعية في محدوده الأصلية ، ما دام له تفطئن وذكاء وعبقرية في استغلال تلك الموارد ، وما دام أهلوه قوى عاملة تؤدى الواجب العام وهو برهان دامغ على فساد نظرية ، المجال الحيوى و والتوسشع الإمبراطوري ، وهو حجة قائمة تشبيت أن الامة بمكن أن تعشلي تعيش حرة مو فورة الكرامة ملحوظة المكانة ، دون أن تعشلي تعيش حرة مو فورة الكرامة ملحوظة المكانة ، دون أن تعشلي تعيش حرة مو فورة الكرامة ملحوظة المكانة ، دون أن تعشلي تعيش حرة مو فورة الكرامة ملحوظة المكانة ، دون أن تعشلي تعيش حرة مو فورة الكرامة ملحوظة المكانة ، دون أن تعشلي الم

ظهورَ أمم أخرى لتطييلَ قامتها بعواملَ مصنوعة متكلّفة ، وتستطيع أن تُشبيعَ نَهُمها دون أن تنتزعَ من الامم الاخرى ما بين يديها من لُقيهات ١

لا يتطلَّعُ السويسرى إلى شبر من أدض غيره، ولا أيعنتى نفسه بمشكلات آبار البترول والمضايق والمسالك البتحريّة والنعمط العسكرية. فهو رافه النفس، ناعم البال، داخل حدوده . وإن طمَح إلى شيء فطمُو على حير الوجوه، وأساس من نشاطه، والانتفاع بموارده على خير الوجوه، وأساس اقتصاده هو تبادل المنفعة دون جور أو اعدتساف.

إننا لنجد ، الوطنية ، تحظى أولَ مرة فى هذا البلد بمعنى جليل غير معناها الشائع ، فإن السويسرى ليرى أن الوطنية قد تنشأ و تستفحل و تتوقد درن أن تر تكين إلى اتحاد فى اللغة أو الدن أو الثقافة أو نزعات الشعوب ...

هذه د سويسرا ، مناطق ثلاثاً أصلية :

منطقة المانية وثانية فرنسية ، أماالثالثة الآخرى فإيطالية للكل منها كيانها الذاخلي ، وخصائصها القومية ، من عقلية وثقافة ونشاط اجتماعي . ولكنها تتجمع أمة واحدة ووطناً فرداً وراء الحدود السويسرية ا

يحق لنا أن تنساءل :

ما هي ممقوًّ مات الوطن على وجه التحقيق؟

تعَدُّ اللَّمَةُ والدينُ والثقافة ُ والدم ، وما إليها من عوا مل _ جغرافية واجتماعية واقتصادية ـ مقومات للوطنيَّة .

ولكن ثمة عامل أصبل هو رُوح تلك المقومات، ذلك هو عامل المنفعة ، اتحاد المصالح ، توافق الاهداف ، تلاقى المشاعر ...

قد تختلف فئة من الناس أجناساً وأدياناً ولغات فإذا هم قد جمعت بينهم الاقدار في رقعة من الارض ، واضطرتهم ملا بسات العيش أن يحيوا في هذه الرقعة مجتمعي الشمال، فاستقر بهم هنالك المقام : وراحوا يتظاهرون على إسعاد مجتمعهم وحياطته من المتالف والاخطار ، فتوثقت بينهم روابط العمل في سبيل المصلحة المشتركة ، والهدف الواخد فكالم تشابك ت المصلحة وعظام الهدف اشتدت وشائح الاتحاد .

وإن ما يخشُّو نه من خطر خارجيّ داهم ليؤلُّف بين قلوبهم

و يحلنهم 'بنياناً مرصوصاً تجاه ذلك الخطر ، إذ يستشعرون أنهم سواسية فيما يكون لهم من نفع ، أو ما ينو بهم من الضرّاء.

وليس عسيراً أن تبين هذه الظاهرة جليسة فأصغر المجتمعات عدد أنفس فأنت على ظهر الباخرة فوق العُباب ، وقد أخذت بك الباخرة ثنأى عن الشاطىء ، وتضر بُ فى الأثباج ، تحس من فو د ك عاطفة ألفة وترا بط بينك وبين رُفقة السفر ، على الرَّغم عما يكون من تعامير في اللغة والجنس والدِّين والبلد.

ذلك لأن مصلحة مشتركة نشأت بينك وبين رُفَقتِك، ولأن هدَفا واحداً قد أصبح نـُصْب أعينكم جميعاً، هو الوصول إلى البر في أمـن وسلام.

وإذن فتلك الباخرة وطن وقنى لك تحيا فيهمع ممواطنيك بضعة أيام، وما تُشعور ُكَ آنشذ إلا وطنية عارضة تجنّد لها ما تمثلك من يقظة واهتمام.

فإذا جازت بك باخرة "أخرى أحسست أنها وطن غريب عنك ، أيو وى مواطنين لا يعنيك من أمرهم إلا تعلاقات المجاملة و حسن الجواد ، وربما كان في رُفقة تلك الباخرة الاخرى

من هم أقرب اليك رحماً وأوثق بك صلات من و فقتك فى عا خرتك التي تحملك .

فالوطنية الحقيَّة ُ بِذُرتها عامل المنفعة وتوحُّد الاهداف. وعلى مرَّ الايامِ تنشأ حول هذا العامل عاطفة الالثّفة التي هي التعوُّد. وكلما تراخي بها الزمن ازدادت رُسوخاً في النفس، وصادفت هوًى في الفؤاد. فإنك تألف المكان لا عثياد كاياه، ومن ثمَّ تحو طه بإعراز وإجلال.

ولا مِرْية أن أثر التعوُّد في النفس البشرية أثرُ مُوي مالغ الخطر، فهذه النفسُ بَلد لها أن تركن بالتعوُّد إلى الاشياء مادية كانت أو معنوية ، وذلك الركونُ مبْعثه الطُّما نينة والثقة ، لان في مواجهة الجديد معامرة معجّبة المصير، تبعّث في النفس مشاعر الحذار والرَّهْبة والانكاش.

ليست الآلفة 'مقصورة على الاحياءِ ، فإننا لنألف من الماد يَّات توافِه لا 'يُؤْ به ُ لها ، فنحسُّ وجودها ، ونحيا معها ، ونأنسُ بها ،كائنُ لها رُوحاً 'يبادلُنا الانسُ والحياة .

ألم تقف مرة المام عشير لك من قلم أو دمية أو ثوب (١٧)

اضطررت إلى التخلَّى عنه ، وقَنْفَة أُمُورُدُّع مِحْرُونَ القلب يشيع ً" في أوصاله أسف ُ لذًاع؟

الست تجد نفسك كا ثلث تودّع عزيزاً عليك لا تبخل عليه بقبلة حرى ، أو نظرة حسّرى ،

هى خطرات منحكوم في الرأس ، وأنا جالس جلسى المتراخية ، ممشر فأ على حيرة و ليمان ، أنطلنع لل ذلك المشهد الحلا ب الذي يتألد أن العيني تحت أشعد الشمس ، وأرى القرى تتناثر على الشياطي ممتدة أفى مصعود ها على سفوح الجمال ، تكتشفها المروج والغابات ...

the second of the last of the

> هى فى برَ اكبر الشرق غيرُ ها فى و هج الظهيرة . وهى فى ذلك الو هج غيرها فى فنزة الأصيل .

وكا نما هي تُخلَـق خَـلما جديداً حين تنسد ل أستار الظلام، أو تتكاثف أطباق الغـَـيم والضباب.

ليست البُحيرة إلا لوحاً فنه يّا رائعاً يتجدّدُ في كل وقت ، فإذا صفا الجوّ ، وسطعت الشمس قوية الشعاع ، وصحَت السياه صافية الزُّرقة ، لاتشو بها مُرقعة من السّحب ، برزَت لك الجبال جلسة المعالم ، ناطقة الملامح ، كأنك تشهدُ ها خلف جهر ، وتو ضحت لك الألوان بيرة مشرقة . فهذه مُخضرة تناضرة ودلك مسقع قاحل ناق الصخور والاحجار، وتلك قنه المجيّة ناصعة .

ودونك صفحة المام ملتمعة الناظر يك كمير آة مص تمولة بجلونة ، تهتز صفحة ابين الحين والحين تحت الشمس الساطعة ، كأنها حسناه متجردة "تهتر خفراً واستيحياة إذ يباغتها ضو الاكشاف! إن صورة البحيرة في هنده الحالة على صورة "للشفور والوضو ح في أجلى مظاهره ...

فإذا تلفَّعت السماء بغبو مِهَا ، وتهاوت السحُب على هام الجبال تدخفي قممها ، وشح الضوء ، وشاعت في الجو سارية من الخبال تحميل معها الغموض والخفاء ، الفيّت صورة البحيرة قد شحُبَت ألوانها ، وغشية ما وحشة ورهبة وانقباض .

امواج رجراجة تعلنو وتهبيط عليها عبرة ، وجبال قد اختلطت معالِمها لا تدوى أمور قة الجنسات هي أمما حلة تجدباء؟ وقد يخط الظلام على هذا المشهد فإذا الرهبة تتثاقل ، فتنحس كان الادغال قد عمرت بأساطيرها القديمة وراحت تعبيب الهبو لات والاشساخ ، من العاليق والاقرام . وترى صفحة الماء كانها عمست بسفائين الاقدمين تشتبيك في حرب وقتال . وإذا بشبح ، وليم تل ، المرهوب ذي اللحية الكثة والشعر المسترسل يروح ويجي أساحاً في الجو بقامته المبسوطة ، متنكباً المسترسل يروح ويجي أساحاً في الجو بقامته المبسوطة ، متنكباً

قوسَه التّليدة ، وقد دوت من حوله الآناشِيدُ الوطنيّة مُ دُخاناً يعقيدُ سحائبَه في الآفاقي ...

وثمنة صورة الله أخرى لتلك البحثيرة، هي مِزاجُ من الصور تين السالفتين ، مزاجُ من الوضوح والخفاء ... شمسُ ساطعة تحس حرارتها وقوة ضويها ، ورقيق من الضباب تكسو غلالته مَسْرح النظر . فأنت ترمى بعينيك كأنك تشمر من وراء مِنْ ظار علا ه الغبار ... فالبحيرة قبالتك لا تستبين لها معالم في ذلك الفيض المختلط من السنا والضباب . والما معالم في ذلك الفيض المختلط من السنا والضباب . والما معالم تتراقص أقوار ب هي حقاً أم ظلال هائمة شوار د ؟ فأما الشاطيء وما دونكه من جبال وأدغال ، ومن صخور ومروج ، فقد امن حراد من ورايات خاف تلك الفيلالة البيضاء ، حتى إنك التتوقيم ألا شاطيء ثم ولا أصفاع ا

إنك وأنت آخذ مجايسك تُجَاه البحيرة كليوم لا تستشعر فضجراً ولا ملالة ، لأنك تُجاه ألواح رائعة تتجدد ، أوه فلمه سينها في للطبيعة الحية تتوالى مناظر ، في بها و ورواه .

وليست فتنتة هده البُحيرة بقصورة على ما يحبُوها به

الجوَّ وما تنفحُها به الساء ، ولمنا هي فاتنة " بسكانِها السَّادَةِ وأهلِيها الكرام . . .

وما أعنى بهؤلام الشكان إخوا نشا بنى آدم المقيمين فى الله المنطقة ، وإنما عنيت جماعة الإوز .. إنها صاحبة السلطان المطلق فى تلك البحيرة . وقد عرفت البحيرة بدلك الإوز منذ الغابر البعيد ، فأصبح لها طابعاً أصيلاً لا يتم رسمها إلا به ، فهو دائماً يوشيها ويتو بجها ويجذب إليها أنظار المعجبين .

بسبتح ذلك الإوز ورافات وفرادى على مَن المام، أو يدرُر على مَن المام، أو يدرُرج على الشاطىء مُهادى المشبة في رقة ووداعة. وإنه إذ يلمتحك ليُسارعُ إلى أنْ يحيينك من بعيد أوقريب تحيية فضُولى منطراف يتطلب إلى ما تجود به عليه من لـُقيمات ا

وهو يتفطّنُ إلى مواقِيت النزهةِ ، ومواعيّد إقبال الناسِ على البحيرة . فيوزِّع أسرابه فثات تتقاسمُ جوانب الشاطى ، وتستقبل الزوار بأ ناشيد الحفاوة والترحاب .

وأنت ترى هذه الأسراب تشرئب بمناقيرها ، وتدف المحترب بمناقيرها ، وتدف المحترب بمجتبك وإيناستك بما تثبديه من الاعيب ومعابثات ، ثم إذا بها تقبل عليك بعد قليل تنقاضاك

الاجر والجزاء ، فتُلق إليها القيماتك ، فلا تفتّنا تلتقمها في مهارة ونشاط ...

كدلك لا يُخطى الإوز معرفة المواعيد التي تتنقل فيها البواخر ، فتراه يتأهب لتوديعها في منصرفها يؤدل لها تحية التوديع ، فإذا تحركت باخرة "الفيئت سر"با من الإوز قدأ حاط بها إحاطة كو كبة الفيرسان بالمواكب الفخام ، ولا يزال متابعاً للهاخرة وقتاً حتى ينال مكافأة الحفاوة وممقابلة الجميل بالجيل... فير ثد إلى قواعده تشيع فيه العبطة والمراح ا

سجّل هذا الإوزُّ لنفسه مُوقِفاً مشهوداً في الحرب العالمية الماضية ، وسَينْسي السويسر يُون كثيراً من مواقف تلك الحرب ولكنهم لن ينسّوُا ذلك المرقب الطريف المرتب الدهر ...

يمول هذا الإوز في جانب كبير من عيشه على ما تفدمه الله الحكومة من الزاد ، وما يبذ له اله الزوار من عطايا الحنب . وكان بديها أن تشغل الحكومة عن ذلك الإوز إليان بسنى الحرب ، إيثاراً للأدمية عن عما تستطيع الحصول عليه

فَابْتَلَى َ الْإِوَرُ بَمِحْنَةَ عَسَرَاهُ ، ولم تعد صِغَارِ السَمَكُ تَكَفَيْهِ قُوتًا ، وربحا أحس هذا السَمك أنه أصبح الطعام الوحيد للإوز ، فأمنعن في الفرار والاختباء ، نجام بنفسه من الهلاك ...

فاشندًت الضائقة بالإوز ، وتوالت عليه أيام صعاب ، وطال انتظاره على الشواطى. يتلمس ما كان ميلتي إليه من اللقيمات دون جد وك ا

فاجتمع بعضه إلى بعض يتشاكى سعار الجوع ولهب السنّفب؛ ولم يحد بُدًا من أن يأتمر تو سلا للخلاص . فأجمع أمر و أخيراً على أن يخرُج في مظاهرة ثائرة ببعلن فيها مطالبة . وما هي إلا أن رأى سكان مدينة وأوشى، تجمع الإوز يفادر البحيرة، وقد تقد مه قائد مهيب ، متخذاً سبيله في الطريق المعام ، مرتباً صفوفه على نسق يحسده عليه الإنسان ، وهو يشي في تؤدة ووقار ، ويحار بصوته يناشد النساس عد لا وإنصافاً ا

وتابع الإوز سيره ... ولكن إلى أين ؟
أكان يعرف له وجهة سير ، وخُطَّة مطاف؟
وإلى من يتوجّه بالظنُّلامة والشكاة ؟
لوعُلنَّم الإنسان منطق الطير وأونى معجرة «سلمان » لا ش تبك مع هذا الإوز في مرافعة ودفاع ، وجعل يفاوضه وينا قله الحديث ، حتى ينفضي الامر إلى سلام ووفاق الولي ولكن الإنسان الغشوم استطال بسطو ته وقو ته ، فشهر على الإوز السلاح الذي كان طابع التفاهم الدولي في ذلك الوقت ، فرده ألى مغارقه ، يشكو البغي والحرمان ا

ليست البحيرة 'أثمن شيء في المواطن السدويسرية ، فشمة الجبل : تا مجها الذهبي ، وهو ثروة ضخمة لهذا البلد لا تعديما ثروة " اخرى ، هو ثروة طبيعية لا تتمثيل في معادن نفيسة ، أو و قود منشود . فالجبل هناك كنز عير مستور ، غير مقصور على إنسان دون إنسان .

إنه ثروة شائعة لكلّ من يُريد الانتفاع بها ...

ولقد حبّت الطبيعة ، سريسرا، بهذا الجبل متفرّدا بحماله ، متميزاً بما بحويه من أشتات المُنتع ...

ولم يعزب عن السويسري ما في الجبل من ذخائر ، فنشط يستخلّم التم استغلال ولذلك ترى الجبل قد عملت فيه يد التجميل ما شاء ت لها العبقرية أن تعمل ، فيدا مسرحاً لمختلف ضروب الرياضة والآلعاب الملائمة لفصول السنية على تنوعها : طرق معبدة ، ووسائل انتقال منظمة على أحدث طراز، وتيسير "أكل تبسير لقسلتى القمم ، والأنزلاق على الجليب د ، والتنز" ه في الغابات ، والإقامة في مراقي الجبل وفق مطالب الاستشفاء .

فلا غزو أن ترى الجبل السويسريُّ نعـُب الأعين من

أقطار العالم المسكون ، يلوذ به طلا ّب المُ تبعة والرياضة والصحة من كلّ موطن وجنس .

ولا مِرْية أن من أرْوع المهرجانات وأبر عما ذلك المهرجان الجليدى الذي يتبارى فيه المنزلقون بالمزالج، يتحد رون من القمم السامِقة إلى السفوح الدُّنيا، تحسبهم جنا قد انفرجت عنهم أبراج الساء، فتدف قوا عر ون لا تكاد تقيد هم الابصار .

وإننا لنذكرُ ما وصف به ، امرؤ القيْس ، حصانه في قوله : مِكرَ مِفرَ مَقْبِلِ مُندُ بر معاً

كَجُهُ السيل من عل

فنسا ثلُ أنفسنا: لوكان، امرؤ القيس، قد نسيد أحد هذه المهرجانات، فبأى شيء كان يشبه أولئك الجن من الآدميين وهم في هويم من حالق، أعدى من الربيح، وأسرع من وثبات الخيال ١٤...

لقد كان كسب ، سويسرا ، من جبّلها ، وهي قابعة من تخط حدودها ، والم تشره عينها إلى سواها ، أضعاف ماتحاول أن تكسبه الدول بقوافل التجارة وأساطيل الاستعهاد.

ولهذا الجبل كبيرُ الأثرَ في حياةِ أهله ، فقد طبعهُ مطابعه. وليست قسمات السويسري وشيَمهُ إلا مستمدّة عا للجبل مِن قسمات وشيم...

السّويسرى بشرة مشدودة معروقة ، محيّة سابغة ، قامّة صلبة ، مشيّة مغزنة تدل على ثبات و ثقة ، فأمّا شيمَـته فهي الصراحة والجدّ والاستقامة . . .

هذا السّويسرى أظهَـر الغربيين سخاءً نفس ، وكرَم ضيافة. ولعله يحسّ أنّ حياته موصولة " بالـُنزَ لاهِ والفرباء ، وأن لهَ مِن أُلفتهم إياهُ مغنما جديراً بالرعاية والحرّص ا

أولئك السويسريون لا يحفيلون برُخرف أو تنميق، فرجالهم ونساؤهم يبدون في ثياب عليها طابعُ السّداجة والاحتشام. وجمالُ المرأة السرية هو على وجه عام منحّة الطبيعة، وصبغة الحلقة ، لا يد فيه للصّنعة ووسائل التجميل ...

فهـى تسـتمد مفاتن النَّـضرة والوسامة من وَفَرَةِ الصحَّة وفو دة النشاط . شيئان في « سوبسرا ، يتماثلاً عظمة وقوة آثر ، وإن اختُلفا في الضخامة والكير .

الأوس ضخم بعيد الأطراف، مديدُ الأكناف، يكل في جنَباته البصَرُ الحديد؛ والآخر ضيْبيلُ دقيق لا تكادُ تراهُ وإنْ أنعمْتَ النَّظرَ...

فى الأوّل تتجلى الطبيعة 'سَهْلة مَّهْ سُورَة ، وفي الآخر تتمثّل عبقرية ' الصّنعَـة في التركيب والتعْقيد .

حياة ُ الأوّلِ الطلاق وانسِراح لا حدودَ ولا قُـيود ، وحياة الآخرِ نظام مرسوم في دقّة وضبْط وإحكام .

الأوَّلُ : هو الجبل .

والآخر: هو السّاعة.

« سويسرا ، منكذ الغابر البعيد مو طن الساعات ...

تطالعك السَّاعة ُ أينها مِر ْتَ ، مُخْلِفَة الْأَلُوانِ ، مُتَباينة َ الْاشكالِ ، لا تكاد تُحصيها أنواعاً وأفانينَ ١ ...

وإن وجْمهات المتاجر والمخاز نالتز ْخَرْم بها، وإن دقًّا تهاالعالية

لتطرق سمُعك . رقد تجاوبَت جا ذرا الأبراج في الميادين والسَّاحات ، فكأنها تنبادل التَّحايا والمناجاة ...

أنت في أي وقت بصير بوقتك ، تعرف بتلك الدقات التي تبلغ مسامعاك كل ربع ساعة ، مصاحبة الك طول النهار ، ساهرة عليك آناء اللهل ، لا تُدعك حيث كنت ا

إنها لتنفُذ إلى تخدِّك ، وأنت أرق ، تُـوُ نُـُـك، وتر جي لك اللَّيل البطييء الكسول ...

وربما جلست إلى الـُبحير ق غافِى البالِ ، فإذا بتلك الرفيقةِ تسائِلك على استحباءٍ في أنغامها الرُّقاقِ :

> أعلى موعد أنتَ عَفْلَلْت عنه ؟ أحان وقتُ الطعام وأنت عنه لا ً ه ؟

أطالت جلتنك في مكانِك، وآنَ لك أن تستمتِع في بقيّة بو مِك بـنز همة أخرى ؟

ليت شعري، أكانت ، سويسرا ، منزِلَ الوحى ، لشوقى ، ف بيتِه الحالد :

دقيًّاتُ قلب المرءِ قائلة "له إنَّ الحياة وقائق وثورًان ؟

وإنك لنجوز بالمسالك والدفروب ، فإذا بالساعة تواجهك في كل ناحية وركن ...

وقد ُيعْسِيك في إحدَى القرَّى أن تجد مطعم تنبلتغُ فيه بشيء من الزَّاد، ولكنك لن تفقيدَ الساعة َ ما خطوَّتَ ١

لقد كان لاهتمام السويسرى بصنع الساعة ، وإقباله عليها ، وتفنيشه فيها ، أثر بالغ في حياته . . . فقد أشربت خلال الدقة والمثابرة والجلد والنظام والاتساق .

فالسويسرى يعيش حياة الساعة ، ولست تغلو إن قلت: إن السوبسرى ساعة آدمية ... ساعة سويسر ية! نحن اليوم في «سويسزا، تدق لنا فيها ساعة وداع ، ويتعين بها وقت رحيل ...

۷ اکتوبر أی بنی:

أَبَـقِـىَ شَيْءٌ أَناجِيكَ به فى شأنِ تلك الرحلةِ التى نايـت جا عن الوطن ستة أشهُـر؟

ثمَّة أشياء كثيرة جديرة "أن يجري بها القلم ...

لقد كان هـ ذا القلمُ سَهْلَ المقادة وثَّنَابَ الخُيُطا في مضمار الصحائف ، وأنا ذاهب عن الوطن ، فما باله اليوم يَعْمُقَّني ، وأنا في يوم المآب ، فلا أجد منه إسلاساً ولا طواعية ؟ ١ والا أحداث ؟

ألم ننز عج عن فراشنا في حضن و جنيف والساعة تدق دقتها الثانية بعد منتصف اللبل، لكي أنعيد العُدة للرحيل؟ ألم نرض أنفُسنا على فضيلة الصبر والانتظار في المطار، قبيل نهوض الطائرة، كما حدث من قبل في المطارات الآخرى؟ ألم نلبث في الطائرة اثنتي عشرة ساعة يين و جنيف ، و و القاهرة ، ؟

ألم تكن منه الساعات المتطاولة عامرة بالأحداث

والمشاهد والصور ، بين تُعلو وهبوط ، ويُط وإسراع ، ووقفات في مختلف المطارات كتنقل الطير من فنن إلى فنن ؟ الله علي فلا الملاحظة والوصف والتعقيب ؟

رُب قلم جمد في يد الكانب لا يدرى لجموده سبباً . فإنْ راح يتفحّصُ سننهُ ومدادَه لم يَر بنه منهما شيء ..

رُب كاتب برى صدرَه جيّاشاً بالعواطف والإحساسات والموضوعات، ولكنه مع ذلك يظل عييًّا محصوراً، كائن عائقاً مستوراً يسدُد عليه منافِذ الإفصاح ...

القلب البشرى شأنه كشأن ذلك القلم ، بينا هو خفاق يستقبل الدم ويرسله في حرارة وقوة ، إذا به يُحِس عجزاً عن مزاولة مهمتيه ، فيحتبس للدم عن مجراه ، لما قد يكون من عقبة في الطريق ، أو تقلص في الأوثر دة ، وبظل القلب مضطرباً حيران يتساءل عن سر هذا الإنقلاب ا

نعن مقبلون على أدض الوطن بعد غياب طال ...

ستكتحلُ أعيننا بعد ساعات عرأى وجوه الاحياء من ذوي الهربي، وأطياف الراحلين الاعراً الله ...

ماذا أستطيعُ أن أجتلِيَ من المشاهد والاحداثِ التي تدور وحولى خلال هذه الساعاتِ المطويَّة ، وأنا معقودُ الناظرِ بأشتاتِ من ذِكْرَباتِ أثارَ ثائرتها في نفسي شعورُ النُّقدوم إلى معاجد الذكريات ...

أنَّ لنفسى أن تستجيب لما يكتنفى من الأحداث والمر ثيّات، وأنا حاضر بجسدى وحدّه، على حين أنَّ روحي هائمة شرود تسبق الطائرة وتتعجل الوصول إلى غاية الطريق؟

في هذه الساعات الاثنتي عشرة تقليّبَت بنا الاجوالم بين اطباق السهاء ، وتعاقبت علينا أنسام مختلفة "أيّا اختلاف ، ولكني على الوغم من تقليّب الاجواء وتعاقب الانسام ظللت لا أستنشى إلا جواً واحداً ونسيما واحداً ، ما أطيب شداه ، وما أكرتم ريّاه ، ينفذ إلى مسويداه القلب ...

ذلك هو نسيم و مصر ، ، عطر الوطن ا

ولكن مالى وقد رحلنا عن د أتينا ، واقتحمُـنا سماء بحر الروم ، واتجهُـنا صَوْب وادى النيل ، أحس وحشة عريبة تجبب دفعة واحدة منجوف ذلك الفسقالذىنشهُق أستاره ؟ لها وحشة مغريبة يختلِط فها السرور علا سَى، واللذة بالألم َــ أفصرح أيها القلبُ عما بك الساعة ! إنك لمُنْفَدَلُ بالمشاعر الغامضة المهَدة ... إنك لمختفِق ... إنك لختفون تتمزق ...

لا يسعفك في ضيقتك إلا ساكِبُ الدمع. ولكن أن عَوْ ثه وغيثُه؟ ما برحَ النَّبْعُ غائراً غائضاً لا ينضحُ ولا يبضً ا الطائرة تدف .

والفسق يحتلك.

والفلب يزداد من وحشة وضيقة وانقيباض ا

٨أبريل

أى بنى :

هأنذا أرجعُ الساعة إلى دارى ، بعد أن وقفتُ على قبرك، وطو نت بمزارك...

أرجع ُ لآخُـط ۗ إليك كلمات عِجالاً ، هي أخرى كلماتي إليك ف هذه الرسائل ...

كانت ليلتي الماضية ليلة عافلة حائرة ، ليلة قليقة أرقة .
لم نكد نبارح الطائرة ، ونخطو بواكير خطانا على ثرى الوطن ، حتى طالعت وجوه عزيزة خفت للقائنا . وكانت فرحة شجاوبت بها القلوب كما تجاوبت الألسس بعبارات التحية والترحاب

وبدًا من بين تلك الوُّجوهِ وجهُ محبّبُ يتدانى إلينا ، ويهتفُ با سمينا.

أنه وجه عزيزنا الصغير (١) الذي لم يعزب عن ذاكر تنا لحظة واحدة خلال تلك الغيبة الممدودة ...

⁽١) يعنى الكاتب ابن بنته

وإذا بهذا الوجه الصغير يعظُم حتى ليصبح تُشفُـلنا الأكبر ، لا نرى أحداً دونه .

ظلِلْناوقتاً فى ضجّة من الحديث ، و َهَيْجة من المشاعر ... وبينها نحنُ فى هذه الصّجة والهيجة ، إذ بشيء يستيقيظُ فى قَرَارة نفسى ، وإذْ بى أتلفتتُ حولِى باحثاً عن شخص ...

وجعلتُ أُحِدٌ بصرى ، بل أُحد بصيرَ تى . أَتحسس وجودَهُ ... ولكنني لم أعثرُ عليه ، فغشييَتُ عاشِيَةُ من التحسّر والتفجّع .

لم لا أجدُك يا ُبنى تستقبلُنى كما وجدتـك معى تودعنى يوم الرحيل؟

أَعَدَ تُكُ عَنِ الْحَضُورِ عَوَ ادْ ؟

اليس لعادية أن تعدُّوكَ عن التصر فحيثُ تشاءً ، فأنت اليوم رَب معجزات تقيْصُرُ دونها طاقات الاحياء التافهين من بني البَشر ...

ليس ثمَّة من سلطان عليك التلك المظاهر من زمان ومكان وصعاب مادّية ودُنْيُويَّـة ا

لقد أختلَق الإنسانُ الحيّ هذه المظاهرَ ، لَـكَنْ يُوازنَ بِهَا وَيَقَا بِسَ ، ولَـكَى بِعِبَّـد طريقَ المعاشِ والتقلّبِ فيجنبات الارض.

إنك لنحيا فى العالم الا بَدِى السرمدِى ، حيث لاحاجة الروح إلى قُيودٍ من زمان ومكان ، فهى تشييعُ فى الفَضاءِ المطْلَقَ مُشيوعَ الضوء السّيار .

ما بالك يا بني تتخلف عن استقبالي ، وقد كنت آملاً أن أحس مَقدَمَك في تلك اللحظات ؟

أكبرُ الظن أنك آثر ت التخلف إشفاقاً علينا من أن تشيرَ بو جودك أشجاناً يضطرم بها القلبُ في ساعة الفر حة بليقاء الاحباب من الاحياء!

لقد كبرت نفسُك أن زاحِمَ هذا الصغير الحبَّب في خفسته وسَعيه ، فتركث له الميْدان أيبر"ز فيه ا

على أنى ما كِدُتُ آخُدُ سبيل إلى المنزل ، حتى هتَفَ بى ها يَفُ كأنه يضرب لى موعدزَوْرةٍ ، ويو ّجهنى وجُمهة َ لِقاء ا

وهأنذا يائبني قصد تُكُ ، دخلت خاشِماً فى ذلك المزار الاعز ، وتجنوت أعفر جبتى بترابك المطهر ، وإذا انت تترامى لى كما كنت دائما ، وضاح الحبا ، تتلألا فى عينيك فورة النفتو ق والشباب ا

أَقْبَلَتَ تَضرِبُ الارضِ بخُطاكُ في ثقة واطمئنان ، أقبلت

تأخذ مبدى تُنْهُصُنى، ثم انتحيْت َ بى ناحية علستَ فيها إلى، أحد قُ فيكُ وتحدَّقُ في ...

ايس المقيّامُ مقامَ كلام ، إنه مقامُ السكونِ والصمتِ ، مقامُ التأمّل والنّجوَى ...

لقد أفضيت اليك بما عندى ، وأجبتني إلى ما سألتك إياه . ولكن هل كان في النجوك من جديد؟
ألم نكن تعلم من شأني كل شي .؟
ألم تكن رفيقي في كل مكان ؟
أخفق قلمي خفيقة لم يكر لك منها نصيب "؟
لست ولدى الذي قبضي وغيب الماضي في ألفافه ...
أنت فكرة "خالدة تعمر جوانب القلب ، وتسيطر على مناطق التفكير ...

لافراق بينى وبينك أبد الدهر. النك لملازمى على النحو الذى تهوى : الله ملازمى على النحو الذى تهوى : المعوراً مرة ، وصوتا تارة ، وطيفاً تارة أخرى الم مَدَنَاج بجديد ... وأي جديد ننتظر كم ؟ وأي الجديد في هذا الوجود ؟

ليست الحياة ُ إلاحقيقة ًواحدة ً أَز لِيَّـة أَبدَّيَة ، وإن تبايلت صوراً وألوانا ومظاهر َ . . .

لا جديد في الإنسان منذ تقليم في مهده إلى أن يُو ارى في ثرى رَمْ سه ...

إنه ليظكُلُّ ذلك الوليدَ بما ركّب فيه من عناصرَ جوهرية. يظلُّ وليداً وإن اكتهلَ، وإن تشيَّخ، وإن رُدَّ إلَى أر ذَل العمر. وليس ما يعتريه بما نتوهمُه تغيَّراً وتطوّراً إلا عوارض لا شأنَ لها بخوهر النفس ولُبابها الأصيل...

منك يارب نستعير قَبْسة تلك النفس حقبة من الزمن م ثم ترجع إليك لتشيع في نورك الشامل العظيم ...

أمَّا أَنْ نسأل:

الماذا أعرت؟

ولماذا استردكت؟

فهذا ما لا قبلَ لنا بحوابه أ

ثُمَّة شيءٌ واحدٌ ، هو جوابُ السائل ، وملاذ الحائر .

هو الاستسلامُ ، ولا شيءَ غيرُ الاستسلام !

إنه يا بي سبيلي الذي أترامَى فيه ...

أَنْ أَسْتَسْلُمْ حَتَّى يَجْتُمُعُ شَمَّلُنَا ذَداً فَى فَيْصُ نُورُ الله ا

المال

إليك باشريكتي في العمر، ويا رفيقتي في السفر والحضر. الليك أكتب هذه الاسطر، تسجيلا لماكان من جيلك على. هذا كتاب ماكان أخلقه أن يُوسم باسمك ، فإنه أثر منك وحدك ، لولا أنت لم أخط منه حرفاً ، ولم يظهر له وجود . لقد صحبت ك إلى العالم الجديد ، وماكنت لاطأ أرضه لولا ماكان من رغبتك في الإنتقال إليه ، طلباً لعلاج واستشفاه . وما رحلتنا هذه إلى العالم الجديد ، إلا مر حلة من رحلتنا هذه إلى العالم الجديد ، إلا مر حلة من رحلتنا معا في هذه الدُّنيا ، جنباً إلى تجنب .

وما رحلة 'الدُّنيا التي نتزامل 'فيها بأقل رَوْعة " من تلك الاسفار التي قنا بها ، ترتاد الاصفاع والآناق، ونستمتع بالضرب في أرض الله الواسعة ا

إننا دُوماً على سَفْر ...

هى رحلة بمدودة من تتقليّبُ فيها الآيام بنا بين سرّا. وضرَّاء، وكلما اجتزنا منها مرحلة ، أحسسنا قورة الآلفة والتعاطف تتأصّل وتتأثلُ . . .

وإنى لأرَى طيفَ ابننا العريز ينظر إلينا من وراء الغام

السرمدي، مقتفياً خطانا في الطريق...

لقد لاح بسمه " في أفتق حيا ثنا حيناً ، بسمة و صل وميضها القوى " بين رُو حيثنا ، وشدً هما ـ رُ باط وثيق . . .

ثم عاد حيناً آخر َ دممة تساقطت من عيشلينا معاً ، فازداد بها ذلك الرَّ باط ُ من توثق واستحكام . . .

طَلِلْمُنَا مُعْرِنَا نَتَسَاقِي أَكُوْسَ الْعَيْشُ، ونَتَقَاسَمُ أَعْبَاءَالْحِياةَ فَي تَعَاوُنَ وَتَقَارُر غَدَتَ لَلْحِيَاةَ قَيْمَةً وَمَعْنَ ، فَقَد أَكْرَمَنَا اللهُ بَأْنَ لَمْ يَجْعَلَ حَيَاتَمَنَا هَبَاءً لا مَعْنَى لَمَا وَلا قَيْمَةً . . .

و حسبُنا مِن معنى الحياة جوهرُ الحبّ... الحبّ في صورته الشاملة الواسعة

الحبّ الذي يعيش وبنميُّ ، تفذُوهُ السعادةُ طوْراً ويمـدّم الالم أطواراً . . .

> ذلك هو الحبّ الحالدُ الرَّ كينُ ا إلَيكِ شريكةَ حباتى : تحيّنة عجبة . ورمز تقدير ؟

محود نبور







New York University Bobst Library 70 Washington Square South New York, NY 10012-1091 Phone Renewal: 212-998-2482 Web Renewal: www.bobcatplus.nyu.edu

DUE DATE	DUE DATE	DUE DATE
ALL LOAN	ITEMS ARE SUBJECT T	O RECALL
		*
PHO	NE/WEB RENEWAL I	DATE
		440040

